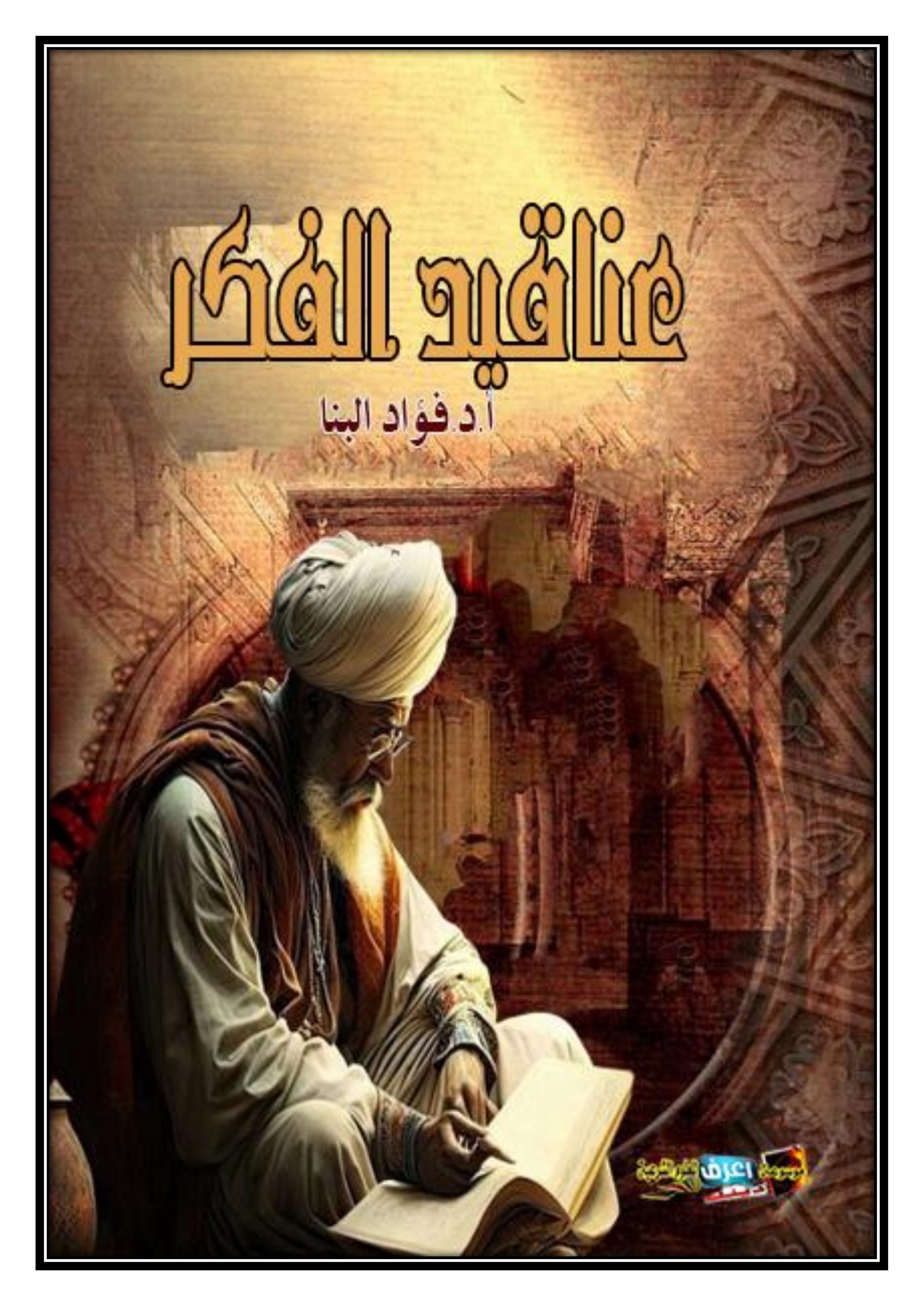

عناقيد الفكر
أ.د.فؤاد البنا

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

هذه مقدمة تمهيدية للموسوعة وليس لكتاب دكتورنا الفاضل فهو أكبر مقامًا من أن نقدم له –حفظه الله –وبارك في قلمه وعلمه.

موسوعة اعرف دينك للعلوم الشرعية يسرها أن تقدم للقاري المسلم والعربي كتابًا قيمًا وعناقيد تثري العقل والروح **للأستاذ الدكتور فؤاد البنا** من اليمن الشقيق ،وهو في غني عن التعريف ،وقد أذن لنا بنشر بعضًا من السلاسل من انتاجه دعويًا والكترونيًا ، في موسوعاتنا منها:

–عناقيد الفكر..هذا الكتاب

–بوارق الفكر .

– أمطار الفكر

– رياض الفكر

–قطوف الفكر

وكل سلسلة منها لاتقل عن ١٠٠ حلقة بحجم هذا الكتاب والكل جاري العمل لنشره دعويًا والكترونيًا أن شاء الله.

مع تحيات

موسوعة اعرف دينك للعلوم الشرعية

من هو البروفيسور أ.د.فؤاد البنا



– الاسم: فؤاد عبد الرحمن محمد البنا

– الميلاد: من مواليد ديسمبر ١٩٦٧م في قرية دمنة نخلان – مديرية السياني – محافظة إب، اليمن.

التحصيل العلمي:

– حاصل على الترتيب الأول على مستوى الجمهورية في الثانوية سنة١٩٨٦م (معاهد علمية).

– بكالوريوس تربية عام ١٩٩٠م بتقدير ممتاز مع مرتبة الشرف من جامعة صنعاء.

– معيد بكلية التربية في تعز(جامعة صنعاء سابقاً) ١٩٩١– ١٩٩٣م .

– ماجستير في الثقافة الإسلامية من جامعة السند بباكستان(مدينة حيدر أباد) عام ١٩٩٦م بتقدير ممتاز.

– دكتوراه في الفكر الإسلامي السياسي عام٢٠٠٠م من جامعة إفريقيا العالمية بالخرطوم – السودان، بتقدير ممتاز مع مرتبة الشرف، وحصل على شهادتي تقدير من السفير اليمني ومن الملحق الثقافي في السفارة اليمنية بالخرطوم؛ تقديراً لأدائه المتميز.

*🌟العمل الأكاديمي *:

– تعيّن عام ٢٠٠٠م أستاذاً مساعداً للفكر الإسلامي بكلية الآداب في جامعة تعز، وترقّى إلى أستاذ مشارك عام ٢٠٠٦م، ثم ترقّى إلى أستاذ (بروفيسور) في ١يناير ٢٠١٣م.

- اشترك في تحكيم عشرات الأبحاث ومناقشة عدد كبير من الرسائل الجامعية، وأشرف على مجموعة من الرسائل الجامعية ومئات من أبحاث التخرج.
- أستاذ الثقافة الإسلامية بجامعة تعز وجامعة العلوم والتكنولوجيا والجامعة الوطنية في تعز.
- رئيس قسم الدراسات الإسلامية بالجامعة الوطنية (٢٠٠٢-٢٠٠٥).
- أستاذ الفكر الإسلامي السياسي بجامعة تعز في اليمن.
- عضو عدد من المجالس واللجان العلمية في جامعة تعز باليمن وجامعة الجزيرة في السودان.
- أستاذ زائر في جامعة الجزيرة في السودان (معهد إسلام المعرفة).

الكتب المطبوعة:

١. الإخوان المسلمون والسلطة السياسية في مصر، ط١(الخرطوم: دار جامعة إفريقيا العالمية للنشر، ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م) (وهي رسالة دكتوراه).

٢. مردة سليمان - قصة الرؤوس التي أوجدت إمبراطورية إسرائيل، ط١(القاهرة: دار التوزيع والنشر الإسلامية، (١٤٢٤ - ٢٠٠٣م).

٣. إيجاز البيان في إعجاز القرآن، ط٥ (تعز : دار عدن، ١٤٣٣هـ -٢٠١٢م) .

٤. حاضر العالم الإسلامي ومعضلاته، ط٥ (تعز: دار عدن، ١٤٣٣هـ - ٢٠١٢م).

٥. العالم الإسلامي بين التخلف الحضاري ورياح العولمة، ط١ (القاهرة: دار التوزيع والنشر الإسلامية، ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦).

٦. الإسلام بين الثوابت والمتغيرات، ط١ (القاهرة: دار التوزيع والنشر الإسلامية، ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦).

٧. تيارات التجديد في الفكر الإسلامي الحديث، ط٣ (تعز: دار عدن، ١٤٣٦هـ - ٢٠١٤م) .

٨. مباحث في الثقافة الإسلامية، ط٢ (تعز: دار عدن ،١٤٣٣– ٢٠١٢م).

٩. تدبر القرآن ودوره في النهوض الحضاري بالمجتمعات الإسلامية، ط١(صنعاء: نفت للخدمات العامة، ١٤٣٠هـ – ٢٠٠٩) .

١٠. مقاصد الصلاة بين حقوق الله وحقوق الإنسان، ط١(تعز: منتدى الفكر الإسلامي،١٤٣٠هـ – ٢٠٠٩).

١١. الخصائص العامة لحقوق الإنسان في الإسلام، ط١(تعز: مؤسسة السعيد، ١٤٣٠هـ – ٢٠٠٩) .

١٢. انتقام الأفكار – عوامل الإعاقة الحضارية في تدين المسلمين، ط١(صنعاء: مؤسسة أبرار، ١٤٣١هـ – ٢٠٠٩).

١٣. خاتم سليمان – توسُّل اليهود بالجنس لتطويع الأغيار، ط١ (الحديدة: مؤسسة الحوار، ١٤٢٩هـ – ٢٠٠٨).

١٤. حقوق الطفل في الإسلام (بالمشاركة) ط١(تعز: منظمة نودز للتنمية، ١٤٢٩هـ – ٢٠٠٨) .

١٥. شيعة اليمن (بالمشاركة) ط١(دبي: مركز المسبار، ١٤٣٠هـ – ٢٠٠٩).

١٦. التفكير الموضوعي في الإسلام . ط١ (الدوحة: سلسلة كتب الأمة، العدد ١٣٧ ، ١٤٣١– ٢٠١٠).

١٧. الآخر في الإسلام. ط١(عمّان : المنتدى العالمي للوسطية، ٢٠١٠).

١٨. صناعة الابتسامة عند الإخوان المسلمين. ط١ (صنعاء: مكتبة خالد بن الوليد ودار الكتب اليمنية، ٢٠١٠) .

١٩. الفكر الإسلامي. ط١ (صنعاء :جامعة العلوم والتكنولوجيا، ١٤٣٣ – ٢٠١٢)

٢٠. أمطار الحرية وإغراق المملكة الصالحية. ط٢(تعز: منتدى الفكر الإسلامي، ١٤٣٢هـ – ٢٠١١م).

٢١. أشواق الحرية – معركة أحرار اليمن مع الفرعنة الصالحية . ط٢ (تعز: منتدى الفكر الإسلامي، ١٤٣٣ – ٢٠١٢).

٢٢. منطلقات الخطاب الإسلامي المعاصر في مواجهة المتغيرات العالمية. ط١ (تعز: مؤسسة السعيد للثقافة والعلوم، ١٤٣٣ – ٢٠١٢).

٢٣. الصلاة والسياسة ـ أوجاع الانفصال وجسور الاتصال. ط١(تعز: منتدى الفكر الإسلامي، ١٤٣٣ ـ ٢٠١٢).

٢٤. الثقافة الإسلامية(بالمشاركة) ط١(صنعاء: جامعة العلوم والتكنولوجيا، ١٤٣٣ ـ ٢٠١٢).

٢٥. عبقرية فتح الله جولن بين قوارب الحكمة وشواطئ الخدمة. ط١(اسطنبول ، القاهرة: دار النيل ، ١٤٣٣ ـ ٢٠١٢).

٢٦. أسماء السور ودورها في النهضة الجامعة. ط١(الكويت: وزارة الأوقاف، ١٤٣٣ ، ٢٠١٢).

٢٧. العروج الحضاري عند مالك بن نبي وفتح الله جولن. ط١ (الدوحة: كتاب الأمة ، رقم ١٥٥).

٢٨. الشباب بين الأمية الفكرية والمسؤولية الاجتماعية. ط١ (تعز : منتدى الفكر الإسلامي، ١٤٣٤ – ٢٠١٣) .

٢٩. الديمقراطية في أخدود العسكر . ط٢ (تعز : منتدى الفكر الإسلامي ، ١٤٣٤ – ٢٠١٣) .

٣٠. الشيباني – آفاق السيرة والمسيرة. ط١(تعز: منتدى الفكر الإسلامي، ١٤٣٥ – ٢٠١٤).

٣١. حدائق الأقدار: دور القدر في تشجير الحياة. ط١(تعز: منتدى الفكر الإسلامي، ١٤ ٣٥– ٢٠١٤).

٣٢. عودة الفرس والرومان: زواج المتعة بين إيران والأمريكان ومتعة الصراع بين النواهش والدواعش. ط١(تعز: المؤلف، ١٤٣٦ - ٢٠١٥).

٣٣. الثقافة الإسلامية. ط١ (تعز: الجامعة الوطنية، ٢٠١٥- ١٤٣٦).

٣٤. الشيباني آفاق السيرة والمسيرة (تحرير وتقديم ومشاركة في التأليف). ط١ (تعز: منتدى الفكر الإسلامي، ٢٠١٥ - ١٤٣٥).

٣٥. ازدواجية معايير الغرب والأمم المتحدة تجاه القضايا العربية والإسلامية (مشاركة). ط١ (عمّان: مركز أمية، دار عمار، ٢٠١٦ - ١٤٣٧).

٣٦. بوارق الفكر. ط١ (تعز: منتدى الفكر الإسلامي، ٢٠١٧ - ١٤٣٧).

٣٧. أجنحة الإقلاع الحضاري عند الخلفاء الراشدين. ط١(الخرطوم: شركة قرطبة، ٢٠١٧ - ١٤٣٨).

٣٨. أمطار الفكر. ط١(تعز: منتدى الفكر الإسلامي، ٢٠١٨ - ١٤٣٨)

٣٩. الاستفادة من الآخر في الإسلام - رؤية تأصلية. ط١(الدوحة: مركز البحوث والدراسات التابع لوزارة الأوقاف القطرية، رقم ١٧٩، ربيع أول ١٤٣٩هـ).

٤٠. الحكم الراشد مكانته وإمكاناته وتمكينه. ط١(الخرطوم: معهد إسلام المعرفة، ٢٠١٩).

الأبحاث المحكّمة المنشورة:

١. الإسلام بين الثوابت والمتغيرات (صنعاء: مجلة شؤون العصر، العدد الرابع عشر، شوال- ذو الحجة، ١٤٢٤ يناير- مارس٢٠٠٤م).

٢. مقاصد الصلاة بين الاتصال والانفصال (تعز: مجلة بحوث جامعة تعز، العدد السابع ٢٠٠٥م).

٣. تَجسُّد حقوق الإنسان في الصلاة الحية (صنعاء: مجلة شؤون العصر، العدد الثاني والعشرون) شوال– ذو الحجة ١٤٢٧هـ/ يناير – مارس٢٠٠٦م.

٤. موانع إدماج الغرب للحركات الإسلامية في منظومة الديمقراطية (تعز: مجلة بحوث جامعة تعز، العدد العاشر ٢٠٠٧م).

٥. الأمية الفكرية عند الشباب (الرياض: الندوة العالمية للشباب الإسلامي، ٢٠٠٦)

٦. الاستفادة من الآخر (تعز: مجلة بحوث جامعة تعز، العدد الثالث عشر ٢٠١٠م) .

٧. الثوابت والمتغيرات في الشورى (أسيوط: مجلة الدراسات القانونية، مايو ٢٠٠٨م)

٨. دور الأقدار في صناعة التغيير في ضوء القرآن الكريم (إب: مجلة الباحث الجامعي، العدد الحادي والعشرون، يونيو٢٠٠٩م) .

٩. الأسس الفكرية للمسؤولية الاجتماعية (الرياض: الندوة العالمية للشباب الإسلامي، ٢٠١٠).

١٠. دور الصلاة في وضع أسس الدولة الإسلامية (جامعة إب: مجلة الباحث الجامعي، العدد السابع والعشرون، ٢٠١١م).

الكتابات الصحفية:

– يكتب في عدد من الصحف والمجلات المختلفة، وله مئات المقالات في مختلف الميادين الفكرية والسياسية والثقافية والاجتماعية، واستمر في كتابة بعض الأعمدة الصحفية في صحف: الصحوة والإصلاح والراية لعدد من السنوات، حيث يفوق إنتاجه في هذا المجال حجم خمسة مجلدات.

– عمل مراسلاً صحفياً لصحيفة الصحوة اليمنية في باكستان والسودان في فترة دراسته للماجستير والدكتوراه.

– له عدد من المقالات في العديد من المجلات المشهورة، من أهمها مجلة (حراء) التركية، ومجلة (الدوحة) القطرية ومجلة (التفاهم) العمانية.
– تزيد مقالاته المتنوعة عن ٢٠٠٠ مقال.

المؤتمرات العلمية والندوات:

حضر عدداً من المؤتمرات والندوات الفكرية والحلقات النقاشية في موضوعات فكرية متعددة داخل اليمن وخارجها، وألقى عدداً كبيراً من المحاضرات المتنوعة، وأوراق العمل، وحصل في هذا السياق على عدد من شهادات التقدير من جهات مختلفة.

ومن أهم المؤتمرات والورش العربية والدولية التي حضرها:

١. المؤتمر العاشر لاتحاد الطلبة المسلمين (إسلام أباد: ١٩٩٥).
٢. مؤتمر منظمة الدعوة الإسلامية (الخرطوم: ١٩٩٨).
٣. مؤتمر الشباب وبناء المستقبل: الندوة العالمية للشباب الإسلامي (القاهرة: ٢٠٠٦).
٤. ورشة ترسيخ الوسطية في اليمن: المنتدى العالمي للوسطية، مجلة حراء التركية(عمّان: ٢٠٠٩).
٥. مؤتمر دور الوسطية في تعزيز السلام العالمي – تجربة فتح الله جولن أنموذجاً: المنتدى العالمي للوسطية، مجلة حراء التركية (عمّان: ٢٠٠٩).
٦. المؤتمر السادس للمنتدى العالمي للوسطية: المنتدى العالمي للوسطية (صنعاء: ٢٠١٠).
٧. مؤتمر رابطة كُتاب التجديد: المنتدى العالمي للوسطية (القاهرة: ٢٠١٠).
٨. ورشة مجلة حراء التركية: مدارسة أفكار كولن والمشروع الحضاري للخدمة (اسطنبول: ٢٠١١).

٩. مؤتمر الشباب والمسؤولية الاجتماعية (جاكرتا: المؤتمر العالمي الحادي عشر للندوة العالمية للشباب الإسلامي، ٢٠١٠م).

١٠. ندوة (النور الخالد): مجلة حراء (جاكرتا: ٢٠١٢).

١١. ندوة فكريات فتح الله جولن (جاكرتا: مجلة حراء، جامعة هداية الله الإسلامية، ١٤٣٣. ٢٠١٢م).

١٢. مؤتمر الإسلاميون وتحدي السلطة (القاهرة: المنتدى العالمي للوسطية، ١٤٣٣. ٢٠١٢م).

١٣. ندوة سياحة معرفية في عالم الأستاذ فتح الله جولن (الجزائر: مجلة حراء التركية، ١٤٣٣. ٢٠١٢م).

١٤. مؤتمر فلسفة البناء الحضاري عند مالك بن نبي وفتح الله جولن (الجزائر: مجلة حراء، جامعة الجزائر، ١٤٣٣. ٢٠١٢م).

١٥. مؤتمر السيرة النبوية (الخرطوم: جامعة إفريقيا العالمية، ١٤٣٤ – ٢٠١٣).

١٦. مؤتمر مفاهيم حول بناء ذاتنا الحضارية (الخرطوم: مركز التنوير المعرفي، ١٤٣٤ – ٢٠١٣)

١٧. ندوة إنسان العقل والفكر (السودان: معهد إسلام المعرفة – جامعة الجزيرة، ١٤٣٤ – ٢٠١٣).

١٨. ندوة (المنظور التوحيدي في معالجة العلوم) (اسطنبول: ٢٠١٤) .

١٩. الورشة التحضيرية لمؤتمر الاجتهاد والقياس (اسطنبول: ٢٠١٤).

٢٠. ملتقى المفكرين العرب والأتراك الأول: الإسلاميون وامتحان الدولة (اسطنبول: ٢٠١٤).

٢١. وُرش روافد العلمية (الكويت : ٢٠١٤).

٢٢. مؤتمر الجهاد والقياس (اسطنبول: ٢٠١٤).

٢٣. مؤتمر السيرة النبوية(نيجيريا: ٢٠١٥).
٢٤. المؤتمر الرابع لمنتدى كوالالمبور (الخرطوم: ٢٠١٧).
٢٥. الندوة الدولية حول الخطاب الإسلامي في ظل العولمة(الخرطوم: المجلس الأعلى للدعوة الإسلامية، يناير ٢٠١٩).

الجوائز العلمية:

حصل على عدد من الجوائز العلمية، أهمها:
١. جائزة السعيد للعلوم الإسلامية (الدورة السابعة، ٢٠٠٣م).
٢. جائزة السعيد للعلوم الإسلامية (الدورة الثالثة عشرة، ٢٠٠٩م) وهي أهم جائزة علمية في اليمن.
٣. جائزة جامعة عدن للبحث العلمي لأفضل كتاب في العلوم الإنسانية والاجتماعية (٢٠١٠).

المناصب الثقافية والشرفية:

١. مؤسس ورئيس منتدى الفكر الإسلامي بمدينة تعز (في٢٠٠٥م).
٢. عضو مجلس أمناء مؤسسة الحوار للآداب والثقافة والفنون بالحديدة.
٣. عضو الهيئة الاستشارية لجماعة صناع الحياة بجامعة تعز.
٤. عضو الهيئة الإدارية بمنتدى الوسطية – فرع اليمن.
٥. عضو الهيئة الاستشارية في مركز دراسات الأديان – تعز .
٦. مشرف دار عمر بن عبد العزيز للدراسات القرآنية – إب (٢٠٠٣– ٢٠٠٨).
٧. رئيس هيئة الرقابة في الجمعية الأكاديمية اليمنية.
٨. عضو مجلس الأمناء في مؤسسة رسالتي النسوية – تعز.

٩. عضو مجلس الأمناء في نادي الأسرة – تعز.

١٠. عضو الهيئة التأسيسية لرابطة كُتاب التجديد، وعضو مجلس الأمناء فيها، ومقرها الأردن.

١١ – عضو منتدى المفكرين العرب والأتراك.

١٢ – عضو الاتحاد العالمي لعلماء المسلمين.

١٣ – عضو الهيئة الاستشارية لمركز أُمَيَّة للبحوث والدراسات في اسطنبول.

١٤– عضو الهيئة التأسيسية لمركز البحوث والدراسات الاستراتيجية باسطنبول.

١٥ – مستشار ومحرر لدى عدد من المجلات العلمية.





عناقيد الفكر (١)

سنابل المحن

امتحان إنسانية البشر:

خلق الله الموت والحياة ليبلو الناس أيهم أحسن عملاً، والمحن محطات أساسية في هذا الامتحان الكبير، حيث يرتقي البعض إلى قمم الإنسانية الوضيئة، وينحط آخرون في دركات الحيوانية البغيضة، معملين أنيابهم ومخالبهم وأظلافهم في حقوق الآخرين!

ولا شك أن المحن المتتابعة دورات تدريبية على إبقاء الأفعال في الأفق الرفيع للأفكار.

وقد حكوا أن حكيماً سئل: لماذا لا تنتقم من الذين يسيؤون إليك؟ فرد ضاحكاً: إذا رفسك حمار فهل ترفسه؟ !

سنبلة الصبر:

إن بقاء المرء في أفق الإنسانية الكريمة رغم تتابع الاعتداءات والاستفزازات، ليس بالأمر الهين، ويحتاج إلى أغلال الصبر وقيود المصابرة.

ولابد للنجاح فيه من المرابطة في ثغور القيم الرفيعة، واستمطار سحائب التقوى التي تعينه على البقاء في تلك الذرى دون دوار أو سقوط!

وبأظافر الصبر والمصابرة، وبأيدي الدأب والمداومة، ينجح المؤمن في النحت على صخر التحديات، حيث يمكن أن تنخرم له السنن، ويلين الحديد، ويسهل الصعب، ويقرب البعيد .

وبالصبر يتحقق المستحيل، ويمكن اغتراف الماء بالمشن، إذا انتظره المرء حتى يتجمد!

بوصلة الطريق:

قد يصعب على جهلة الناس تمييز أهل الحق من أصحاب الباطل، إذا اندلعت الفتن، والتبست الطرق وتشابهت الصور.
ولأن المحن سنة إلهية ماضية تصيب أهل الحق، حتى يتكالب عليهم جنود الباطل، فإنها تساهم في صنع بوصلة الطريق التي تساعد على تمييز سبيل المؤمنين عن سبل المجرمين.
وتعد المحن شهادة ربانية على ثبات المؤمنين على الصراط المستقيم، حيث يتكالب عليهم الأعداء من كل جانب محاولين حرفهم عن مسار الاستقامة، ورميهم في غياهب الضلال.
يقول سيد قطب: إذا لم يمتحن أهل الحق ينبغي أن يسألوا لماذا، وأن يبحثوا عن الخلل!
وسئل الإمام الشافعي:كيف نرى الحق من بين كل هذه الفتن؟ فقال: إتبع سهام أعداء الله ورسوله أين تقع، ترشدك إلى أهل الحق!

تصفية الشوائب:

لا يزال الإنسان يعاني من شوائب التراب الذي خلق منه الخلقة الأولى، إذ يكدر طبائعه، ويعكر أخلاقه .
والمؤمن الحق يخلصه إيمانه من أخلاط التبر، لكنه لا يخلو من الشوائب، فتطهره نيران المحنة من تلك الشوائب، حتى يصير سبيكة خالصة .
قال ابن القيم: القواطع محن يتبين بها الصادق من الكاذب، فإذا خضتها انقلبت أعواناً لك، توصلك إلى المقصود.

انكشاف الزمن واكتشاف الناس:

يجيد بعض البشر اجتراح أساليب المكر، ويمتلكون وسائل تسحر الأعين، حتى يتمكنوا من خداع العقول واصطياد القلوب.

وعند تسليط شمس المحنة أشعتها على الناس، ينكشف الزمن على حقيقته، وتظهر معادن الناس الطبيعية بعيداً عن ألوان التزييف ومساحيق التجميل.

ويروى في هذا السياق أن الوزير العباسي محمد بن مقلة تعرض لوشاية أغضبت الخليفة عليه فعزله وأمر بقطع يده، فانفض عنه الناس، ولما تبين للخليفة الأمر أعاده إلى حظوته ومكانته، فأنشد الوزير هذه الأبيات:

تحالف الناس والزمان
فحيث كان الزمان كانوا
عاداني الدهر نصف يوم
فانكشف الناس لي وبانوا
يا أيها المعرضون عنا
عودوا فقد عاد لي الزمان!

عنقاد:

الحكماء هم من يستثمرون المحن بدهاء، فيحيلونها من (ريح صرصر) إلى (رياح لواقح)

بوركتم



عناقيد الفكر (٢)
أشواك الأشواق

انبجاس طاقات الذات:

تمتلك الكائنات الفردية طاقات مذخورة، غالباً ما تكون كبيرة، لكنها مطمورة تحت حجب الغفلة والجهل أو تحت أكوام الترهل والسلبية.

ووفق سنة الله في المدافعة، فإن التحديات الخارجية تستفز الطاقات المذخورة والمواهب المخبوءة، حتى تنبجس من جبل الذات فتسيل مواهبها وإمكاناتها، لتخضر بذلك قفار الحياة.

ومثلما ينطبق ذلك على الأفراد فإنه ينطبق على الشعوب والدول .
وعلى سبيل المثال فإن الشعب الياباني هو الأكثر فعالية وإنتاجا في العالم كله، قياساً بحجم أرضه وعدد أفراده.
ولابد أن وراء هذه الفعالية عوامل عديدة، أهمها تحديات الطبيعة، حيث أن اليابان جزر بركانية تقع في مطلع الشمس، وليس فيها من الثروات إلا القليل.

وجاءت الهزيمة الثقيلة لليابانيين في الحرب العالمية الثانية وبالضربة القاضية، لتفجر الطاقات المخبوءة لليابانيين بقوة القنبلة النووية!
وقد أحسنت النخب صياغة معادلات الانبجاس في معامل الثقافة القومية، وتظافرت سائر العوامل بكل قوة وانسجام لتصنع التفوق والتألق اللذين تنعم بهما اليابان اليوم.

وحدث قريب من هذا للشعب الألماني بعد هزيمته ومقتل الملايين من أبنائه في الحرب العالمية الأولى ثم الثانية، فقد تفجرت طاقاته كالبركان وصار اقتصاده الأول في أوروبا، حتى أصبح أستاذاً في النهوض الحضاري .

نعم ونقم:

في بعض الأحوال تأتي النعم على ظهور النقم، وتتدثر الآلاء بأثواب الأرزاء، وتحمل المحن في طياتها الكثير من المنح، وقد تأتي الكرامات على صهوة الكربات .

وفي المقابل تستحيل بعض النعم إلى نقم، عندما تشعل في أصحابها رغبات الاستهلاك، وتبعث فيهم مشاعر الغنى، وتدفعهم نحو مقاعد الكمون، وتغرقهم في غياهب السبات.

ومن هذا الباب روي أن مناحيم بيجن الرئيس الأسبق للحكومة الصهيونية، كان على طائرته فوق البحر الأحمر، فنظر نحو السعودية ثم مصر، فقال: أحمد الرب الذي لم يعط شعب إسرائيل نفط السعودية ولا نيل مصر!!

لقد أدت محنة اليهود وتفرقهم في العالم إلى تفجير سائر طاقاتهم المشروعة وغير المشروعة، حتى صاروا أباطرة العالم في المال والإعلام والجنس، وأصحاب اليد الطولى على الساسة وصناع القرار، وأصبحوا رغم قلة عددهم أكثر نفيرا!

معرفة قيمة النعم:

من لم يذق علقم النقم لم يطعم حلاوة النعم، ومن لم يتعرض لرياح المحن لن يستمتع بنسائم المنح!

والمثل التركي يقول: "من لم يعان الأكدار لا يعرف قدر المسار!"

تقويم السير وتصحيح المسار:

عندما انحرف المسلمون عن الجادة في القرون الوسطى؛ تسلط عليهم المغول والتتار فعاثوا في بلدانهم فساداً، وجعلوها يباباً!

ولتجلية هذه النقطة روى ابن كثير، بأن ابنة هولاكو قابلت أحد علماء المسلمين في بغداد بعد أن رأت الذل الذي خيم عليهم، فسألته: كيف تقولون بأن الله ناصركم وراعيكم، وقد سلطنا عليكم ؟!

فقال لها: " عندما يشرد القطيع فإن الراعي يسلط عليه كلبه حتى تعود، فأنتم أيها التتار كلاب الله في أرضه، وطالما بقينا شاردين عن منهج الله وطاعته، فستبقون وراءنا حتى نعود إليه جل وعلا!"

عنقاد:

عندما تكون الابتلاءات مناسبة، فإن أشواك الانكسار تذكي أشواق الانتصار!

بوركتم



عناقيد الفكر (٣)

طالوت الربيع وجواليت الشتاء !

فضيحة المتسترين:

إن تعجب فعجب أمر بعض المسلمين، الذين كرهوا الاستبداد العربي ولعنوا المستبدين، وظلوا يدعون إلى بروز قائد يقاتلون معه الظالمين، حتى هيأ الله لهم (طالوت الربيع.(

ولما رأوا المؤامرات تنصب عليه من كل جهة واتجاه، انحازوا إلى (جواليت الشتاء) تحت مبررات أوهى من بيت العنكبوت، بل وصار بعضهم وقوداً للثورات المضادة!

جريمة الحياد:

وظل آخرون يراقبون ما يحدث في الواقع بسلبية، وتحت مزاعم الحياد ساووا بين القاتل والمقتول، بين أشواك الاستعباد وأشواق التحرر، بين ذئاب الافتراس وخراف الذبح.

وختم بعضهم بالموقف العدمي الذي يتهم الجميع بالبحث عن السلطة واللهاث وراء المصالح!!

التآمر على طالوت الربيع:

عندما رأى الغرب أن الربيع الذي يستهدف عملاءهم الجواليت، جاء بتابوت السلمية والحرص على السكينة السياسية والسلام الاجتماعي، وبقية مما ترك الرسول صلى الله عليه وسلم وخلفاؤه الراشدون، وبقية من عزة الأمويين وعلوم العباسيين وطموح العثمانيين، عندها قامت قيامته، وتولى دعم الجواليت الساقطين والمترنحين بكافة الأسلحة، ومكر لهم مكرا كبارا .

وكان أخطرها سلاح السامريين، الذين صنعوا لهم عجولاً فتنت بعض الشباب الشجاع، حتى دفعتهم لنصرة الجواليت بدون قصد، نتيجة ضعف فقههم، وقوة سحر السامريين واختراقهم لهم!

القلة والكثرة:

مهما تكالب المتكالبون، وتآمر المتآمرون، ومهما تآزر الطغاة في الداخل وتظافر العداة في الخارجِ، فإن طالوت الربيع سينتصر وسيندحر جالوت الجبروت.

صحيح أن انخذال البعض عن ذات الشوكة أظهر طابور الأحرار صغيراً بجانب طوابير المجرمين، ولكن "كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله" كما قرر القرآن الكريم في قصة طالوت وجالوت!

انتصار الأصلح:

مثلما انتصر طالوت على جالوت بعد امتحانات صعبة ومشقات عسيرة، فإن الربيع سينتصر على الشتاء؛ لأن طالوت الحرية مرتبط بالله وجالوت الظلم مرتبط بالشيطان، ولأن طالوت جاء لتحرير الناس من استعباد جالوت الجبار، ولأنه رمز للعزة والأنفة والاستقلال، بينما صار جالوت رمزاً للتبعية والعمالة والسفالة.

انبثاق القيادة المنشودة:

تؤكد لنا قصة طالوت وجالوت بأن العاقبة للمتقين ولو كانوا قليلين، ما داموا أرقاماً صحيحة، وعلى اتصال بمالك القدرة المطلقة.



بل ومن وسط الكتائب المؤمنة سيبرز داوود العدل الذي يقتل جالوت الظلم، ويقيم دولة الحرية والمواطنة المتساوية، دولة البناء وخدمة حقوق الإنسان .

داوود النهضة:

من بين الملايين من حملة أشواق الحرية وحملة مشاعل الكرامة، سيظهر القائد داوود الذي يقود مسيرة النهوض المنشود، فيحكم بالعدل، ويطوي الزمن، ويقيم نهضة صناعية مشهودة، فقد أخبرنا الله بأنه ألان له الحديد.

داوود الذي يجمع في دولته بين أولى الأيدي والأبصار، ومن صلب دعوته ينحدر سليمان الذي يتبوأ الذروة في الحكمة وفصل الخطاب، ويصل إلى الكمال في مضماري الدعوة والدولة.

عنقاد:

تفتقت عبقرية داوود الحربية، بعد أن ركب طبقاً عن طبق حتى صهرته التجارب، وبعد أن نجح بتفوق في الامتحانات الطالوتية الصعبة.





عناقيد الفكر (٤)
الصلاح المنقوص

سقطات الصالحين:

لأصحاب الصلاح المنقوص سقطات خطيرة، كموقفهم من الفقر مثلا.

إنني أستغرب نظر هؤلاء إلى الفقر كحالة صحية يعطونها الثوب الإسلامي، رغم أن الإسلام أوجد ألف طريقة وطريقة للخلاص من الفقر والقضاء عليه، وشن عليه الغارة واعتبره قرين الكفر .

وفي الجانب التطبيقي لجيله الذهبي، خاض الصحابة أول حرب عسكرية شاملة في التاريخ من أجل الفقراء، حينما امتنع الأغنياء عن دفع الزكاة بعد موت المصطفى صلى الله عليه وسلم!

بين تذكر الله والإقبال عليه:

المؤمن الحق يتذكر الله في الصلاة والصيام والحج، ويأخذ منها الزاد الذي يعينه على السير إلى الله في زوايا هذا الكون وفي نواحي الحياة.

وهو يعلم أن الله موجود عند عباده الضعفاء، الذين تقطعت بهم سبل الحياة، ولفظتهم أنفاس الظلم والاستئثار، الذين لا ناصر ولا عائل ولا معين لهم إلا الله سبحانه وتعالى، فيعمل كل مستطاع لنيل رضى الله عبر خدمتهم .

والعجيب أن بعض المتدينين يستغنون بتذكر الله عن طلب رضاه، وبزاد الطريق عن المقصد الغائي، ويتوقفون عند الشكل البارز دون النفاذ إلى المضمون الخفي .

مضغة الغثاء:

إذا كان عقل المرء جبرياً، وقلبه اتكالياً، وروحه ذات مسحة أخروية بحتة، ثم تلقى العلم بطريقة تلقينية، يبقى فيها مجرد آنية يصب فيها المعلم ما يريد، فهل نتوقع أن يكون هذا الإنسان فاعلاً؟ وهل يمكن أن يصنع الحياة وفق مراد الله تعالى؟!

لا يمكن أن يكون إلا صفراً عديم الفائدة، أو كسراً عشرياً منكسرا في أبواب الحياة، ينطبق عليه الوصف القرآني للعبد: "أينما توجهه لا يأتي بخير"، ومن ثم سيكون كلاً على أمته، يثقل كاهلها، ويزيد من أعبائها، ويقيد حركتها نحو التقدم .

✌التدين بين الصحة والسقم:

التدين الصحي يسلك سائر الطرق المؤدية إلى خدمة الإنسان، بما فيها طريق العلاقة الخاصة بالله، إذ كلما تذلل المرء أكثر بين يدي ربه صار أكثر تذللاً لإخوانه، وكلما زاد انكساره أمام خالقه زاد تواضعه أمام خلقه.

أما التدين السقيم فإنه يحرم شغاف القلب من إكسير الرحمة، إذ كلما ارتبط بالله في الظاهر زاد غروره بنفسه وتزكيته لذاته، فاشتدت قسوته على الناس، وانقطعت أواصره معهم.

وكلما طالت استقامته أمام الخالق في الصلاة زادت استطالته على حقوق الخلق في الحياة، إذ لأتفه شبهة أو سوء فهم ولأدنى مخالفة، يمكن أن ينفجر كبركان يتلظى، فيحرق القلوب، ويقطع العلائق، معتقداً أنه يطبق مبدأ الولاء والبراء، وأنه بجفوته وغلظته إنما ينتصر لله تعالى ولرسوله صلى الله عليه وسلم!

التقوى المغشوشة:

يشتغل أصحاب العلم المنقوص بحفظ القرآن الكريم رغم تعهد الله بحفظه، ويتركون تدبر آياته رغم أنه أفرض الفرائض، وينشغلون بحفظ المتون عن التأهل لإيصال الأمة إلى متن الحضارة!

وينشغلون بنصرة الله صاحب القدرة المطلقة، عن حماية عجزة البشر ومستضعفيهم، حيث تجدهم ينفعلون أشد الانفعال عندما يظنون أن أحداً قد انتقص من جلال الله، لكنهم لا يأبهون وهم يرون آدمية الإنسان تداس بأحذية الطواغيت، وحقوقه تغتصب من قبل أبالسة الإجرام.

إنهم خوارج مكفرون إذا أسيئ إلى الإيمان بأدنى إساءة، لكنهم مرجئة متغافلون إذا انتهكت حقوق الإنسان!

البكاء والإبكاء:

يعاني أصحاب الصلاح المنقوص من انفصام غريب، حيث يحضرون في محاريب الصلاة باكين، ويغيبون في محاريب الحياة غافلين، فقد يبكي أحدهم الناس يوم الجمعة من شدة الخطابة ويبكيهم يوم السبت من شدة خطوبه أو قسوته.

وقد يكون حضور بعضهم سقيماً لئيما، فتراهم يقفون مع الذئاب ضد الشياه، تحت حجج عديدة أهمها طاعة ولي الأمر، ويمزقون صفوف الأمة تحت لافتة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر!!

فهل هؤلاء من زمرة المتقين، مع أنهم يحضرون حيث لا يجوز حضورهم، ويغيبون حيث يجب أن يراهم الله؟!

عنقاد:

تكمن خطورة (العلم المنقوص) في أنه قد يصبح (رداءً كاملاً)، يتدثر به صاحبه أمام العامة؛ لإخفاء عورات الشخصية وعوار التربية!

بوركتم

عناقيد الفكر (٥)

صناعة الإرهاب !

مكر الفاسقين:

عندما فسق الغرب عن أمر ربه تشيطن على الأمم وتأبلس على المسلمين خاصة، معتبراً إياهم العدو الاستراتيجي لحضارته!

ولذلك ما برح يتتبع عورات المسلمين، ويبحث عن عثراتهم، ويدرس خلالهم، حتى اهتدى إلى ورقة الإرهاب التي غطى بها عورة تآمره!

وعبر سنوات من التدبير المحكم والمكر الاستخباراتي، وعبر فجوات في صروح المسلمين دفع بمجموعات إسلامية متطرفة إلى دوامات العنف، وصنع إعلامه منها فزاعات إرهاب خطيرة.

لقد جعل فزاعة الإرهاب مطايا لتحقيق مآربه الكثيرة، وأهمها توحيد الشعوب البيضاء حتى لا تتفكك بعد انتهاء الحرب الباردة، ومواجهة ما يراه عدوا يهدد حضارته.

وسلط هذه الطامة بمكر شديد الدهاء والخفاء على خلايا الحياة في جسم هذه الأمة، حتى لا ينهض ما يسمونه بالمارد الإسلامي الجبار، وحتى يبرروا أمام شعوبهم الحرة وأمام العالم تدمير مقدرات المسلمين، ونهب ثرواتهم، وحبسهم في قمقم الانحطاط، وإبقاءهم في غياهب التخلف!

تشجيع الإرهاب:

في مرحلة بذر الغرب لعوامل التطرف والإرهاب في بلداننا، سمحوا للمتطرفين بالتعبئة والتحريض حتى من بلدانهم، ولم يحجروا على أحد منهم، بزعم احترام القانون وتقديس الحريات.

وفي مرحلة الحصاد، كمموا أفواه المعتدلين، وضيقوا عليهم الخناق، وكادوا يسطون بالذين يتلون الآيات، وعملوا كل مستطاع من أجل تجفيف منابع الاعتدال.

ولم يلقوا بالاً للحريات، ولم يأبهوا بالحقوق، ورموا بالقوانين عرض الحائط.

وبهذا زادوا من أوار اشتعال التطرف، ووسعوا مساحات الإرهاب، وبدا أنهم يريدون ذلك قصداً، ويسيرون نحوه عمداً!

تجفيف منابع الاعتدال:

بعد أحداث ١١ سبتمبر ٢٠٠١م، قررت أمريكا فرض قيود مشددة على تلقي مؤسسات إسلامية، كالمعهد العالمي للفكر الإسلامي، لأموال من متبرعين مسلمين، فأوقفته بذلك عن إقامة المؤتمرات والندوات الراقية، وطباعة الدراسات والأبحاث التي ترشد التدين وتكبح جماح التطرف، وتزرع قيم التسامح والتفاهم والتعاون مع الآخر.

ولم تراع أن القائمين عليه علماء وأساتذة تخرجوا من أرقى الجامعات الأمريكية وعملوا فيها، بل وأكثرهم يحملون جنسيتها.

وزعمت في المقابل أنها لم تستطع مع تحالفها الدولي الضخم أن تجفف منابع حركة داعش، ولم تستطع ضرب حقول النفط في سوريا والعراق التي تتخذ منها داعش المصدر الرئيسي للتمويل، ولم تستطع الضغط على الشركات الغربية التي تشتري النفط منها، ولم تستطع منع آلاف الغربيين من التدفق إلى سوريا والعراق للانضمام إلى داعش، بل وصرح وزير دفاعها السابق أن المعركة معها ستستمر لمدة ٣٠ سنة!!

فهل يمكن لعاقل أن يصدق هذا، مع أنها دمرت أعظم جيوش المنطقة في بضعة أشهر حتى وصلت إلى صدام حسين نفسه وأعدمته بأيدي الشيعة؟!

انهيار الانهمار:

ينطلق دعاة صدام الحضارات من افتراض خاطئ، سرعان ما يجعله البعض من المسلمات، حول أن انهيار الآخر هو انهمار للذات، ومن ثم يصير تخلف العرب في فكرهم تقدماً للغربيين، وفرقتهم وحدة، وفقرهم غنى، وهكذا سائر قيم النهوض الحضاري.

ولهذا لا ينفك دعاة الصدام عن تدبيج المؤامرات، ولا تبارح عقولهم رؤى الخداع، ولا تتوقف قلوبهم عن إيقاد الضغائن وبث الكراهية، ولا تكف أجهزة استخباراتهم عن نسج خطط الكيد وصياغة استراتيجيات المخاتلة.

كنز الإرهاب:

إن ما يسميها الغربيون بالحرب على الإرهاب، هي في الحقيقة حرب عالمية ضد المسلمين، لكنها مبتكرة حتى يشنوها بدون خسائر مادية أو بشرية، ولتظهر كأنها حرب داخلية بين المسلمين، ولا شأن لهم بها، إن لم يتظاهروا بمحاولة إطفائها!

ولأنها منجم ضخم يستخرجون منه الكثير من المصالح والمنافع، ويأخذون منه أحجار المصائب التي يرمون بها رؤوس أحرار المسلمين؛ فإنهم يعملون بكل مكر وخداع لتضخيم جمور الإرهاب، ويمدونها بأسباب التأجج، ويضغطون بدهاء لكي يتطاير شررها إلى كل بلدان المسلمين، حتى يبتزوها وفق مصالحهم الاستراتيجية.

ولأنه ليس من مصلحتهم أبداً إغلاق هذا الملف الاستثماري؛ فإن كل من يحاول حوار جماعات الإرهاب والعنف لتعود عن غيها يعتبرونه إرهابياً!



وكانت حكومة باكستان في عام ٢٠١٣م، قد نجحت بعد حوارات مطولة في إقناع حركة طالبان الباكستانية بترك العنف وتسليم السلاح، بعد حرب دامية قتل فيها الآلاف.
وقبل توقيع الاتفاق رسمياً بيوم واحد، قامت المخابرات الأمريكية باغتيال قائد الحركة مع عدد من مرافقيه بصورة بشعة، مما استفز طالبان وقضى على الاتفاق، حتى تظل باكستان في دوامة الحرب، وتحت مرمى الطائرات بدون طيار، وتحت وطأة الابتزاز الأمريكي الهندي الإيراني!

وكانت اليمن قبل بضع سنوات وبمبادرة من وزير أوقافها آنذاك القاضي حمود الهتار، قد نجحت في إقامة برنامج حوار لإقناع مجاميع من القاعدة بالعدول عن العنف، فتدخلت أمريكا وضغطت على صالح الذي أوقف البرنامج فوراً!!

عنقاد:

داعش هي النسخة الأكثر اختراقا من الغرب، بعد فشله في دفع القاعدة لاتخاذ عدد من المواقف التي تخدم استراتيجيته، وعندما تبدأ داعش بإدراك اللعبة سيستبدلونها بغيرها .

بوركتم



عناقيد الفكر(٦)
أعباق النقد

أعين الإعابة:

من عجائب البشر غياب الإنصاف في خلالهم، حيث يملك أكثرهم مائة عين يرى بها عيوب غيره، ولا يملك عيناً واحدة لرؤية عيوبه، وإدراك مثالبه.

ومن ثم تجد كثيرين ينخرطون في مهرجان الانتقاص من بعضهم، ومع الأيام يتخندق أصحاب العاهات المتشابهة مع بعضهم، كما قال أحد الشعراء:

ومن العجائب والعجائب جمة
أن يلهج الأعمى بعيب الأعور
وكل يميل إلى شكله
كميل الخنافس للعقرب!

مسؤولو القافلة:

عندما تسير المركبات إلى الخلف، فإنها لا تعاود السير إلى الأمام إلا بعد أن تتوقف لبرهة من الزمن.

ولأن المسؤولين في المجتمعات المتخلفة يمخرون عباب الحياة بأحاسيسهم لا بأفكارهم، فإنهم مهتمون باستمرار الشعور بالسير، حتى ولو كان إلى الخلف!

ولهذا يحبذون العناصر المنفذة ولا يحبون العناصر المفكرة والناقدة؛ لأنها ستوقف المسيرة الخاطئة. ويظن هؤلاء أن واجبهم هو ضمان استمرار السير، أما إلى أين فهذا لا دخل لهم به!

ديمومة الصعود:

الرجل الصاعد هو الذي لا يقارن نفسه بمن هو دونه حتى لا يتراجع أو يقنع، بل يظل متفوقاً على نفسه.
ولا يتفوق المرء على نفسه ما لم ينقد ذاته، لأن الشعور بالرضى عن الأداء يمنع التزيد والصعود.

محطات النقد:
ينبغي للصاعد أن يستثمر كل حدث ليمارس النقد الذاتي، ولاسيما عندما يودع عاماً ويستقبل عاماً، ينبغي أن تكون له وقفات للمراجعة، يعيد فيها تأمل الرسم البياني لمسيرته السنوية، ليعرف أين صعد وأين هبط، أين أصاب وأين أخطأ، أين تفوق وأين تعثر، ثم يقوم بتحليل عوامل التعثر فيحاصرها، ويقوم بفهم أسباب التقدم فيذكيها.

بحيرتا الرضى والنقد:
إن الشعور بالرضى عن إنجازات الذات، بحيرة آسنة من دخلها تأسن وتعفن!
ومن اغتسل في بحيرة النقد تخلص من أدرانه وشوائبه، فتنقى وترقى.

⚠غربال النقد:
إن عدم تفعيل المنهج العلمي الصارم في طلب العلم، وفي التفاعل مع الظواهر وقراءة الآيات المبثوثة في صفحات كتاب الكون، يجعل الحصيلة العلمية مزجاة، يختلط فيها الرديء بالنفيس، والمغشوش بالأصيل، وقد تتلفع الخرافة بأردية العلم، وتتخفى الأسطورة تحت إهاب الحقيقة، وتتجمل الشعوذة بثياب الإيمان .
ولهذا لابد من تفعيل أدوات الفحص والتمحيص، ولابد من استخدام غربال النقد، بحيث نستطيع استدرار اللبن الخالص من بين الفرث والدم!

البصيرة الناقدة:

نستطيع (رؤية) الفرق بين الواجد والواجب بقدر ما نملك من (بصيرة ناقدة!)

ولذا فإن وضوح النقد يقصر المسافة بين الواقع والواجب، حيث يرتقي بالواقع ويقربه من الواجب.

أسوار النقد:

النقد البناء يصنع أسواراً قوية تحف جسر الاستقامة، فتحول دون سقوط السائرين عليه نحو مهاوي الهلاك وأخاديد الانحطاط.

وردة النقد:

النقد وردة منقوشة من حروف اللغة، ولذا فإن ثماره محفوفة بأشواك الألم، والعاقل من تدفعه أشواق الآمال إلى اجتياز أشواك الآلام .

عنقاد:

الذين تأبى أنوفهم شم أريج النقد يصابون بالاختناق!

بوركت جمعتكم



عناقيد الفكر (٧)

تناهيد المآسي

⚠انتصار الأساطير على الأساطين:

يشهد زماننا بأن الباطل يمتلك حماة أشداء وحراساً أقوياء، نجحوا مراراً في جعل أساطير الباطل أدوات لإدحاض أساطين الحق!!

تم هذا في الواقع العملي، عندما تقابلت حنكة الكافرين مع غفلة المؤمنين، وتلاقت قوة الفجار مع عجز الأبرار!

أما في الجبهات الفكرية فإن القوة الذاتية لهذا الدين تتكفل دوما بكسب جولات الصراع وبالضربة القاضية، و(يا لهذا الدين لو كان له رجال)، كما قال أحد مفكري أوروبا!

بين التقديس والتدنيس:

هناك علمانيون يخلطون بقصد أو بغير قصد، بين أساطير الأولين وخرافات الأسبقين وبين آيات الكتاب المبين وهدايات محمد الأمين، حيث يضعون الكل تحت مسمى التراث، مع أنه كسب بشري نسبي قد يخطئ في زمانه ومكانه، فكيف إذا تجاوز زمانه ومكانه؟!

أما آيات القرآن وأحاديث البلاغ الصحيحة، فهي وحي سماوي معصوم من الخطأ والنقصان في كل زمان ومكان؛ لأن مصدرها خالق الإنسان وموجد الزمان والمكان، ذو العلم المطلق بخفايا النفوس ودقائق الوجود!

ويستثمر العلمانيون هذا الخلط للإفساد في الاتجاهين، فتارة يردون نصوصاً محكمة بحجة تعارضها مع العصر وأن التراث يؤخذ منه ويرد!!

ويستشهدون تارة برؤى تراثية عوراء لتأييد وقائع عصرية عوجاء، وإلباسها الثوب الإسلامي، للضحك على ذقون عامة المسلمين!

وبهذا فإن هؤلاء يرتكبون جريمة مزدوجة، حيث يعظمون ما هو إنساني ويؤنسنون ما هو إلهي، يدنسون ما هو سماوي ويقدسون ما هو أرضي، بجانب أنهم يحرمون الجماهير من بعض هدايات الوحي، ويجلبون لها من رؤى التراث ما يزيد طينة تخلفها بلة!

أقبح الزهد:

إن أعراب هذا الزمان لا يبخسون الناس أشياءهم، ولاسيما إن كانوا من ذوي البشرة البيضاء والعيون الزرقاء!

إنهم فقط يبخسون أنفسهم، ويبيعون بعضهم بدولارات معدودة، كما فعل أبناء يعقوب بأخيهم يوسف!

ورغم أنهم صاروا شديدي الشراهة كثيري الطمع، فإنهم يزهدون ببعضهم، حتى أن العربي صار أرخص من التمر في سوق البصرة!

جناية المسلمين على الإسلام:

يجب أن ندرك أن تخلف المسلمين لا يجني على أمتهم وعلى دينهم فقط، بل وعلى العالم الإنساني كله؛ لأن العالم أحوج ما يكون للإسلام الآن!

لكن الناس لا يخطر على بالهم أن هذا الدين يمتلك كل ما يحتاجونه من حلول ومخارج، مع وجود كل هذا التردي في حياة الشعوب المسلمة !

ولخطورة هذا الموضوع فقد ألف علامة الهند الشيخ أبو الحسن الندوي كتابه الشهير: "ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين؟."



ولو أحصينا خسائر البشر المادية فقط، فأعتقد أنها تفوق خسائرهم في الحربين العالميتين الأولى والثانية، واللتين قتل فيهما سبعون مليون إنسان، وأهدرت فيهما ترليونات الدولارات.

➡مفارقات:

هناك مفارقات تجعل الحليم حيراناً، كأن تجد أعداء الإسلام يسارعون في الكفر، بينما يتباطأ المسلمون في إيمانهم وأعمالهم الصالحة!

وأن ترى أهل الباطل يسهرون على باطلهم، بينما ينام أهل الحق عن حقهم!

وأن ترى أهل الكفر رغم تناقضاتهم يتعاونون، بينما أبناء الإسلام رغم عوامل وحدتهم يتباينون!

أمنية:

ليت مسلمي عصرنا أتقنوا صناعة (الشموع) التي تبدد تخلفهم الحضاري، بدلاً من صناعة (الشماعات) التي تبرر اقترافهم للأخطاء، والتي تشرعن الانحرافات وتزين الآثام، مما يخلق بيئة خصبة لـلاستكثار من الخطايا والشرور.

عنقاد:

تعبث بجسم أمتنا الكثير من (الأدواء الفاجعة)؛ لزهد قادتها ب(الأدوية الناجعة)!

بوركتم



عناقيد الفكر (٨)

بوائق التفرق

غياب الوحدة:

تضم بلداننا الإسلامية (تجمعات) بشرية لا (مجتمعات)، وتحوي (ألفافاً) من الناس بدون (ائتلاف)، وتزخر ب(الأفواج) المليئة ب(الفجوات)، وب(القبائل) ذات (القبلات)– بكسر القاف– المتعددة.

إن أكثر مجتمعاتنا للأسف (مجاميع) لا تفهم معنى (التجمع)، و(أشتات) لا تدرك فداحة (التشتت.)

إنها (أوزاع) لا تمتلئ ب(وازع) الائتلاف، وفرق لا تكف عن التفرق والانقسام الخلوي!

غيبوبة الوعي الجمعي:

تعاني أمتنا من الفرقة، نتيجة غياب الوعي الجمعي، ولهذا الغياب جذور وأسباب علمية ونفسية، وعوامل داخلية وخارجية، وهو عرض من أعراض تخلف الأمة، وثمرة من ثماره العلقمية المرة.

عقر نوق التحضر:

إن قيم النهوض الحضاري هبات من الله لهذه الأمة، مثل ناقة صالح بالنسبة لثمود.

وعندما عقر أشقى المسلمين ناقة الحرية؛ أصابتهم صيحة الاستبداد فجعلتهم حصيداً خامدين!

وعندما عقروا ناقة الوحدة؛ غزاهم إعصار الاستعمار فجعلهم غُثاءً أحوى!

وعندما عقروا ناقة العلم؛ قذفتهم عواصف الجهل بظلامها، فأعمت أبصارهم عن رؤية الحقائق كما هي، وجعلتهم كائنات شوهاء ناقصة الأهلية!

نتانة العصبيات:

علل صلى الله عليه وسلم أمره بترك العصبية بأنها (منتنة.(

ويبدو أن سبب النتانة هو أن العصبيات تثمر ما يأتي:

-رفض التجديد والتجويد، ومقاومة التغيير والتقدم، ولا شك أن ما لا يتجدد يتبدد، وما لا يتقدم يتقادم، حتى يصيبه الاهتراء ثم الموت، لتتصاعد روائحه النتنة، سواءً كانت أفكاراً أو أشياءً أو أشخاصاً .

-الانخراط في منظومة تقليد الأموات، وابتعاثهم من أجداث التأريخ، بعد أن شبعوا موتاً، وأزكمت روائح موتهم أنوف الدود .

-ترك المعيار العقلي في الحكم، والانحياز لرابطة اللحم المنتنة!

-اعتناق ثقافة القطيع وأخلاقها، حيث الانضواء بدون عقل أو معرفة، والسير خلف قائد القطيع بدون بينة أو برهان.

وباتباع طباع الحيوانات تحضر روائحها النتنة، التي تنبعث من المكونات الترابية للبشر، وهي القاسم المشترك بينهم وبين الحيوانات!

منازل لا مساكن:

أصبحت كثير من بيوتنا (منازل) لا (مساكن)، حيث ينزل فيها أعضاء الأسرة دون أن يتمتعوا بالسكينة المفترضة، نتيجة انعدام التآلف القلبي والتفاهم العقلي، وغياب التواشج الروحي والانسجام النفسي.

ولا شك أن ذلك كله من آثار ضعف الإيمان، وضعف الوعي، وغياب الشورى، وطغيان الأنانية!

فيصل القلب:

كما أن القلب هو الفيصل في الحب أو الكره، فإنه الفيصل في الائتلاف أو الاختلاف، ولهذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "القلوب جنود مجندة ما تعارف منها ائتلف، وما تناكر منها اختلف."

ذلك أن الاختلاف العقلي أمر بدهي وسنة طبعية، ولا مشكلة فيه، إنما المشكلة في اختلاف القلوب، وإذا حدث ذلك انتقل الخلاف من مفاسح الرحمة إلى مضائق العذاب.

ولهذا فإن تجفيف منابع التفرق البغيض، ينبغي أن ينصب على القلب قبل العقل، وأن يهتم بتهذيب المشاعر قبل الأفكار، وأن يركز على العوامل النفسية قبل الفكرية.

إكسير الخدمة:

إن الإكسير الذي يعالج فتوق الفرد وانكساراته، ويحوله إلى كائن اجتماعي كامل العافية، هو الانغماس في الشأن العام والانغراس في خدمة المجتمع.

عنقاد:

التفرق هو الصخرة الصماء التي تتحطم عليها سفائن المسلمين، المتقدمة نحو جزائر الحضارة .

بوركتم

عناقيد الفكر (٩)

❋شموس الفكر❋

المجرة العقلية:

في هذا الكون مجرات شمسية، تمور فيها النجوم والكواكب حول ضياء الشمس، وتدور في فلكها بدون لحاق أو اصطدام.

والشخصية الإنسانية ينبغي أن يكون لها مجرة عقلية، تتمحور فيها سائر مكوناتها الباطنية والظاهرية، حول العقل المستضيء بأشعة الكتاب الكريم، وذلك حتى يلتم شمل الشخصية وتقوى فعاليتها .

وباتحاد شخصيات الأفراد تنتظم الحياة، وتستقيم العمارة، وتنسجم الحركة، وتلتئم سائر مكونات المجتمع.

مدار العقل:

الإسلام هو دين الفطرة، لأنه صبغة الله العالم بما كان وما هو كائن وما سيكون، ولذا فإن للعقل وظيفة تنويرية كوظيفة الشمس، ومكانة مركزية كمكانتها، ومداراً واسعا كمدارها.

فإذا تجاوز العقل وظيفته الطبعية أشعل فتائل الفتن والمحن، وإذا تراجع عن مهمته أشاع صقيع الجمود وزمهرير الركود.

ستر العقل:

إن تعري الحضارة الغربية وتفسخها؛ نتيجة طبيعية لبعدها عن الوحي، ومجافاتها للروح، ولولا توظيفها للعقل واستثمارها له إلى حد كبير لكانت قد سقطت من وقت بعيد، ومن النصفة القول بأنها حضارة عقلية بامتياز، لكنها لا تملك من دون شمس العقل سترا!

ظل التقليد:

من يعيشون دائماً في (ظل) غيرهم مقلدين لهم، لا يمكن أن تنمو شخصياتهم نموا صحيا وسيصيرون كالنباتات التي تفقد أشعة الشمس.

ولا يمكن أن تغادرهم العلل والأسقام، إلا إذا تعرضوا لشمس العقل وأشعة الفكر.

والحقيقة أن الماكثين في (ظل التقليد) يعيشون في (ضلال مبين!(

ضياء العقل ونور القلب:

إذا كانت الشمس ضياء الأرض والقمر نورها، فإن العقل هو شمس الذات البشرية وضياؤها، والقلب هو قمرها ونورها.

ومن اهتدى في دروب الحياة بضياء العقل ونور القلب فلن يضل أو يزل، بل سيسير دائماً بحسبان!

شروق العقل:

التجديد الملتزم بالأصول والكليات والمقاصد الشرعية، يسير مع شمس الهداية من المشرق، أما التقليد فهو يحاول أن يأتي بها من المغرب، فأنى له ذلك؟!

عباد العقل:



هناك صنف من الناس جعلوا العقل مهيمنا على كل المسائل، كأنه لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، معتقدين أنه قادر على الإجابة عن كل سؤال، وحل كل مسألة، وأنه يمتلك المخارج لكل المعضلات، دون الحاجة لهداية الوحي.

يبدو هؤلاء العقلانيون كأنهم اتخذوا من شمس العقل رباً، لكن العاقل حقاً هو من يدرك أن العقل بدون عصمة الوحي يضل ويأفل، فيردد بثقة مع الخليل إبراهيم عليه السلام: "لا أحب الآفلين!"

القيامة الحضارية:

إن طلوع الشمس من مغربها أهم علامة على قيام الساعة، وفي المقابل فإن أي مجتمع يرى أن شمسه الحضارية ستشرق من مغرب ماضيه الذي أفل، فإنه مجتمع ميت قد قامت قيامته الحضارية!

لافته:

ينبغي ل(مدارك) العقل أن تتحرك في (مداراتها)، وفق ثوابت الشرع الحكيم القطعية.

عنقاد:

إن الذين لا يغادرون أرائك التقليد، لا يمكن أبداً أن ينعموا بشمس التجديد!

بوركتم



عناقيد الفكر (١٠)
طبائع الإيجاب والسلب

الإيجابي والسلبي:

الإيجابيون والسلبيون هم أناس متشابهون في المظهر لكنهم مختلفون في الجوهر، حيث يختلفون في الأمزجة وطرائق التفكير، لتصبح سلوكياتهم ونتائجهم مختلفة إلى حد كبير.
ولأن بواعث الإيجابية أو السلبية داخلية؛ فإن العناية بالجوانح تصبح أهم من الجوارح.

الأبواب المفتوحة والمغلقة:

يركز الإيجابيون أنظارهم على ما يريدون، بينما يركز السلبيون على ما لا يريدون!

وفي سكة الحياة يلج الإيجابيون الأبواب المفتوحة ليقدموا ما يستطيعون، وينشغل السلبيون بالأبواب المغلقة فيبكون أمامها، مثلما ظل اليهود قروناً يندبون حظهم أمام حائط البراق الذي يسمونه حائط المبكى!

تميز الشخصيتين:

في مجال العمل يظهر الإيجابي ما يميزه عن الآخرين حتى يعتلي ناصية الإبداع، وفي مجال العمل الاجتماعي يبرز ما يجمعه بالآخرين من مشتركات وأواصر، حتى يصير مثالا للائتلاف.

أما السلبي فيقوم بالعكس تماماً، ولذلك لا يضيف شيئاً إلى خارطة الإبداع، ولا يستطيع الائتلاف مع مجتمعه بل يعيش ناشزا في قارعة الشذوذ!

التعامل الاجتماعي:

الشخص الإيجابي كائن اجتماعي رائع، حيث يتميز بعلاقات وثيقة مع الناس، فهو يحسن الظن بهم، وينخرط معهم في اهتماماتهم وأنشطتهم، يفرح لمسراتهم ويتألم لمضراتهم، يتعاون مع محسنهم ويعذر مسيئهم، ما استطاع إلى ذلك سبيلاً .

أما السلبي فهو كائن انفرادي، يعاقر الهروب ويحب العزلة ويعشق الانطواء.
يؤمن بنظرية التآمر إلى أقصى حد، ويسيء الظن بالناس إلى أبعد مدى، تملؤه الظنون والأوهام، وتحركه الهواجس والمخاوف، ولهذا لا يزال يتأبط شراً بالناس!

التعامل مع الوقت:

يتعامل الإيجابي مع الوقت كجوهرة نفيسة ورأس مال ثمين، ويعرف كيف يملأه بالخيرات، ويحسن استثماره في كل نافع، أما ما دون ذلك فإنه على وقته لضنين .
وفي المقابل فإن السلبي يتعامل مع الوقت كفائض يعبث به بسفه بالغ، ويوزعه على التفاهات بكرم منقطع النظير!!

النظر للماضي:

في قراءة الشخص الإيجابي لماضيه يستحضر ما أنجزه وحققه، ليزداد ثقة بذاته ورغبة في الاستزادة، بينما يركز السلبي على ما فشل فيه وأخفق، فيزداد خورا وخوارا!

يعتبر الإيجابي إخفاقه تجربة ثرية بالخبرة، إذ يستخرج منه الدروس والعبر، بينما يصنع السلبي من فشله قيداً يمنعه من الحركة إلى الأمام!

في تحليل الإيجابي لعوامل إخفاقه يتحمل المسؤولية بشجاعة، فيصلح نقاط ضعفه ويستأنف مسيرة نجاحه، بينما يذهب السلبي إلى التعليل والتبرير، حيث يتذرع بعوامل خارج ذاته، ومن ثم يستمر الفشل حتى يصبح عنواناً لشخصيته!

النظر إلى المستقبل:
مهما حقق الإيجابي من نجاحات وما اجترح من مآثر، فإنه يؤمن بأن الأفضل والأجمل لم يأت بعد، ويبحث عنه في رحم الغيب، ويبذره في وديان المستقبل.
أما السلبي فهو يعتقد بأن الأفضل قد جاء وولى وصار جزءاً من هشيم الماضي، وأن الزمان لا يأتي إلا بما هو أسوأ!

ولهذا لا غرابة أن يكون الإيجابي شديد التفاؤل، تزينه الابتسامة، ويستوطنه الانشراح، بينما يغرق السلبي في دياجي التشاؤم، وتحتله هوام الهموم، ويملأ التجهم وجهه بالتجاعيد!

مقارنة:
يقارن الإيجابي نفسه بالأفضل فيزداد رفعة، ويقارن السلبي نفسه بالأسوأ فيزداد ضعةً .

عنقاد:
ما يزال الإيجابي يترقى حتى يحسن الظن بربه، وما يزال السلبي يتدنى حتى يسيء الظن بخالقه!

بوركتم

رياض الفكر (١١)
معارج الجمال

القلب المجلو:

لكي تهيم بجمال الله وترتاع من جلاله، ينبغي أن تكون ذا قلب سليم من الران والأدران، خال من الأقذار والأوزار، ناصع بالذكر مثل المرآة المجلوة، مشع بالعلم كمشكاة فيها مصباح.

وكلما كان القلب أكثر نصاعة انعكس عليه جمال الله وجلاله، حيث يهتز طرباً أمام لوحات الجمال، ويترنح فرقاً من مشاهد الجلال.

فراقد الكمال:

إذا اجتمعت مشاعل الجمال ومشاعر الجلال في قلب مؤمن؛ فإنه ماض في طريق العرفان السامق.

إذ سيصبح مطيته نحو فراقد الكمال، حيث يعرفه بجهله وضعفه، ويزيد سحائب خشيته هطولاً ومزن خيراته انسكاباً .

أكمام وأكنان:

الإيمان أثمن ما يحصل عليه الإنسان من هدايا رب الورى، ذلك أنه يبني الأكنان التي تحمي الإنسان من أوضار التراب وأوشاب الطين، وتقيه من وهق المادة ورهق الجسد .

ومن أكمام الإيمان تتفتح أزهار الأخلاق وورود القيم، وتتفتق ثمار الصالحات وفواكه الخيرات.

ظل الإنسان:

الإنسان ذو الذائقة الراقية رقيق المشاعر، لطيف المعشر، وصاحب (ظل خفيف.(
أما الفقير في ذوقياته فإنه قاسي القلب، غليظ الطباع، وصاحب ظل ثقيل.

يتسلل خفيف الظل إلى القلب بنعومة، كتسلل نسائم الصباح، أما ثقيل الظل فإنه يقتحم القلب بجلافة تستفز المشاعر، كرياح السموم!

الشجرة المزدوجة:

الإنسان شجرة مزدوجة؛ لأنها تضم بذور الخير وبذور الشر؛ نتيجة تركيبته المشتركة التي تزاوج فيها التراب والروح.

ويمكن لهذه الشجرة أن تنتج ثمارا عسلية أو حنظلية، وفق إرادة الإنسان واجتهاده، والله سبحانه وتعالى ييسر لكل إنسان ما يختار.

مصباح الذات:

تمتاز الروح المصباحية بأنها تنير دروب السير لصاحبها، وتجلي بأشعتها طرائق الآخرين؛ لأنها ترتشف ضياء الوحي الإلهي، وتحتسي أنوار النبوة المحمدية، فيستضيء العقل، ويستنير القلب، وبذلك تصبح الذات كلها مصباحاً يساهم ضياؤها في تبديد دياجير الشقاء وتمزيق ظلمات الشرور.

سجايا الكرام:

يتصف الأباة الكرام بأخلص السجايا وأبهى الخلال، حيث أنهم ذوو سرائر أصفى من العسل وأنقى من الماء، وأصحاب عقول أبهى من الشمس وأبهج من الضحى.

ولا يزالون أصحاب ملاحظ عفيفة وألسنة نظيفة، وذوي خطى مستقيمة وسلوكيات قويمة.

الحياؤون:

يمتلك أصحاب الحياء الجم والخجل الوافر جاذبية وإشعاعا باهرين؛ لأنهم يغتسلون بماء الطهر ويتنظفون بصابون العفاف، يتدثرون بأردية الحياء ويتزملون بسرابيل الستر. ومهما كانت الظروف، فإنهم لا يقترفون الفواحش ولا يقتربون من الشبهات.

إكسير الحياء:

(الحياء) إكسير (الحياة) السامية، وبوصلة الأذواق الراقية، فإذا ساد (الحياء) الناس صارت (الأحياء) السكنية نماذج في التحابب اللطيف وأمثلة في التعايش الراقي.

عنقاد:

يسيل (الصب) خيراً كالكوثر الرقراق، ويسري حناناً كنسيم (الصبا).





عناقيد الفكر (١٢)

سبائك المنهج

العلم بين الفرات والأُجاج:

عن طريق التعلم الذاتي تتسلل مياه المعرفة إلى ملكات العقل، وتتسلك ينابيع العلم النافع والفكر السابغ، فترتوي منها شتائل التفكير ومزاهر الإبداع .

وبهذه الطريقة يصبح العلم ماءً عذباً فراتا، أينما وقع نفع، يسقي العباد ويروي البلاد، فتخضرُ القيم وتبتهج الآداب، وتزدهر الأخلاق وتزدهي الأذواق .

أما التعليم التلقيني فإنه يثمر علماً أجاجا، لا يسقي عقلاً ولا يروي قلباً، وربما زاد الظامئين عطشاً.

ولا يسعف هذا العلم أصحابه من ظمأ الجهل، بل ينقلهم من عطش الجهل البسيط إلى ظمأ الجهل المركب، وغالباً ما يزيدهم فوق آفة الجهل محنة الغرور!

تقعيد الشواذ:

من أخطر المعضلات المنهجية في فكرنا الإسلامي المعاصر، قيام مجاميع من كاتبينا وصالحينا بتبرير قصورهم أو تقصيرهم، عبر صياغة (أحكام كلية) من (حوادث جزئية) نادرة أو شاذة.

وكمثال على ذلك، فإن من يقصرون في إصلاح زوجاتهم يستدلون بزوجتي نوح ولوط اللتين لم تؤمنا وهلكتا مع الهالكين!

فلماذا لم يستحضروا زوجات سائر الأنبياء اللاتي كن لأزواجهن شقيقات الروح ورفيقات الإيمان؟!

ولماذا لا يستدلون في المقابل بزوجة فرعون أكثر طغاة الأرض كفراً، والتي ضرب الله المثل بها في الإيمان، ليندفعوا إلى دعوة نساء الكفار طمعاً في إسلامهن؟

توحيد الغثاء:

إن محاولات إلغاء الفروق الفردية وطمس البصمات الشخصية، تحت دعوى التوحيد، تؤدي مع الزمن إلى فقدان الأفراد للحماسة، والقضاء على مشاعر التميز التي تستحث أصحابها على التفوق والإنجاز، مما يبعدهم عن الأرقام الصحيحة ويقربهم من الكسور الغثائية.

الوعي المثالي:

إن عملية التعلم المنهجي والتفقه المقاصدي، تصنع وعياً حضارياً، حيث يتقولب العقل وفق الثوابت القطعية الشبيهة بالأسوار والسقوف.

لكنه داخل هذه القوالب الجامدة يتحرك بحرية واسعة، ويمتلك الكثير من المرونة والليونة، فيستعصي على التغيير ويستوعب المتغيرات بسلاسة منقطعة النظير.

وبهذه المعادلة يضمن المجتمع المسلم تطوره المنشود، دون أن يفقد هويته المميزة ووحدته اللازمة.

⚠ علامة تعجب:

كم أتعجب عندما أرى أناساً لم يحسنوا التأهل لارتياد (عالم الشهادة)، ومع ذلك يقتحمون (عالم الغيب) بكل غرور، فيتيهون في صحراء السرمدية ويتبددون في بيداء الأزلية، يغرقون في لجج الأحاجي ويتعلقون في دوامات الجدل.

وبهذا فإنهم يسيؤون إلى (عالم الغيب)، ويتركون ثغورهم شاغرة في (عالم الشهادة!(

بين المنهجة والتلقين:

التعلم المنهجي يستقر في حقول العقول، حتى يرويها ويغذيها ليصبح جزءاً منها.

وأما التعليم التلقيني فإنه كالسيل العرمرم ذي التدفق السريع، حيث يجرف تربة الفكر ويجعل تلال العقل صعيدا جرزاً!

ولا يثمر التعليم التلقيني إلا بعض المسائل ذات المنزع الغريب، والقضايا الجدلية الشائكة، مع قليل من العلم البسيط، وشيء من نفع قليل!

عنقاد:

إن التفوق في تحصيل العلوم النافعة، هو سبيل التألق في حصاد الأعمال الرافعة.

بوركتم



عناقيد الفكر (١٣)
استمطار الأنوار

رياح الإيمان:

عندما تهب رياح الإيمان العليلة إلى آفاق الشخصية، تقوم بتلقيح أشجار الثنائيات، فتمزِج المادة بالروح، والفطرة بالخبرة، والقلب بالعقل، والدنيا بالآخرة.

وبذلك تتمازج هذه الثنائيات وتتكامل، وتؤتي أكل الصالحات كل حين بإذن ربها.

شمس الوجود:

الله عز وجل هو شمس الوجود، وضياء الخافقين، ونور السماوات والأرض.

ولا يمكن أن تشرق إنسانية الآدمي، وتتغلب شفافية الروح على عتمة التراب، بدون الاقتباس من أشعة الوحي، والاستهداء ببصائر الآيات .

إشراق الغسق:

عندما يغسق الليل وتحتلك دواجيه، تهدأ الكائنات ويسكن الإنسان، تتعطل الحركة وتتوقف الشواغل، فيصفو عقل المؤمن وتنبعث أشواق قلبه، وتسكن أنفاسه وتستكين نفسه، وتصير أكثر قابلية للترويض.

ولهذا فإن أفضل الصلوات لقلب المؤمن، هي ما كانت في قلب الليل، إذ كلما اشتدت سدف الظلام ازداد تدفق شلالات الضوء، وكلما خيم السكون ازدادت قدرة ملكات العقل على الاستنارة وقابلية القلب للإشراق .

ومن هنا صارت صلاة الثلث الأخير من الليل أنقى نورا وأرقى زادا، وبالذات في الساعة التي تسبق انبلاج الفجر وانبثاق الضياء.

ضياء التهجد:

عندما تظلم شمس الكون تشرق قلوب المؤمنين، حيث تحتسي الأفئدة ضياء التهجد الذي هو شعاع من شمس الوحي وقبس من أنوار الخالق سبحانه، فهو النور "نور السماوات والأرض"، كما أورد في سورة سماها بالنور.

بين النار والصلصال:

يمكن القول بأن المعركة بين الإنسان والشيطان، ذات أبعاد عديدة والبعد المادي أحدها، حيث الصراع المحتدم بين عنصري الصلصال والنار.

غير أن انتصار الصلصال الطيني مرهون بقوة اتصاله بالنور الرباني، واستمداده من ضياء الرحمن، عندها يستحيل الصلصال إلى عنصر قوي لا يزده شواظ النار إلا صلابة وأصالة.

☁استمطار سحب الدعاء:

عجباً لمن يموتون هلاكاً في قفار الجفاف، وفوق رؤوسهم مزن الاستغاثة مثقلة بالغيث المدرار، وسحب الدعاء ملأى بالخير العميم.

ارفعوا أكف (الضراعة) حتى ينقذكم الله من طعام (الضريع)، ويخرجكم من المخمصة والمسغبة إلى العسل والعجول السمان!

ادعوه خاشعين حتى يزيل أشجار الزقوم من أراضيكم، ويظللها بأشجار طوبى ودوحات الرضوان.

ادعوه مخلصين حتى يرفع عنكم أسواط الذل والهوان، وتعودوا أعزة في دياركم، كرماء في صياصيكم، أحراراً في أوطانكم .

ادعوه راغبين راهبين أن يمنحكم من كل خير، ويرفع عنكم كل ضير، في شؤون المعاش والمعاد، فإن خزائنه متخمة بالآلاء والنعم.

ادعوه أن يخلصكم من سنين أعماركم العجاف، وأن يجعلها اعواما سماناً، تزخر بالعلم والعرفان، وتحفل بالخلائب والخيرات، وتتزين بالسعادة والمسرات.

عنقاد:

من لم يستمطروا (أنوار السماء)؛ أجدبت أرواحهم وتردوا في (ظلمات الأرض!)

بوركت جمعتكم



عناقيد الفكر (١٤)

قوارب البحث العلمي

مشكلة المشكلة:

في مناهج البحث العلمي لابد من تحديد المشكلة تحديداً دقيقاً، بعيداً عن التهويل أو التهوين، وبدون ذلك سيقع الباحث في مشكلة كبيرة، إذ لن يرسم الهدف بدقة، ولن يختار الطرائق والإجراءات المثلى، ولن يتوقع الصعوبات الحقيقية، ومن ثم قد يحصد نتائج مضللة، فتضيع الجهود المضنية سدى، وتهدر الأوقات والأموال بدون طائل.

اصطياد المعارف:

المنهج العلمي الصارم هو قارب النجاة للباحث من الغرق في بحار المعلومات المتلاطمة، أو دوامات الرؤى المتضاربة والنظريات المتناقضة، حيث يحمل ركابه إلى شواطئ النجاعة وضفاف الاكتشاف.

وهو الضامن لعدم الانجراف مع رياح الأهواء وأعاصير العصبيات ودوامات التحيز.

وهو الوسيلة الكفؤة لاصطياد الخبرات الثرية، واكتشاف الحقائق المتخفية في مخابئها، وأداة لاستخراج المعارف الجميلة من أصداف المصادر والمراجع.

⚠جزائر الدهشة:

يهدف البحث العلمي للوصول إلى جزائر الاكتشاف المدهش والابتكار المبهر، من أجل جلب الحلول لمشكلات الناس، وصنع المخارج لأزماتهم، وتركيب الأدوية

لمعضلاتهم، وتوفير الأجوبة لأسئلتهم، بما يزيد من الكفاءة في عمارة الأرض، وما يخدم الكليات الإنسانية: ديناً، ونفساً، ومالاً، وعرضاً، وعقلاً .

ولما كان لكل مجتهد نصيب، فإن الشعوب التي أنفقت بسخاء على البحث العلمي قد اعتقلت نواصي العزة وارتادت مقامات الدهشة، وجلبت من جزر المعرفة ما أصاب البشر بالانبهار، وما حقق لها العيش الرغيد، ومتعها بالرفاهية العالية.

أسئلة الحقيقة:

كيف يمكن للإنسان أن يسعد ويبتهج إن لم يتخلص من الرتابة والقوالب الجامدة؟

وكيف يركب بحار المعرفة من لم يركب قوارب البحث العلمي؟ وكيف يستمتع بدهشة الاكتشاف ولذة الارتياد، من لم يعالج أهوال الاقتحام ويكابد غصص البحث ويدافع أخطار الإبحار؟

وكيف يمكن أن يصبح رباناً ماهراً، من لم يمتلك صبر الربان وصلفه، ولم يتسلح بإرادته وتصميمه؟

وكيف يحفظ طاقة الصبر والتصميم من التكسر على أمواج المصاعب والمشاق، من لم يحدد وجهة السير بدقة ويمتلك التصور الكامل عن النفع والجمال الذي سيصل إليه؟

وكيف سيتم الوصول إلى جزر المعرفة البهيجة والجمال الفاتن، دون خارطة السير وبوصلة الموضوعية؟

هذه الأسئلة تبين أن البحث العلمي سلسلة من الجهود المضنية، لكن الجوهر يكمن في الوعي والموضوعية، وبدون الموضوعية ستستهوي الباحث أموراً تحرفه عن المقاصد أو تشوه الحقائق، وربما أغرقته في لجج التعصب أو دوامات التحيز.

إيقاظ الأسئلة:

عندما تكون بوصلة الفكر سليمة، فإنها توقظ الأسئلة النائمة في قعر العقل، وتثير الحساسية الصحية للشخص، فتجعله ذا قلق معرفي عميق، وتذكي أشواق الفكر، وتحفز أتواق الاكتشاف، حتى يجد متعته في ارتياد المجهول والتنقيب عن الحقائق، وفي اكتشاف جواهر الحكمة واستخراج لآلىء النفع.

عنقاد:

إن لم تعرف ما يراكم البحث العلمي من مكاسب، فاسأل نفسك لماذا تنفق عليه المجتمعات المادية مئات المليارات؟!

بوركتم



عناقيد الفكر (١٥)

شموع الأسئلة

انطفاء الشموع:

انطفأت شموع الأسئلة عند مسلمي عصرنا، نتيجة هبوب أعاصير عديدة، أهمها:

-رياح الفكر الجبري التي أحالت الإيمان بالقدر إلى أفيون، خدر العقول وأصاب الفاعليات بالشلل.

-رياح الحتميات التأريخية التي هيمنت على الناس، وجعلتهم مجرد تروس في آلات.

-رياح التيار الجمعي التي جعلت الفرد جزءاً من قطيع، لا يملك إلا أن يتحرك معه أينما تحرك، بدون أدنى وعي أو اختيار!

ثقافة السؤال:

لا يمكن لثقافة الأسئلة أن تزدهر وتزهو، في ظل سيطرة البدهيات وسطوة الحتميات.

ولا يمكن لأشجارها المثمرة أن تنمو داخل القوالب الجامدة، ويستحيل أن تبسق تحت السقوف المنخفضة، والتي يسمونها بالخطوط الحمراء!

إن ثقافة الأسئلة تحتاج إلى معرفة خصبة وآفاق رحبة، وتتطلب خيالات واسعة وحريات مرتفعة، لا تحدها إلا أقطار السماء، وهي النصوص الإلهية ذات القطعية في الثبوت والدلالة.

✏أعواد الأسئلة:

يمكن القول بأن التخلف ركام هائل من رماد الإجابات الجاهزة، التي تكومت فوق أعواد الأسئلة ومنعتها من الاشتعال والإشعاع.

ولأن الواقع يعاني من صقيع التخلف، فإن الحاجة ماسة لجرف رماد الإجابات التقليدية الجاهزة، والتي قولبت العقول، وجمدت الأفكار، وبلدت المشاعر، ولابد من النفاذ إلى أعواد الأسئلة، لإيقاد جذواتها، وصولاً إلى إشاعة الاستنارة وتعميم الضياء.

مصابيح التساؤل:

من المعلوم أن الطبيعة مليئة بالكهوف المظلمة والأخاديد السحيقة، وأن الحياة تعج بالأسرار والألغاز، وتمتلىء بالأحاجي والطلاسم.

وما لم يشحذ المرء سيوف الأسئلة ويتسلح بها في ارتياد الأماكن المظلمة، وما لم يشعل مصابيح الاستفهام التي تعينه على البحث والتنقيب، وعلى التقصي والتحقيق، فستظل الكهوف حافلة بالأسرار، وستستمر السراديب زاخرة بالألغاز، ومن ثم لن يتقدم الإنسان إلى الأمام، بل ستسحبه تيارات الجمود إلى الخلف.

مجهر الحاضر:

إن (استشراف الآتي) يساعد على (إدراك الآني) بصورة أدق، كأن حزم الضوء التي يحاول بها المرء رؤية المستقبل تصير مجهراً ينفذ إلى دقائق الحاضر.

ولا شك أن الأسئلة تساهم بفاعلية في تركيز حزم الضوء، وتحويلها إلى أشعة لاكتشاف الأسرار التي لا تدركها النظرات العابرة، ومجاهر لملاحظة الدقائق التي لا تراها الأعين المجردة.

؟ حتى الملائكة تسأل:

عندما أراد الله خلق آدم أخبر الملائكة بذلك، فسألت الله سبحانه وتعالى قائلة: {أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ...}؟ فأوضح الله لهم أنه يعلم ما لا يعلمون.

فما هي الحكمة من سؤال الملائكة لله، والذي بدا كأنه اعتراض، مع أنها كائنات نورانية مجبولة على الطاعة المحضة؟

يبدو أن إحدى علل ذلك الاستفسار، هي تعريفنا بأهمية الأسئلة في القيام بأعباء الاستخلاف وصناعة الحياة.

ولأهمية الأسئلة في إقامة الحضارة، فقد اعتنق عالم رياضيات أمريكي الإسلام، بعد أن قرأ تلك الآيات، وألف كتاباً رائعاً تحت عنوان: "حتى الملائكة تسأل!"

عنقاد:

عندما حول المسلمون أسئلتهم من (عالم الشهادة) إلى (عالم الغيب)؛ انتقلوا من (المتن) الحضاري إلى (الهامش).

بوركتم



عناقيد الفكر (١٦)

مزاهر الحُب

الهوى العليل:

عندما يستقر الإيمان في قلب الإنسان، فإنه يجعل ما يستقر فيه أتواق وأشواق، وما يخرج منه من حب أو كره ومن شغف أو بغض، يجعلها الإيمان طيبةً ومنسجمةً مع تعاليم الله عز وجل وتوجيهات رسوله صلى الله عليه وسلم .

ولأن القلب يصير بالإيمان بستاناً عامرا بالخلائب، يكتسي حلل الجمال ويزدهي بأفياء النفع، فإن الهوى الذي يهبُ منه لا يكون إلا عليلاً .

ولذلك قال صلى الله عليه وسلم: "لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعاً لما جئت به."

الصعود في درج الحُب:

إن حُب الله لا يلغي العمل بالأسباب بل يتطلبها ويؤكد على العمل بها، لأنه لا يصعد إلى مقام الحب الرفيع إلا من تأهل وتجمل، ومن تسبب وتوسل، ومن كابد وجاهد.

وإن لم يسفح الدم المقدس في درجات الصعود إلى مقام الحب، سيسيل حتما العرق البارد، وسينسكب الدمع السخين.

عطايا الابتلاء:

لا تقاس محبة الله للعبد بالعطاء الدنيوي، فالعطاء ثمرة التسبب المادي البحت، والدنيا يعطيها الله لمن يحب ومن لا يحب.

ومقياس حب الله هو العطاء الأخروي الخالد، وتظهر مقدماته في الدنيا، من خلال التوفيق في اجتراح الأعمال والتفوق في استثمار الأعمار، والتعرض لمكفرات الذنوب ورافعات الدرجات، ومنها الابتلاء في النفس والأهل والمال .
ولذلك قال صلى الله عليه وسلم: "إذا أحبّ الله قوماً ابتلاهم!"

عبودية الحُب:
لا ينهى الإسلام عن حب الأهل والعشيرة، ولا عن الوله بالوطن والمال، ولا عن عشق الحياة الطيبة والعيش الحسن، بل نهى عن تقدم هذه المحبوبات المادية على حب الله ورسوله، كما نصت الآية ٢٤ من سورة التوبة، حيث حذر القرآن من صيرورة هذه الأعراض "أحب" إلى المؤمنين من الله ورسوله وجهاد في سبيله.

بمعنى أن المؤمن يحب كل شيء نافع أو جميل، لكنه أشد حباً لله ورسوله، وعلى هذا فإن المسلم الحق يتعبد الله تعالى بالحب والغرام، حيث يعشق الزوجة والأولاد والمال، ويهوى أهل الإبداع والإمتاع.
ويتقرب إلى خالقه عبر الشغف بأصحاب الصلاح والفلاح، والهيام بذوي التألق والتأنق.

مقام السداد:
إن أعلى مقامات الرضى التي يمنحها الله لعباده المؤمنين هو مقام الحُب.
لأن ارتقاء هذا المقام الرفيع يعني الوصول إلى معية الله والحصول على معونته.
وبذلك فإن المؤمن يسكن منازل الكمال، ويؤتى خيرات الحكمة، فقد جاء في الحديث القدسي الصحيح: "إن العبد إذا تقرب إلى الله بالفرائض والنوافل حصل على محبته،

وعندها يصير تعالى سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها."

وبهذا الحب يصير مسدداً في أقواله وأفعاله، موفقا في مدخلات جوارحه وجوانحه وفي مخرجاتها.

استفهام:

إذا كانت سائر النعم والعطايا المادية بحاجة إلى شكر عظيم، فكم تحتاج منحة الحب وعطية الوجد من شكر الله تعالى؟!

عنقاد:

إن الوصول إلى مقام الحُب الإلهي هو اعتلاء لمقام التسيد والسداد.

بوركتُم



عناقيد الفكر (١٧)

نسبية الألوان

نسبية الأحمر:

اللون الأحمر لون أكثر أنواع الورد، والورد هو عنوان الجمال والدلال في الدنيا، ومصدر من مصادر تأنق الحياة وتدفق الروعة فيها.

وهو ذاته لون الدم الذي يراق من أوردة الإنسان والحيوان عندما يتعرض للذبح أو القتل، كأن انسكاب الدم يرمز إلى انسحاب الحياة منه!

و(الحُمرة) التي تعلو وجنات الإنسان هي رمز للحياء والخجل والشرف والغيرة، وهي رمز لليالي المجون والعهر التي يفقد المرء فيها شرفه وغيرته بل وآدميته، حيث توصف بالليالي (الحمراء!(

نسبية الصُفرة:

هناك مثل عربي يقول: "ليس كل أصفر رنان ذهباً"، فإن صُفرة الذهب التي تسحر العين وتأسر القلب، ليست كصُفرة الزرع الذابل والأوراق المتساقطة التي تبث موجات الكآبة وتبث أنفاس التعاسة!

بل وشتان بين صُفرة الشمس عندما تشرق وبين صُفرتها حين تغيب، رغم أن الشمس هي الشمس، واللون هو اللون نفسه!

وعلى هذا فتؤكد النسبية أن قيمة الشيء لا تتضح إلا في ضوء المحيط الذي ينغرس فيه، والبيئة التي يعيش وسطها، والظروف التي تحيط به!

نسبية السلام:

اللون الأبيض هو رمز المحبة وسلامة القلوب، وعنوان السلام والوئام بين الناس، وعكسه اللون الأسود فهو رمز الأحقاد والضغائن، وعنوان الحروب والشرور.

لكن الأبيض ليس مطلوباً في كل حال، ففي الحروب العادلة ضد العدوان الغاشم، تستقبح مواجهته بالرايات البيضاء وأغصان الزيتون، ويصبح من أعظم الشجاعة والرجولة مواجهته بالموت الزؤام والمنايا السود!

نسبية البياض:

يمكن القول بأن اللون الأبيض جميل والأسود قبيح، لكن هذا الأمر ليس على إطلاقه، فإن من المعايير التي تحدد جمال اللون، المكان الذي يوضع فيه والوظيفة التي يؤديها. ولذلك صارت الأذهان تتقزز من الكفن رغم أنه أبيض، لارتباطه بالموت وفقدان الأحبة، بينما تستهوي الإحرام، وهو قماش أبيض كالكفن، لارتباطه بفريضة الحج التي هي موسم من مواسم العبادة وصناعة الحياة، ولاتصاله ببيت الله الحرام!

نسبية السواد:

اللون الأسود هو لون الليل الذي تقترف فيه أكثر الجرائم والرذائل، ورمز العمى الذي يفقد به الإنسان رؤية ألوان الطبيعة والاستمتاع ببهجة الحياة.

ولكن أجمل حجر في هذه الأرض وأزكاها وأسعدها، هو الحجر (الأسود) المغروس في أحد أركان الكعبة المشرفة، حيث تشرف بغير ذاته، وذلك نتيجة وضعه في هذا المكان المقدس، وتقبيل النبي صلى الله عليه وسلم له واستلام ملايين من البشر له كل عام.

ولذلك سماه الداعية التركي فتح الله جولن: "الحجر الأسعد!"

خارطة الألوان:

تقتضي نسبية الألوان توزيعها بوعي عال وذوق رفيع، والفنان العبقري هو الذي يجيد التعامل مع خارطة الألوان، وتوظيفها بذكاء في صبغ لوحات الجمال، ورسم علامات الدهشة على وجوه الناظرين!

عنقاد:

كلما كانت الألوان أكثر ازدهت الحياة بشكل أكبر، ما دام كل لون موضوعا في مكانه اللائق، وبالقدر المناسب!

بوركتم



عناقيد الفكر (١٨)
فجوات الفكر

الانفصال عن الواقع:

هناك مفكرون يحسنون صياغة ما هو ممكن عقلاً، لكنه غير ممكن واقعاً، وذلك نتيجة سوء فهمهم للواقع، إما لقصور وتقصير ذاتيين، أو لإبعادهم عن الواقع كرهاً، من قبل عتاولة الاستبداد السياسي.

الانفصام الأخلاقي:

تعاني مجتمعاتنا من انفصام خطير في صروحها الأخلاقية، إذ أن منظريها يبالغون في نسج أخلاقها بشكل مثالي جداً، يجعل من الصعب تطبيقها.

وفي المقابل تجد أكثر العاملين في الميدان يضربون بأساسيات الأخلاق عرض الحائط، فضلاً عن المكارم والآداب والذوقيات التي يدوسون عليها بأحذية (البراجماتية!(

إن المثاليات النظرية تساهم بدون وعي في تعقيد المشكلة وتوسيع الهوة، حيث يزداد أدعياء الواقعية غرقا في أوحال الذرائعية الباحثة عن النفع على أي وجه كان.

وبهذا وذاك تتفاقم مشكلة التخلف، وتزداد تجذراً وانتشاراً .

الفكر العنكبوتي:

إذا كان السلوك هو مرآة الفكر، فلماذا نستغرب أن يكون الإنسان العربي المعاصر عدوانياً، مع أن كثيراً من أفكاره تقدم له في حالة من التناقض والصراع والتضاد مع بعضها، كالثنائيات المتكاملة فإنها تنزلق عند غالب مسلمينا إلى مربع التآكل، فتحدث فوضى

داخل شخصية الفرد، مما يجعله مستنفراً، جاهزاً للاختلاف مع من يقابله، ومتوثبا للانقضاض على من يختلف معه؟!

فالأصول والفروع متناقضة عند هؤلاء، والكليات والجزئيات متنافرة، والمقاصد والوسائط في حالة من التضاد .
وفي هذا السياق يجتاح دعاة التقليد المعاصرة بحجة الأصالة، ليقابلهم رموز التغريب باجتياح الأصول تحت مبرر المعاصرة!

ولأن الطرفين يخلقان عداوة بين النقل والعقل، فيعتقد الوعاظ أنهم لن ينصروا النقل إلا إذا اجتثوا العقل، ويؤمن دعاة العقل بأن العقلانية لن تجد سبيلها إلى الواقع إلا إذا حبسوا الوحي في صندوق محكم الإغلاق!

وفي ذات السبيل ظهرت ثنائيات متصارعة أخرى، مثل: الرجل والمرأة، المادة والروح، الدنيا والآخرة.
وبهذا تحولت مجتمعاتنا الإنسانية إلى ما يشبه بيوت العنكبوت!

بين التفاني والفناء:
في عصور الضياء اهتم التدين الراشد باستثمار الأسباب التي تبرز (الكرامة) الإنسانية في أبهى حلة، وفي عصور التراجع اهتم التدين العام بالبحث عن الأسرار التي تحقق (الكرامات) الخارقة للعادة!



ولذلك ستقرأ في سيرة الصحابة والتابعين الكثير من قصص (التفاني) في خدمة حقوق الإنسان، بينما ستقابلك في حياة الصلحاء المتأخرين الكثير من القصص التي تدعي (الفناء) في الله عز وجل!

القبلة الواحدة:

الفكر الباني يستطيع توحيد شمل الذات، ويجعل الشخصية متماسكة الأبعاد، متكاملة الطاقات، متينة البناء، موحدة القبلة.

عنقاد:

في أفكارنا التقليدية فجوات خطيرة، من خلالها تسرب التخلف إلى ذواتنا، وتسلل الأعداء إلى أوطاننا .

بوركتم



عناقيد الفكر (١٩)

♣طبائع التخلف♣

♠التكييف السقيم:

التكيف سلاح منحه الله للخلق، لكي لا تصدمهم متغيرات الحياة السريعة، لكن هذا السلاح يرتد إلى صدورهم في المجتمعات التي تمكن الاستبداد فيها من أفكارهم، حيث تحيله إلى نفاق يذلل ظهورهم لمن كان أقوى على الركوب، وأنكى في العقاب، ويشجع من هو أجسر على المغامرة والمقامرة!

وتتوافر في مثل هذه المجتمعات قطعان من البشر، يركبها ظالم رأسمالي فتهرول نحو اليمين، فإذا انقلب عليه مستبد يساري ولت وجهها بسرعة شطر اليسار!!

✳تبعثر المسلمين:

إن كثيراً من ما نسميها بالمجتمعات الإسلامية المعاصرة إنما هي تجمعات لا مجتمعات، ذلك أن أوضاعنا المتردية بين المحافظة والحداثة، قطعت الأواصر الإسلامية الرابطة بين أوصالها كالأخوة والقرابة والتعاون بحجة أنها رجعية، دون أن تصل إلى طرائق الغرب في صناعة الوعي الجمعي والحس الوطني، أو تمتلك تأطيره السياسي والقانوني الضامن لوحدة المجتمع، بمبرر أنها علمانية!

وبهذا فقدنا الفرد الإيجابي النافع، ولم نصل إلى التأطير الغربي الجامع، فانبعثت فردية مقيتة، على مستوى الحكام والمحكومين وكذا الأنظمة والمنظمات، وأشاعت هذه الفردية الشاذة الكثير من الآفات وصنعت العديد من الفواجع.

♺الجري في ذات المكان:

رغم سرعة المتغيرات في هذا العصر، ورغم مرور ما يزيد عن نصف قرن علي استقلال بلداننا، فإن التغيير المنشود لم يتحقق بعد، والعوامل المسؤولة عن ذلك عديدة، ومنها شيوع مناخ التوتر فيها، فالحكام يديرون بلدانهم بالأزمات، وإذا حققوا شيئاً من الاستقرار المؤقت فبقوة الحديد والنار لا بقوة الإقناع وسلطة القانون!

وبالنسبة للتيارات الاجتماعية فهي غائبة عن الوعي أو حاضرة بوعي التربص بالآخرين والتآمر عليهم، ولا سيما تياري التغريب والتقليد، فمن لم يكن من هؤلاء ولا أولئك فهو مستهدف من الجميع!!

كسب الناس:

من ثمار تكييف الفكرة المقتبسة مع الهوية الذاتية، كسب رضى الناس، ومن ثم يصبحون أدوات للتطبيق والتطوير. وبدون ذلك يصيرون أحجار عثرة ومعاول هدم.

وهذا هو ما يحدث في البلدان الإسلامية، التي فرضت أفكار الاقتباس فيها فرضاً، من قبل أقليات تغريبية مستبدة.

ولهذا لم تزدد طينة التخلف إلا بلة، ولم تزد فجوات المجتمعات إلا اتساعاً، حتى أن مجاميع من التيارات المحافظة قاومت محاولات الفرض والقسر بكل ما أوتيت من قوة وعتاد.

تأثيرات البيئة:

لكي تستوطن العلوم وتتطور، تحتاج إلى بيئة صحية وأرضية فكرية متينة.

وكمثال على ذلك أدى تخلف المجتمعات الإسلامية في القرون الماضية، إلى تخلف العلوم الشرعية رغم انحصار الاهتمام الكبير بها، مما أدى إلى ظهور أعداد كبيرة من

فقهاء الجهل وكلاميي الضلال، مع استثناء قليل من العباقرة الذين تخلصوا من تأثيرات المكان والزمان، نتيجة اعتصامهم بالمنهج العلمي في القرآن الكريم .

المثالية العليلة:

إن تقديم تأريخنا بصورة مثالية بعيداً عما كان يعتمل فيه من خير وشر، ومن قوة وضعف، له آثار ارتدادية سلبية على واقعنا.

فكلما زادت صورة التأريخ توهجاً في أذهان الناشئة زادت صورة الواقع قتامة، وكلما تمت المبالغة في سرد الانتصارات، وإبراز دور عالم الغيب فيها على حساب عالم الشهادة، تعمقت السلبية وطال انتظار الناس لتدخل عالم الغيب، ومن ثم تزداد الانكسارات اتساعاً ويتسع الخرق على الراقع!

عنقاد:

واقعنا مترع بمنظومة متكاملة من التخلف، ولا يمكن الخلاص منها إلا بمنظومة من الرؤى والخطط والبرامج والوسائل ذات الصبغة التقدمية.

بوركتم



عناقيد الفكر (٢٠)

مسالك المتقين

عزائم الرجال:

العزائم القوية من أهم شروط فاعلية الإنسان، وما أقدم آدم عليه السلام على الأكل من الشجرة إلا لضعف ذاكرته وعزيمته،كما جاء في القرآن.

ولقد اعتلى هرم النبوة المباركة خمسة من الرسل العظام، لم تؤهلهم لهذه المكانة الشريفة إلا عزائمهم الجبارة وأنهم أشد مضاء من غيرهم، ولهذا أطلق عليهم أولو العزم من الرسل!

ولا يبلغ منزلة الرجولة الحقة والفاعلية البنائية من كان صاحب عزيمة ضعيفة وإرادة خوارة، مهما كانت صفاته الأخرى رائعة .

مسالك الخواص:

من تأمل في مسالك الخواص الذين بلغوا شأواً بعيداً في العبودية الجامعة، سيجد أنهم أصحاب علم نفيس وإخلاص سابغ، وأهل إرادات جبارة وهمم عالية.

وسيجد أنهم بارعون في استثمار أوقاتهم، وباهرون في اجتراح الوسائل والأساليب التي تقدم النفع للخلق وتنحاز دوماً للحق، حيث يستعصون على رياح الأهواء وجواذب العصبيات.

مجاديف العارف بالله:

العارف بالله هو الذي خاض بحار العلوم والعبادات حتى وصل إلى شواطئ اليقين وضفاف الإيمان، وهو الذي مخر عباب آيات الأنفس والآفاق بمهارة فائقة، حتى وصل إلى جزائر الدهشة، حاصدا ثمار الخشية من الله تعالى .

ولم ينجُ من أمواج الأوهام ودوامات الخرافات إلا بركوبه قارب المنهج العلمي، واستخدامه لمجاديف السير الآمن، وهي:

-تفعيل بوصلة الأصول حتى لا يغرق في الجزئيات، وبحيث لا يولي وجهه شطر المتغيرات إلا وفق مؤشرات الثوابت.

-البحث عن الحقيقة الخالية من الزيف، والمتجردة عن الأهواء والعصبيات والمسلمات المسبقة.

-الحرص على اصطياد النافع المفيد من كل علم، واستخراج لآلىء الحكمة ومرجان الجمال، وترك ما دونهما مما لا ينفع أو يمتع.

-استخدام المنهج التجريبي، والتسلح بالوسائل النافعة، وتجديد الأساليب وطرائق السير، بحيث يتحقق النفع بأنجع الوسائل وأقل التكاليف.

ذوقيات المتقين:

إن عباد الرحمن المتقين، يقصدون في سيرهم، ويمشون على الأرض هونا، فلا يتبخترون كبرا، ولا يذرعون الأرض خيلاء.

إنهم يدركون أنهم لن يخرقوا الأرض ولن يبلغوا الجبال طولاً، ومن شدة لطافتهم لا تحس الأرض وقع أقدامهم!

ويكاد أدبهم الجم أن يجعل أصواتهم همسا، حيث يغضون من أصواتهم، ويتوددون في خطابهم، ولا يعرفون اللدد بالقول، ولا يحبون المماراة في الكلام، ويكرهون الجدل الذي يوغل الصدور، ولا يقطعون الحديث، ولا يسيئون الأدب .

تتزين أذواقهم بمكارم الأخلاق، وتنسجم مع أشواق الروح للترقي، ومع أتواق الخلود تحت سقف الفردوس الأعلى .

اقتباس الكرام:

كرام التقوى أينما ذهبوا يظلون كراماً، حتى في الاقتباس من غيرهم، فإنهم لا يأخذون إلا درر الحكمة، ولا يقتبسون إلا غرر الأدب، ولا يقطفون إلا أينع الثمر.

نقيضان:

للذواقين ألفاظ ناعمة كالحرير، وللجفاة عبارات شديدة كالحديد. كلمات الجفاة سيوف تُكلم، وكلمات الناعمين أدوية تُبلسم .

الحسم والعزم:

إنما كسير الإرادة من تأسره العادة، والمعوق حقاً هو مصاب العزيمة.

وإن صاحب التقوى ذو إرادة حاسمة وعزيمة حازمة، لا يقبل التردد ولا يعرف التواني.

عنقاد:

العزيمة القوية (إكسير قادر) على جبر (كسور الشخصية.)

بوُركت جمعتكم



عناقيد الفكر (٢١)

حبائل الاستعباد

٦حبال الفقر:

الفقر من أهم صناع الاستعباد، إذ كيف يمكن أن يكون المرء حراً وحبال الضوائق الاقتصادية تلتف حول عنقه؟!

ولذلك فإن الطغاة يقودون الكثير من الضعفاء بخطام فقرهم رغم أنوفهم!

ريحانة الكرامة:

لقد أصَّل فقهاء السوء ونُسَّاك الموت، لعبودية الإنسان لأخيه الإنسان، بعد أن حرره الإسلام من شتى العبوديات.

ووصل الحال إلى ظهور مواطنين ومريدين صاروا بين أيدي حكامهم ومشائخهم كالميت بيد المغسل، نتيجة الطرق المتواصل على رؤوس الاستقامة ونواصي الكرامة.

ومن عجائب أحد المتصوفة أنه كان يلزم مريديه وزائريه بتقبيل يده عند الدخول عليه والخروج، فلما اعترض أحد الفقهاء قال له:يا فقيه! المؤمن ريحانة الله في أرضه، ولا بأس بشم الريحان عند الدخول والخروج!

الجنة تحت أقدام (الباباوات):(

وهناك متصوف آخر أشاع أحد مريديه، أن النبي صلى الله عليه وسلم أخبره في المنام بأن من قبل قدمي شيخه دخل الجنة!

فالجنة في شريعة الرهبان لم تعد تحت (أقدام الأمهات)، بل تحت (أقدام الباباوات!(

أنابيب الحرية:

الحرية المنظمة هي الأنابيب التي توصل طاقة البناء من حقول الاستخراج، وهي العقول والسواعد البشرية، إلى حقول الإنتاج، حيث عمارة الأوطان وصناعة النهوض المنشود.

بين البطالة والكرامة:

من المؤكد وجود ارتباط وثيق بين البطالة والكرامة، إذ كلما (ارتفعت) نسبة البطالة في أي مجتمع، (انخفض) منسوب إنسانيته وكرامته!

بدائل الوفرة والندرة:

في المجتمعات الغنية بعسجد الحرية، تكثر البدائل التي تجسد الحرية في المقدمات والنتائج، وفي المظاهر والآثار .

أما المجتمعات الخانعة تحت نير الاستعباد، فخياراتها محدودة؛ لأن حتمياتها وفيرة وأفكارها نادرة، ولأن طرقها إجبارية وقوالبها جامدة.

غنى النفس:

الغني هو من يملك ما يغنيه عن الناس من أشياء، والأغنى من يستغني عن هذه الأشياء، وهذا ما يسمونه بغنى النفس!

سماوات الأوطان:

الأوطان المتقدمة هي كواكب ارتفعت في سماء المجد، على أعمدة العدل والحرية والعلم والعمل، ولم ترفعها الأماني والأحلام والشعارات والمظاهر الجوفاء .

حبال وحبائل:
للطغاة وأئمة الجور الكثير ممن يفتلون لهم الحبال التي يخنقون بها أنفاس الحرية، والوفير من الحبائل التي يقيدون بها أيدي الكرامة، ويغلون بها أقدام السير نحو التقدم، ومن هؤلاء للأسف: مفكرون وسياسيون ومثقفون وفنانون ووعاظ وفقهاء سوء.

عنقاد:

إن أسوأ حبائل الاستعباد هي المصنوعة من خيوط الدين، لأن الانعتاق من ربقتها يصبح كفرا عند كهنة التدين الزائف!

بُوركتم





عناقيد الفكر (٢٢)

❄محاضن الشرور❄

❄شدة البأس:

إن كل بأس يصرفه المسلمون في الاحتراب الداخلي والاقتتال البيني، إنما ينصب لصالح العدو الخارجي المتربص بالجميع الدوائر، والذي يمنعه الخوف من الاقتراب منهم في الوضع الطبيعي.

وهذا الاقتتال هو من يجعل الأعداء أولي بأس شديد في مقاتلة المسلمين رغم حرصهم على الحياة، حيث يجوسون خلال الديار، ويسفكون أطهر الدماء، وينتهكون أقدس الحرمات، وينهبون أعظم الأموال، ويصادرون أخطر الحقوق، وبدون أدنى خوف من المسلمين، بعد أن أذهبت النزاعات ريحهم!

❄العيش في الظلام:

عندما صار للمسلمين إمام آخر غير القرآن الكريم؛ دلكت شمسهم عن سماء الحضارة، ودالت قوتهم عن أفق المجد، فتراجعوا القهقرى، حتى غربت حضارتهم، وآلوا إلى حظائر التخلف، واستمرؤوا العيش في غسق الجهل، وألفوا الحياة في دياجير الجور.

❄الحق والقوة:

كلما كان الناس أقرب إلى (الحق)، صاروا أبعد عن استخدام الآخرين ل(القوة) ضدهم. وكما قال د. عبد الكريم بكار: "فإن القوة هي التي تملأ الفجوة بين الناس والحق، وكلما كان الابتعاد عن الحق أكبر كانت الحاجة إلى استخدام القوة أعظم."

هذا يحدث على كل المستويات، أما على مستوى العالم كله، فإن الدول الغربية تتأهب لاستخدام القوة ضد محاولات المسلمين لتحقيق الاستقلال والنهوض.

وعندما لا تجد الشجاعة ولا المبررات للتدخل، تتولى أجهزة استخباراتها بطرق ماكرة، دفع أنظمة أو منظمات للجنوح نحو التطرف والإرهاب!

وعندما تحيد الأنظمة أو المنظمات عن الحق، كما فعل العراق باحتلاله للكويت، وداعش بمغامراته في العراق وسوريا؛ عندها تتسع الفجوة الناشئة فيملؤها الغربيون بالقوة، تحت لافتة العولمة الحضارية ومحاربة الإرهاب الدولي!

❇غياهب الكرى:

ما دام الورى بعيدين عن سنن الله فإنهم واقعون لا محالة في غياهب الكرى، ولذلك لا يرون طرائق الويل التي يسيرون فيها، ولا يعرفون مدى بعدهم عن صراط الحق، ولا يخافون من عواقب الهلاك ومآلات الخسران.

وإن معرفة السنن واستثمارها، من ثمار العلم النافع والوعي السابغ، ومن ثمار السير في آفاق الأرض والإبحار في قراءة أسفار التأريخ .

❇مردة الإنس:

لا يخلو بنو آدم من أفراد تأبلسوا، حتى صاروا أعتى من شياطين الجن؛ إذ قاموا بسائر مهماتهم، وتسلحوا بأسلحتهم، وزادوا عليهم في فنون المخاتلة والمخادعة، والتعصي على محاولات الاستعاذة والإبعاد.

❋شياطين التحريش:

من أخطر مردة الإنس شياطين التحريش الذين يسترقون السمع، فيتلصصون على كلام الأحبة في المخادع، ويتجسسون على الخصوم في الغرف المغلقة، ويجيدون النفاذ من الثقوب القائمة في جدران العلاقات، ويحسنون الحفر في الصخر دون يأس، والنفخ في الرماد دون كلال .

إنهم يعتاشون على التحريش بين الإخوة، ويتفنون في الإيقاع بين الرفقاء، ويستمتعون بالفتنة بين الأحبة، ويبتهجون كلما اضطرمت نيران الحرب!

❋حواضن الشرور:

أثبتت الوقائع أن أشواك الشرور المستطيرة تنبت في تراب الجهل، وتترعرع في المنخفضات الأخلاقية، وتؤتي ثمارها في شتاء السلبية .

وأثبتت التجارب أن جنين التعصب، ثمرة التزاوج بين النفس السقيمة والعقل المغرور، حيث يخرج من أرحام العلم المنقوص، وينمو في بيئة الأمية الفكرية، ويكبر عند غياب الدولة العادلة، وتشتد سطوته في مناخ الانقسامات الحادة، وتستعر نيرانه إذا صب عليها العدو الخارجي زيت مكره وتآمره!

عنقاد:

من يستمرؤون العيش في صقيع الجهل، لابد أن تتساقط من أشجار ذواتهم خيرات التقوى، أما أشواك شرورهم فإنها تزيد وتقوى

بوركتم

عناقيد الفكر (٢٣)

زواج السلطة

تباين:

يقيس بعض الفقهاء والساسة الحكم على الزواج، وقد سرنا مع هؤلاء في المقايسة فوجدنا تبايناً عجيباً بين الأعراب والغربيين.

فالزواج عند الغربيين عقد إلهي مؤبد، بحجة أن "ما جمعه الله لا يفرقه البشر"، ومن ثم لا مكان للطلاق عندهم، لكنهم في مجال الحكم يجعلون للحاكم فترتين كحد أقصى، مع الاختلاف في عدد سنوات الفترة الواحدة من بلد إلى آخر .

والزواج عند المسلمين ينعقد بالتراضي، فإن تضرر الزوج طلق، وإن تضررت الزوجة طلبت الطلاق، فإن لم يكن عندها مبرر شرعي لطلب الطلاق خلعت الزوج.

أما الحكم عند عامة فقهائهم فإنه يجوز بالتغلب ويستمر بالإكراه! كأنه زواج (كاثوليكي) لا يزول إلا بموت الحاكم!

فهل يعقل أن الإسلام الذي أوجد مخرجا للزوجة ولو لم تكن مظلومة، لم يوجد مخرجا للشعوب المظلومة؟!!

اقتراح:

إذا كان الطلاق مرتين وفي الثالثة تبين الزوجة بينونة كبرى، فلماذا لا تحدد الرئاسة عند المسلمين بثلاث فترات، مدة كل فترة ٤ سنوات؟!

واجبات الحقوق:

اعتنى الإسلام بالأسرة فأعطى الزوج حقوقاً مقابل واجباته، والعكس صحيح حتى أن القرآن الكريم قال: "ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف."

وفعل مثل ذلك مع الحكام والمحكومين، فإن واجبات كل طرف هي حقوق الطرف الآخر، وإذا اهتم كل طرف بأداء واجباته وصلت إليه حقوقه، وعاش الجميع في انسجام وهناء.

العناية بالشعوب:

المرأة هي الكائن الأضعف في العقد الذي يربط بين طرفي الزواج، ولذلك اهتم الإسلام بها أكثر من الزوج.

وفعل مثل ذلك في عقد الحكم ، حيث وصى الحاكم بالمحكومين؛ لأن البغي والظلم يأتي منه، إذ تتجمع مقاليد البلاد كلها في يده، فتسول له نفسه التفرد والاستئثار، وتزين له شياطين الإنس والجن الهيمنة والاستحواذ !

تطوير الفكر السياسي:

لما كانت أمور السياسة شديدة التعقيد سريعة التغير، فقد اكتفى الإسلام بإرساء القيم الناظمة لها، مثل: الحرية، والشورى، والعدل، والمساواة، والمسؤولية، تاركاً التفاصيل والآليات للعقل المفكر، حتى يبتدع في كل زمان ما يحقق المصالح والمنافع ويدفع المفاسد والمضار على أكمل وجه.

وعليه فإن العقل المسلم مطلوب منه تطوير الفكر السياسي، بما يضمن تفتيت السلطة ويحفظ وحدة الدولة، وبما يقلم أظافر المستبدين ويقوي سلطة القانون، وبما يضمن التبادل السلمي للسلطة وإيصال الأكفأ إلى قمة الهرم السلطوي.

ومن اللازم الاستفادة من خبرات سائر الأمم واقتباس النافع في هذا المضمار.

وجوب الشورى:

أوجب الإسلام الشورى في أمور الأسرة، وجعل القوامة سلطة إدارية لا تعطي للرجل سطوة التفرد بمصير الأسرة وحده.

ففي تحديد مدة الرضاعة إن حدث حولها إشكال، يجب أن يتم التشاور بين الزوجين، كما قال تعالى: "فإن أرادا فصالاً عن تراض منهما وتشاور فلا جناح عليهما."

وفي مسألة تحديد أجرة الأم المرضعة إن وقع الطلاق، أوجب الإسلام التشاور بين الأب والأم، فقال تعالى: "وائتمروا بينكم بمعروف وإن تعاسرتم فسترضع له أخرى."

وإذا كان الإسلام قد أوجب الشورى في مسائل الأسرة التي تهم بضعة أفراد، أيعقل أنه لم يوجبها في شؤون الحكم التي تتحكم بمصائر شعوب بأكملها؟!

عنقاد:

قد يكون الحاكم الصالح أبا للأسرة الكبيرة المسماة بالشعب، لكنه يظل محدود الصلاحية والصلاحيات، وفق بنود العقد الاجتماعي (الدستور.(

بوركتم

عناقيد الفكر (٢٤)

خزائن الأجور

⌛خزائن لا تنغلق:

تقفل خزائن أجور المؤمن بموته، باستثناء الخزائن المتصلة باجتراح الخدمات المادية أو المعنوية لبني الإنسان، كبناء المدراس والمستشفيات وطباعة الكتب وتربية الناس على الخير، فإن ريعها لا ينقطع ما استمر النفع.

لقد حبب الإسلام طرائق العبادات المتعدية إلى الخلق ورغب بها، حتى تتم عمارة الأرض وصناعة الحياة على الوجه الأكمل.

حياة النفع:

إن تعليم الناس من جهل، وإشباعهم من جوع، وإرواءهم من عطش، ومداواتهم من سقم، وكسوتهم من عري، وإنقاذهم من ظلم، وتقويتهم من ضعف، وهدايتهم من ضلال، هي أبواب لا تغلق في وجه المحسن وإن مات، لأنها متصلة بحياة النفع لا بحياة النافع.

العبادة الإبداعية:

ما دام هناك من يستفيد بصورة مباشرة أو غير مباشرة من إنجاز اجترحه المؤمن، فإن الأجور تستمر في الهطول عليه في قبره ولو إلى قيام الساعة.

وتدخل المنجزات ذات النفع المتعدي واستنهاض همم الخيرين ضمن العبادة الإبداعية، التي سماها الرسول صلى الله عليه وسلم ب"السنة الحسنة"؛ لأنها تصير طريقا سالكة بعد موت مبتكرها.

وبمعنى آخر فإن من يفتح طرق النفع للناس، يفتح الله له خزائن الأجور التي لا تنقطع.

موارد النفع:

في العبادات اللازمة تجف موارد النفع بموت المنتفع، ولذلك تتوقف أجوره، لكن أجور العبادات المتعدية إلى الخلق تستمر في الانصباب، ما دامت موارد النفع مستمرة في التدفق على الخلق وإرواء الحياة.

وبهذا التمييز اهتم الإسلام بالعبادات (الاستراتيجية)، التي تحافظ على اخضرار أشجار الصالحات، وتؤدي إلى بسوق خمائل الخيرات.

الساجدون قبل المساجد:

الإسلام دين شامل جاء ليربط الإنسان بخالقه، وينظم علاقته مع أخيه الإنسان، ولهذا تمددت شعب الإيمان في أرجاء الحقوق بشقيها الرباني والإنساني.

غير أن مقاصد الإسلام تجعل العبادة المتعدية أوفر ثوابا، وأدوم أجراً من العبادة اللازمة.

ومن هنا فإن الاشتغال ب(خدمة الخلق) أهم من الانشغال ب(تمجيد الحق)،

والمرابطة عند (موارد) حقوق الورى أولى من المداومة على (أوراد) الذكر لرب الورى،

وبناء الإنسان أولى من بناء بيوت الرحمن،

والسعي لقضاء حوائج (الساجدين) خير من الاعتكاف في (المساجد)،

والسباحة في غمار (عمارة الحياة) أهم من التسبيح المتعظ عند (عتبات الموت!)

تلال الحوائج:

إن (حوائج الناس) تلال صعبة التضاريس، لكن الصعود إليها من خلال (درج القضاء) واجب على من يريد الاقتراب من الله.

فقد جاء الإسلام من أجل الإنسان ذلك الكائن المحتاج، أما الله فهو غني عن عبادة الخلق، ولم يفرض الشعائر إلا كزاد ضروري لاعتلاء تلال الحوائج!

انقلاب الهرم:

يبدو أن أهم آثار جهل المسلمين بدينهم هو انقلاب هرم الحقوق رأساً على عقب، حيث تواطأ أصحاب التدين المنقوص على التساهل في حقوق الناس والتشدد في حقوق الله!

عنقاد:

إن الوعي بمقاصد الإسلام كفيل بإعادة حقوق الإنسان إلى صدارة صرح العبودية، كما فعل الجيل الذهبي في عصر الضياء .

بُوركتم



عناقيد الفكر (٢٥)

أساطير العولمة

تقنين العولمة:

العولمة منظومة براقة خادعة، تواصل تغريب الضعفاء وأمركتهم بشكل خاص، حيث يفرض القوي اقتصادياً وعسكرياً ثقافته على الضعيف، وينقله من التبعية الاختيارية إلى التتبع المفروض، وتستبدل (قوانين الحياة) الطبيعية، ب(إحياء القوانين) التي تجبر الضعيف على تقليد القوي!

قولبة الحضارات:

العولمة مذهبية غامضة الأدبيات، لكنها واضحة المسلكيات.

وعلى العكس من العالمية التي تقوم على التفاعل النسبي بين كافة الأطراف، فإن مصطلح (العولمة) على وزن فوعلة، ويحمل معنى الإكراه والقسر والإجبار، بغرض قولبة الثقافات والحضارات على النمط الغربي.

هيمنة الإهانة:

عمود العولمة الأمريكية هو هيمنة فلسفة الاقتصاد على شتى مجالات الحياة، حيث تعمد إلى تسليع الأفكار وتشييء الأشخاص، وفي ذلك إهانة بالغة للإنسان، الذي جعله الله الكائن المركزي في الكون وزينة هذه الحياة!

استعمار جديد:

لأن العولمة تحمل في طياتها معاني السيطرة والاستحواذ، وتتكئ على فلسفة الإرغام والإجبار، فقد اعتبرها كثيرون نمطاً خادعاً من أنماط الغزو، أو الاسم الجديد للاستعمار!

تقنين الاستحواذ:

كان الاستعمار في ما مضى يعتمد على قوانين الغاب التي لا يعترف بها أحد نظريا، أما عمليا فإن الأقوياء يلجأون إليها مع الفارق النسبي بينهم، حيث يجعلون القطبية للأقوى نفوذا، والسيطرة للأكثر عددا وعتادا، والهيمنة للأشد صلابة، والغلبة للأكثر وحشية.

وتقوم العولمة بتقنين هذا التوحش وإعطائه مسحة إنسانية براقة، عبر نظريات وشعارات وأقاويل غيرت شكل المعركة لكنها لم تغير صلبها، وبدلت العناوين لكنها لم تحدث أي تبديل في المضامين، وبقيت العولمة في الواقع موجة جديدة من موجات الاستعمار والاستحواذ!

التوحش الإنساني:

يبدو أن الأشكال تزداد جمالا والشعارات تزداد قبحاً، فقد أثبتت العولمة المرئية أن الأشكال تزداد لطفاً بينما تتلظى المضامين عنفاً.

وتكتسب الشعارات المزيد من المسحة الإنسانية الجميلة، كالتعاون الدولي والامتزاج الكوني، والقرية العولمية الواحدة والأسرة الإنسانية المتواشجة، لكن السلوكيات تزداد توحشا وضراوة.

والأنكى من ذلك أن هذا التوحش يقع تحت سمع وبصر المنظمات الدولية ،بل وبمباركتها وتحت لافتة (الشرعية الدولية).

أما المعارض للتوحش فيتم وصمه بشتى التهم التي تصل إلى الإرهاب، وتشن الغارة عليه تحت راية مجلس الأمن الدولي وشرعية الأمم المتحدة!

التفوق والتوفيق:

من الدواهي العظمى في العولمة قيام مفكرين أمريكيين بتأصيلها على نحو بالغ الخداع، حيث جعلوا الهيمنة قدراً لازباً وقياماً برسالة سماوية سامية، إذ كلف الله الرجل الأبيض

بهذه الرسالة فجعله متفوقاً على سائر الأجناس، ومنحه هبات كثيرة، بل وأعطاه التوفيق بجانب التفوق!

وبعد كل ما فعلته أمريكا من هيمنة واستحواذ دمرت العديد من شعوب العالم، ما يزال هناك مفكرون يعتقدون أنها تؤدي رسالة عالمية كلفها الله بها، ومن ثم فإن أعداءها يعارضون أقدار الله، وليس قوانين الحياة فقط!

نهاية التأريخ:

بشر بعض مفكري العولمة الأمريكيين ب(نهاية التأريخ وخاتمة البشر) كما في عنوان كتاب لفرانسيس فوكوياما، معتقدين أن جوهر التأريخ هو الصراع، وأنه سينتهي في ظل هيمنة الرجل الأبيض على العالم، وتوحيد التنوع الحضاري وفق النمط الأمريكي المتفوق!

وترى الرؤية الإسلامية أن التأريخ تنوع متدافع، وأن الحياة ثراء سابغ، وعندما تتنمط الثقافات وتتقولب الحضارات، تنتفي مبررات الحياة، وتكون القيامة هي النهاية الحتمية والخاتمة لهذا الخلل.

ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لا تقوم الساعة إلا على شرار الخلق"، بما يشير إلى أن الحياة عندما تمسي شراً خالصاً تنتفي مقومات الابتلاء، وتنتهي مبررات البقاء، فتنتهي الحياة وتنبعث القيامة!

عنقاد:

لو التحم المسلمون بدينهم لقلبوا العولمة على العولميين، ولجعلوا من آلياتها وسائل توصل صوت الإسلام إلى العالم كله!

بُوركتم

عناقيد الفكر (٢٦)

قلائد الاستقامة

بين الفطرة والتكليف:

من المعلوم أن أقصر مسافة بين نقطتين هي الخط المستقيم، ومن معاني الاستقامة الإسلامية قصر المسافة بين الفطرة والتكليف، ذلك أن واضع التكليف هو صاحب الخلق والأمر: "ألا له الخلق والأمر"، ويعلم سبحانه ما يسعد الإنسان وما يشقيه: "ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير"، ولا يكلف الإنسان إلا ما يطيقه وما يسعده، حتى التكاليف المشروعة كأنها واجبات وحقوق في ذات الآن.

*التلقائية والبساطة:

من معاني الاستقامة امتثال أوامر السماء في العيش كإنسان ذي طبيعة ترابية يتسامى نحو النورانية.

ولهذا كره الإسلام التكلف والتمظهر والتزين المبالغ فيه، وحرم التطرف والتشدد والتنطع .

وحث على التلقائية وأمر بالبساطة، وانطلق من الفطرة، وسلك سبيل اليسر، واستهدف دوماً تحقيق المصلحة، وحبب الاعتدال في الأمر كله .

*تطابق الظواهر والبواطن:

من معاني الاستقامة وضع جوارح الإنسان في اتجاه جوانحه، والمطابقة بين ظاهره وباطنه، بحيث يقترب ما هو كائن مما يجب أن يكون، وتحقق الممارسة العملية الشعارات المرفوعة، ليتطابق العمل مع القول، والسلوك مع المعتقد.

وفي هذا الإطار يجب أن يبتعد التنظير عن المثالية الشاقة، وأن تبتعد الممارسة عن التفلت القيمي ما أمكن إلى ذلك سبيلا.

✳حفر الانحراف:

إن طريق الاستقامة مرصوف بالطاعات والقربات، ومسيج بالخلال الكريمة والأخلاق القويمة.

ويتسبب اقتراف الخطايا واجتراح السيئات الكبيرة في إحداث حفر ومطبات في هذا الطريق، مما قد يؤدي بالمسلم إلى مهاوي الفسق والنفاق، وربما السقوط في دوامة النفاق والكفر.

عصمة الاستقامة:

إن المستقيمين على الطريقة يسقيهم الله ماء المنافع ويجنبهم أعاصير المضار، حيث يهديهم إلى أقوم الرؤى وأقوى المواقف. ولذلك فإنه المستقيم معصوم من الزيغ والزلل، ومحفوظ من الشذوذ والشرود، ومحمي من الارتداد أو الوقوع في الردى.

أيدي العطاء:

من أهم الوسائل التي تزيل موانع السير وتزيح عثرات الطريق، امتداد الأيدي بالعطاء إلى المحتاجين.

وهي أيدي العطاء الشامل: يد الرحمة والرأفة، ويد الإعانة والإعارة، ويد الصدقة والنفقة، ويد الإصلاح والمعالجة، ويد الإنجاز والتحقيق.

بهذه الروح المعطاءة يصير المؤمن ذا أيد عديدة، كأنبياء الله المرسلين وأوليائه الصالحين، فقد وصف الله داوُد عليه السلام بأنه: "ذا الأيدي إنه أواب."

والأوبة إلى صراط الاستقامة ليست كلمات تقال، أو أماني ترجى، ولا مشاعر خالية من ظلال العطاء!

ثمار الاستقامة:

استقامة أمة الإسلام على أمر السماء، تظهر للناس عظمة هذا الدين، وتبرز عزة هذه الأمة، حتى تصبح حجة للإسلام، وشاهدة على الناس، ومحجة لأصحاب العقول المفكرة، والنفوس الطيبة، والفطر السوية!

سؤال:

كيف يمكن أن تكون الأمة شاهدة على الناس، وهي مرتمية تحت أنقاض المعاصي، ومنبطحة في قوارع الطرق، تتساقط في أوحال الشهوات، وتتهافت على سقط المتاع؟

كيف ستعود إلى صدارة الأمم وما زالت تتنكب الطريق، وتتخذ القرآن مهجورا؟!

قوامة الاستقامة:

الاستقامة على منهج الله القويم، كفيلة بتعملق الأمة الإسلامية وسموقها في سماوات الأمجاد وصناعة المآثر، بحيث تراها الأمم من كافة أقطار العالم، وترنو إليها من كل أكناف الدنيا!

في هذه الحالة فقط تنبعث خيراتها المخبوءة، وتتقدم للشهادة على الناس، بإقامة المعروفات العالمية، وازهاق المنكرات الأممية.

عنقاد:

إن (الاستقامة المنشودة) هي سبيل المسلمين إلى (القوامة المفقودة) على الناس.

بُوركتم



عناقيد الفكر (٢٧)
مسارج الأسباب

الاستنجاد الوافي:

الله يبدع الأشياء وفق كسب الإنسان وحسب ضربه بعصى الأسباب، فهو ينصر من نصره، ويغير حال من أمسك بتلابيب التغيير، ويمكن لمن أخذ بأسباب التمكين، ويمنح الخلافة في الأرض لمن أحسن عمارتها وتوسل بأسباب الخلافة .

وهو سبحانه يجيب المضطر إذا دعاه، وينصر المظلوم إذا استغاث به، ويكشف السوء عن الذي لجأ إليه، ما داموا قد أوجدوا ما استطاعوا من عوامل تحقيق النجدة.

أواني الغوث:

عندما يستمطر الإنسان رحمة الله، ويستنزل غوثه بقلب متوهج ولسان لاهج، فإن سحائب الرحمة تصب غيثها، وامزان اللطف تسكب عونها، ولكن بشرط إعداد الأواني التي يهطل عليها الغوث، وتنسكب فيها الرحمة!

وكلما كانت الأواني أكبر وأنظف كان الغيث أغزر وألطف.

الذاتية السببية:

ليس هناك أنجح ولا أنجع في تحقيق المرء لمقاصده، من أن يتذرع بذراعيه، وأن يتوسل بيديه، مبتعدا عن المنطق الذرائعي والمنهج التبريري .

العصامية:

المؤمن عصامي وليس عظامياً، لأن إيمانه يدفعه لأن يصنع أقداره ويجترح أمجاده بأسباب العمل، وفق سنن القوة والرفعة .

أيدي القدرة:

يتوسل المؤمن بالأسباب مع توكله على الله، فبكفيه يأخذ ما يكفيه من آلاء الله التي لا تحصى، وبراحتيه يصنع راحته المشروعة، وبيديه يُدني مابعُد من الطيبات ويقطف ما يحب من الثمار، وبساعديه يساعد ذاته ومن يعول ثم من يستطيع من المحتاجين.

الأسباب مستودع المشيئة:

كما أنه لا يمكن لأحد من خلق الله أن يشفع عنده إلا بإذنه، فإن الأسباب لا تضر ولا تنفع إلا بإذنه تعالى، ولقد جعل الخالق السنن والأسباب مستودع مشيئته، فمن اتجهت مشيئته من الخلق إلى قرع الأسباب، فقد استجلب مشيئة الله العادلة التي تهب النفع لمن أراده، وتجلب الضر لمن تعرض له.

أنداد الأسباب:

إذا نظرنا إلى الأسباب منفردة عن مشيئة الله، منفرطة من عقد إرادته، فقد أشركها في ملك الله، ومن فعل ذلك فقد اتخذ مع الله أرباباً وجعل له أندادا.

مفاتيح الأسباب:

يمكن القول بأن سائر نعم الله وآلائه محروسة بإرادته عز وجل، ومسيجة بمشيئته سبحانه وتعالى، وإن أقفال هذه الأبواب لا تفتح إلا بمقاليد الأسباب التي هي جزء من المشيئة الربانية.

بهذا الفهم تتعانق مشيئتا الله والإنسان، وتسيران في درب العبودية الحق، كما وردت في القرآن وتجسدت في سنة النبي العدنان.

انكباب المناكب:

من يمشون في المناكب مكبين على وجوههم في عالم الأسباب، أنى لهم أن يجتازوا الصراط ويقتحموا العقبة في دار الحساب؟

عنقاد:

لا يمكن أن تصل (سهام الأقدار) إلى أهدافها بدون (أقواس الأسباب) .

بُوركتم



عناقيد الفكر (٢٨)

أعجاز الرجال

تيجان الرؤوس:

في عصور التخلف والانحطاط انتقل مركز اهتمام المسلمين من الجوهر إلى المظهر، ومن اللب إلى الشكل، ومن المعنى إلى المبنى .

اتضح ذلك بجلاء في تعاملهم مع العلوم والفنون والآداب، وفي تفاعلهم مع الطقوس والشعائر التعبدية، وتعاطيهم مع العوائد والأعراف الاجتماعية .

وبرز هذا الخلل في تربيتهم لـلإنسان، وعلى سبيل المثال اهتم بعض المتدينين في تربية أولادهم بمظهر الرؤوس، أكثر من تنميتها بالعلم وتحليتها بالحكمة.

ولهذا وجدنا في أقاصيص التراث اهتماماً بالغاً بالعمائم حتى صارت سمتا للمتدينين، وألفوا فيها كتبا، وأطلقوا حولها مقولات، كقولهم: العمائم تيجان العرب، وتاج الإسلام، واعتبروها علامة لرجحان العقل وعنواناً لوقار الشخصية!

ووصلت آثار الثقافة الشكلية إلى الفقهاء الذين يفترض أن يصيروا مأوى للعلم ومثوى للعقلانية، حيث جعلوا تغطية الرأس من موجبات قبول الشهادة؛ إذ كيف يشهد من لا يملك التاج؟!

الإيمان الشكلي:

ما تزال ثقافة الاهتمام بالأشكال مؤثرة في أذهان وسلوكيات بعض المتدينين .

ففي كثير من الأحيان يقدر العامة صاحب العلم بمحفوظاته لا بقدراته الاجتهادية وملكاته الاستنباطية، ويقيسون علمه بنوع الثياب وحجم اللحية.

ويقدم كثيرون الواعظ ذا السمت الحسن واللحية الكبيرة على العالم النحرير والمبدع الخريت، إذا كانت ثيابه عادية ولحيته قصيرة أو غير موجودة، ولهذا ميز العلماء أنفسهم بزي خاص على طريقة الأحبار والرهبان، حتى يجلبوا اهتمام الجماهير ويحظوا بحفاوتها!

أعجاز الرجال:

في فيافي التخلف انتصبت زعامات وشخصيات لها بسوق النخل وليس لها ثمارها النافعة، كأنهم أعجاز نخل خاوية، فشعاراتهم بلا ظل من الحقيقة، وأبيات شعرهم بلا مأوى من الصدق، ووعودهم مجرد سراب بقيعة!

ويمكن القول بأن هؤلاء أعجاز رجولة خاوية، لهم من الرجولة اسمها دون مسماها، ولهم من الشخصية مبناها دون معناها، إذ صاروا قوالب بدون قلوب، أو بأجسام البغال وأحلام العصافير!

تضخم العجز:

لأننا شعوب عاطفية فقد ركبنا أجنحة الشوق إلى الأمجاد في عالم الأماني والشعارات، لنكتشف بعد آن أنها أجنحة نعامة لا تصلح للتحليق.

واستعار كثيرون طباع النعامة، ومنها الاهتمام بضخامة الحجم وفخامة المظهر على حساب أصالة المخبر وفاعلية الجوهر، فعند هبوب عواصف الأخطار يضعون رؤوسهم في الرمال، داعين السماء أن تدفع عنهم الأخطار وأن تنتصر لهم من الأشرار!

وثنية المظاهر:

عندما تتسيد المظاهر وتتصنم الوسائل، يسري الفساد إلى كل شيئ حتى يغزو الطبيعة، حيث وجدنا أكماماً بلا ثمار وسنابل بـلا قمح، وصادفنا أعشاشاً من غير عصافير ومحارات من دون لآلىء.

ولذلك لا غرابة أن نجد اليوم رجالا بـلا رجولة، أي ذكورا يكسو الشعر وجوهم، لكنهم لا يحملون أدنى صفات الرجال!

عنقاد:

من لم يحاول اللحاق ب(رجال الإعجاز)؛ فقد يصير من (أعجاز الرجال!)

بُوركتم



عناقيد الفكر (٢٩)
أكمام المعرفة

موسوعة المآثر:

عندما يقرأ المسلم تأريخه الإسلامي المجيد، ينبغي أن يتعرف في القمم على أسباب المجد والصعود، وأن يبحث في السفوح عن عوامل الأفول والسقوط.

ولابد أن يشمل بالتحليل والتشريح البيئات التي خرج من رحمها القواد والرواد، الذين بنوا أمجاد الأمة، وسطروا أنصع الصفحات في موسوعة مآثرها البيضاء، حيث استثمروا طاقاتها أفضل استثمار، فصنعوا من ترابها تبراً للحياة المتألقة، وزرعوا في ثراها أشجار القوة والحق والعدل والحرية، وجعلوا من جذوعها سلالم أوصلتهم إلى الثريا، حيث المجد التليد والعز الوافر..

مناهل الحكيم:

إنما يصبح الحكيم حكيماً لأنه يتعلم من كل أحد، ويستفيد من كل شيء، إذ يتعلم قيمة الخير من الأشرار، ويتعرف على أصالة الحق من زيف الباطل، ويجذبه جمال المعروف بقدر ما ينفره قبح المنكر، ويدرك جودة الإحسان بقدر إدراكه لرداءة الإساءة .

أساتذة الأضداد:

أكثر ما تتجلى أشعة النور في سدف الظلام، وأشد ما تبرز حلاوة العسل عند تذوق مرارة الحنظل. وتؤدي رؤية مشاهد القبح لشد الأنظار إلى لوحات الجمال!

ولذلك ما فتئ النابهون يتعلمون في أطباق الحياة، حينما يتقلبون بين تمور النعم وجمور النقم، فيتخرجون من جامعات السراء والضراء خبراء حكماء.

تعلم النابهين:

العلماء الكبار يستفيدون من كل شيء، ويتعلمون من كل أحد ولو كان جاهلا.

ولا يتعلمون من الجهلة على طريقة المثل القائل: "خذوا الحكمة من أفواه المجانين"، بل على طريقة لقمان الحكيم الذي سئل يوماً: "ممن تعلمت الحكمة؟" فقال: "من الجهلاء والسفهاء، إذ كلما رأيت فيهم عيباً جهدت أن أتجنبه!"

وقد أبرز عدد من الشعراء العرب هذا المعنى، ولاسيما القدامى، كقول أحدهم:

عداتي لهم فضل علي ومنة

فلا حرم الرحمن عني الأعاديا

هموا بحثوا عن زلتي فاجتنبتها

وهم نافسوني فاكتسبت المعاليا!

إنه التعلم السلبي، حيث يستخرج النابهون العلم من بطون الجهل، ويصطادون الفوائد والدروس من بحيرات الجهل!

بين العالم والعابد:

يبدو للوهلة الأولى أن العالم واقف في الدنيا بينما العابد يركض إلى الله، وإن تمعنت في الصورتين ستجد العالم يبدو واقفاً ساكناً لأنه راكب فوق سفينة علمه التي تتنقل به بين شعب الإيمان، وتمخر عباب الدنيا سائرة به نحو جزائر العبادة وشواطئ السعادة.

أما العابد فهو يركض بشدة، غير أنه الركض في ذات المكان، نتيجة ضيق الأفق وأثقال الجهل وتغرير الشيطان!

أساطين الأساطير:

استطاع (أساطين المنهج العلمي) أن يبتكروا الكثير من وسائل التقدم والرفاهية، ابتداء بالإبرة ووصولا إلى (الأساطيل) الجوية والبحرية!

أما (أساطين التفكير الخرافي) الذي يجافي العلوم والمعارف، ويتجاوز السنن والنواميس، فقد أنتجوا الكثير من الأباطيل وصنعوا الكثير من (الأساطير!(

فقه الموازنات:

لكي يستطيع المرء ترتيب الأولويات بصورة منطقية، لابد له أن يعي الواقع، وأن يمتلك الموازنات الدقيقة التي تمكنه من الاختيار الصحيح والترجيح الجلي، والتي تؤهله لإدراك الفوارق الدقيقة والقيام بالتفضيل السوي، بحيث يقدم ما حقه التقديم، ويعتني بالأهم قبل المهم.

شبكة المعرفة:

هناك علاقة بين الجوارح المنقوشة في صورة الإنسان وبين تصوراته الذهنية، حيث تتأثر الجوانح بالجوارح، مثلما يحدث العكس، فالباصرة تؤثر على البصيرة، والأذن تؤثر على العقل.

ولهذا لابد من العناية بمدخلات الجوارح، حتى تكون مخرجات الجوانح راقية، إذ لا يمكن على سبيل المثال، لمن عاش في بيئة متصحرة جرداء، أن تكون أفكاره ومشاعره بجمال وعطاء مثيله الذي عاش في بيئة خضراء وطبيعة غناء، ومن هنا تأتي عناية البلدان المتقدمة بجمالها واتساقها، كوسيلة لتربية الرجال وتنمية الجمال.

سنابل المعرفة:

لكي تصير ملكات الإنسان سنابل مثقلة بحبوب المعرفة النافعة، ينبغي العناية بشبكة تكوين المعرفة في الإنسان، سواء في مجال المدخلات كالسمع والبصر أو المخرجات كاللسان والعقل، بحيث تتظافر المعرفة ولا تتنافر.

عنقاد:

من أراد نضوج (الرؤية)، لابد له من التأني و(الروية.(

بُوركتم



عناقيد الفكر (٣٠)

غوائل المتصوفة !

استنزال القطر:

في الوقت الذي كانت فيه بلداننا تفاخر ادعاء بأن متصوفتها يستنزل بهم القطر من السماء، كانت أوروبا تخوض بعلمائها مفاوز قراءة آيات الأنفس والآفاق، وترتاد عوالم البحث والدراسة، وتستمطر سحائب المنهج التجريبي، فهطلت قطرات الابتكار، وتفجرت منابع الاكتشاف.

وخلال بضعة قرون امتلكوا بحيرات من براءات الاختراع المدهشة، والتي جلبت للبشر حياة ترفل في النعيم وتزخر بالرفاهية.

انشغال واشتغال:

في القرون الأخيرة انشغل (صالحو المسلمين) بالبحث عن مخلوقات ما وراء المادة، ك(العبد الصالح) الذي شغل حيزا واسعاً في الخيال الصوفي، لعله يعطيهم شيئاً من أسرار العلم اللدني!

واشتغل (فاسدو أوروبا) بالبحث عن طريق يوصلهم إلى الهند والصين دون المرور ببلدان المسلمين، فاكتشفوا طريق رأس (الرجاء الصالح)، الذي حرم صالحينا من بعض المزايا الجغرافية لبلدانهم!

أما الجائزة الأكبر فهي اكتشاف العالم الجديد، وخلال بضعة أجيال جلبوا إلى أحضان النصرانية ثلاث قارات بشعوبها، وهي: أمريكا الشمالية، وأمريكا الجنوبية، واستراليا، ولم نصل نحن بعد إلى العبد الصالح!

اكتشاف الشمس وتوقيفها:

عندما كان الغربيون يثورون من أجل (كرامتهم)، كانت جموع من المسلمين تبالغ في طاعة الحاكم الظالم، بحثاً عن (الكرامات) الخارقة للسنن والتي لا تأتي وفق بعض الحمقى إلا للصابرين على جور الحكام!

وعندما قامت البحوث العلمية في أوروبا ب(دراسة الشمس)، كانت الغوغاء تنسب إلى مشائخ الصوفية أنهم (يوقفون الشمس) عند المغيب إذا أرادوا!!

حتى أن شاعرا يمنيا مدح شيخا صوفيا يدعى محمد الحضرمي، فقال:

ومن جاهه أومى إلى الشمس أن قفي

فلم تمش حتى أنزلوه بمقعد!

تباين البحث:

عندما ترحل بعض المتصوفة في الأرض، باحثين عن جبل قاف ومتشوقين للقيا الخضر عليه السلام، كانت حركة الكشوفات الأوروبية تمخر عباب المحيطات وتقتحم عوالم المجهول، لتكتشف عشرات الجزر وتصل إلى الأمريكيتين وأستراليا، مما غير موازين القوى الدولية، وأكسب المسيحية الهيمنة على ثلاث قارات في العالم بجانب أوروبا، بينما ظلت مساحة العالم الإسلامي تتآكل من أطرافها نتيجة قضم وحش الغزو الغربي لها، وصارت تذوي من وسطها، نتيجة هجير الاستبداد وصقيع الخرافات.

لقد ظل متصوفتنا هائمين على وجوههم يبحثون عما يسمونها ب(المكاشفات الروحية)، بينما انشغل الغربيون ب(الكشوفات الجغرافية!(

ونتيجة ذلك التباين في الأسباب، واضحة في ما تجنيه الشعوب الغربية من (تقدم رائع)، وما تحصده شعوب المسلمين من (تخلف مريع!(



عوج العقول:

عندما تعوج العقول وتتنكب صراط الاستقامة، وتخالف استقامة السنن الربانية والقوانين الطبيعية، فإنها تقبل الأفكار العوجاء والسلوكيات العرجاء، ما دامت متلبسة بثوب الدين! وتحت ثياب (الكرامات) تم حشو العقل المسلم بآلاف الخرافات التي ما أنزل الله بها من سلطان!

وتأملوا معي ما ينسبه الجهلاء لأحد أئمة التصوف في اليمن وهو محمد ابن أبي بكر الحكمي من أنه وصل إلى موضع كثير الشجر، فقال: يا شجرة الحراثين اعوجي، فاعوج شجر ذلك المكان جميعه، وسميت المنطقة بعواجه!
وما هي إلا العقول العوجاء التي ابتكرت هذه الحكاية العوجاء لتخرم النواميس، وتدمر المنهج السنني ، إذ أن للكرامة شروطها وضوابطها، ولا تأتي إلا نادراً ولضرورة ماسة، بعد أن يستكمل الناس الأخذ بالسنن ويستوفون العمل بالأسباب!

عنقاد:

الولي هو من ولى وجهه شطر الحق، وأعطى ظهره للباطل على الدوام.





عناقيد الفكر (٣١)

مفاتن الفكر

نعمة العقول:

الحمد لله أنه تعالى ساوى بين أجناس الأرض في نعمة العقول.

أما النعم المرتبطة بالجغرافيا والمناخ والتضاريس، كالمياه والتربة والمعادن والطاقة، فهي شديدة التفاوت، لتستقيم حياة الابتلاء، وتتحقق قوانين التدافع.

غير أن استثمار نعمة العقول بشكل أمثل يعوض عن هذه النعم كلها، ويجلب ما هو خير منها، والنموذج الياباني في هذا المضمار هو المثال الصادق.

قصر الثقافة:

الثقافة هي القصر الذي يسكنك فيرافقك في حلك وترحالك، في أفراحك وأتراحك، في سعادتك وشقائك، ويقيك من قر الجهالة وحر الحماقة، ويحميك من عيون الفضوليين وسهام الحاقدين، متجولاً في أرجائه البهية، ومستمتعاً برياضه الغناء.

سراج الإنسان:

العقل سراج الإنسان، لكنه لا يتوهج إلا بالتفكير .

وبدون إعمال التفكير فيه، تنطفئ شعلته، وقد تخمد جذوته تماماً .

كساح وجموح:

إذا كانت الأفكار تعاني من هشاشة البناء ولا تقوى على الاستقامة، بينما العواطف فوارة والانفعالات جامحة، فكيف سنصل إلى الحقيقة إذاً ؟!

شمس التفكير:

(التفكير السوي) هو الشمس التي تتولى أشعة أفكارها تجفيف مستنقعات (التكفير الآسن)!

ليونة الآدمي:

يمتلك الإنسان مقدرة هائلة على التشكل عندما يولد، وكلما تقدم في السن تقل هذه الليونة، ومن هنا تأتي خطورة الأسرة ثم المدرسة، في تشكيل عجينة الطفل على الوجه المطلوب.

وتأتي خطورة الفكر في وقاية المرء من التخشب والتصلب، ومده بعناصر المرونة والليونة.

ثمرة الاستشراف:

من الثمار العقلية للإيمان بالآخرة، المساهمة في تنمية ملكات الاستشراف، وتقوية بصائر الارتياد، حيث يتعود المؤمن الواعي على استخدام مهارات التنبؤ بالقادم، وإدراك مآلات الحاضر، واجتناب عواقب السوء.

سُبع العقل:

إذا كان الرسول صلى الله عليه وسلم قد عد المرأة ناقصة عقل؛ لأنها تسير خلف بوصلة العواطف في بعض المواقف، فكم يملك من العقل من لا يستخدم سوى الذاكرة من ملكاته العقلية السبع؟!

عنقاد:

من لم يستضيء ب(مصابيح فكره)؛ تخبط في (عمى التقليد!)

عناقيد الفكر (٣٢)

"رياحين اليقين"

●القلق والطمأنينة:

بعد استيفاء رجال الإيمان لأسباب النصر، فإن كثرة الأعداء لا تخيفهم، وكثافة العداوات لا تشغل قلوبهم، لكن عقولهم تفكر بعمق وروية في الكيفية المثلى لمدافعة الأقدار بالأقدار، ومواجهة الأسباب بالأسباب، مع بقاء تفوقهم المعنوي وتألقهم الإيماني .

إذ أن قلوبهم واثقة دوما بوعد الله، مؤمنة بنصره لأوليائه، موقنة بأن الله قادر على أن يخرج لهم لبن النصر الخالص من بين فرث المؤامرات ودم العداوات، وقادر على أن يسقيهم عسل التمكين، ما داموا قد جالوا في سائر الميادين وجمعوا ما استطاعوا من رحيق القوة الخالية من شوائب الرياء.

●ربط المرابطة:

لا يكون المرء شجاعاً في مواجهة التحديات، مقداماً في مجالدة الأعداء، مندفعا في مقابلة المنايا، ما لم (يربط) الله على قلبه ويثبت قدميه.

ومنحة التثبيت ليست مجانية، بل هي ثمرة (الارتباط) بحبل الله المتين، وجائزة الإعداد لأسباب (المرابطة) في ثغور الجهاد، سواءً كان الجهاد ناعماً بنصاعة العلم وبياض العمل، أو خشناً بلون الدم القاني.

●الثقة المطلقة:

إن من يؤمنون بالله حق الإيمان، ويثقون بوعده تمام الثقة؛ يبذلون جهدهم في استثمار الأسباب، وإعداد ما يستطيعون من صنوف القوة.

ولهذا فإنهم لا يخافون ولا يفزعون..

فإنهم مهما (ضاقت الأرض) بهم، ومهما وضيق أعداؤهم عليهم السبل، ينتظرون (فرج السماء)، ومهما ادلهمت الخطوب وتكالبت عليهم (أيدي التآمر) يترقبون (يد الآمر) الذي يملك مفاتيح الأمر ومقاليد النصر.

●سكينة المعية:

لا يعرف غير المؤمن السكينة والطمأنينة حتى وهو تحت (ظلال السقوف)، بينما يتذوق المؤمن حلاوة السكينة والطمأنينة ولو كان تحت (ظلال السيوف) التي تريد اجتزاز رقبته، وذلك نتيجة شعوره بمعية الله له، وحبه إياه، وثقته بأنه لا يختار له إلا ما هو الأصلح في المعاش والأفضل في المعاد.

●سكينة المؤمن:

من لم يتذوق (سكينة الإيمان)، أذاقته (سكينة القلق) - بكسر السين والكاف مع التشديد- آلام العذاب!

●سراب الظن:

السائر إلى الحق عن طريق الظن كالباحث عن الري في السراب!

والباحث عن النصر وسط أكوام الأماني وبين أجداث اليائسين وجموع العاطلين، كمن يدعو الله أن يفجر له نهراً في قلب الصحراء!

■عنقاد:

لا ريب أن الله قد كتب النصر للصالحين، ولكن يقينهم بالله وأخذهم بالأسباب هو من يحدد متى يكون.

بُوركت جمعتكم

■■عناقيد الفكر (٣٣)■■

"العلم المنقوص"

●بين التمدد والانكماش:

يعاني أصحاب العلم المنقوص من مشكلة في النظر، تؤدي إلى تضخم ما يعرفون، وتقزم ما يجهلون.

ولا يزالون ينظرون إلى ما لا يعلمون، ويغمضون أعينهم عما يجهلون، حتى يظنوا بأنهم قد تبوأوا نواصي العلم وأصابوا أكباد الحقيقة!

أما صاحب العلم الوافر فإنه ينظر إلى علمه بعين الانتقاص، وينظر إلى جهله من زوايا الاستكبار، حتى يتضاءل ما يعرفه وقد يظن أنه لا يعرف شيئاً!

●خرقة التصوف:

عندما (لبس) كثير من الجهلة خرقة التصوف الأعور، بحثاً عن الكرامات الخارقة لقوانين الحياة؛ (خرقوا) سفينة المسلمين، حتى غرق الجميع في بحار التخلف بكل ما فيه من ويلات وما صنع من مآس.

وعندما (لبست) أعداد من المتدينين خرقة الزهد الأخرق، (تعرت) الأمة من لباس التقوى الحضارية، حيث تمزقت سرابيل الحرية والعدالة، وضاعت دروع القوة والمنعة.

●العقم الذاتي:

لا يمكن للمرء أن يتخلص من العقم في العمل والإنتاج، ما لم يتجرع العلقم في تحصيل العلم واكتساب الخبرة.

كأن تجرع علقم الحرمان من بعض اللذات، علاج ضروري لتجاوز عقم الذات!

●العقل التدميري:

يظن البعض أن العقل عندما ينشط بدون ضوابط، ويفكر بدون حدود، ويجتهد بدون معايير، فإن صاحبه يصبح داهية يجيد التفكير ويحسن التدبير دائماً.

غير أن الواقع أثبت في كثير من المرات، بأن العقل المنفلت يصنع من صاحبه داهية دهماء، تشيع الفوضى وتمارس التدمير.

وقد يستحيل إلى كتلة من اللهب الأعمى والشر المستطير، فيحرق ما يجده أمامه، سواءً كان يابساً أو أخضر!

●القراءة الواسعة:

إن (التوسع) في القراءة والتعمق في الفقه، دواء مهم في معالجة (ضيق الأفق)، وفي مداواة (ضيق الصدر) اللذين يؤديان بالناس إلى التباغض والتدابر!

●تربة الفراغ والجهل:

ثبت أن تربة الفراغ والجهل شديدة الخصوبة لاستنبات أشجار الفاسدين، والسُراق، والعابثين، ولترعرع أشواك الزواقيل، والصعاليك، والسائبين في قوارع الطرق.

●خطورة الفكر:

إن الأفكار الأشد خطورة على الفرد ذي الوعي المتواضع، هي التي تهدم أسس تفكيره السوي، بأساليب لغوية محبوكة النسج وبارعة الجمال !

فتخيلوا كيف سيكون أثرها إذا تسلحت بنصوص شرعية ومقولات تراثية، وإذا توسلت بالأساليب الوعظية والملكات الخطابية؟!

●عنقاد:

إن اجتماع الأفكار الجامدة مع العواطف الجامحة داخل نفس عليلة، يصنع انفعالا خاليا من أي فعالية!

بُوركتم

■■عناقيد الفكر (٣٤■■■)

أ.د. فؤاد البنا

"طاقات الطبائع"

●موانع التقولب:

لأن الله لا يريد لك أن تكون نمطياً وأن تتقولب بقالب واحد، قد يجعلك مع الأيام آلة صماء لا إنساناً متميزاً، فقد أحاطك بأشخاص ذوي طبائع وأمزجة مختلفة، وعقليات ورؤى متعددة، وأصحاب مواهب وميول متباينة، وحاجات ونواقص متنوعة.

إنه يريدك أن تكون إنساناً يحاول أن يتعامل مع هؤلاء جميعاً، فتتعايش بالتعاون مرة، وبالتفاهم تارة، وبالتسامح ثالثة، وبالمحاجة والجدال تارةً أخرى، وآخر الدواء الكي .

●طاقات الطبائع:

يمتلك الإنسان طاقات هائلة، يمكن أن تصبح آلات للتعمير أو أدوات للتدمير.

وللسيطرة على هذه الطاقات، وتصريفها في ما ينفع ولا يضر، وفي ما يفرح ولا يترح، لابد للإنسان أن يرتاد عوالم ذاته، فيعرف طبائعه وميوله، ويدرك مواهبه وقدراته، مستعيناً بالله الذي منحه طاقات روحية هائلة، تستطيع التحكم بالطبائع والمواهب وتسخيرها للخير والبناء.

●نسبية المعادن:

صحيح أن الناس معادن، لكن هذه المعادن قابلة للتنقي والترقي عبر التزكية والتربية، فمن هذب طبعه فقد ذهب – بتشديد الهاء – أصله!

●سرائر الأسرار:

إذا خرجت الأسرار من خزائن السرائر، تقاذفتها رياح الإعلان!

●نعمة العافية:

من حُرم نعمة (العافية) فإنه (يعاف) كل طعام!

حكي أن هارون الرشيد تغدى عند أحد رجالات دولته، وعندما انتهى قال له: طعامك طيب، فقال له: بل طيبته العافية يا مولاي!

فالعافية نعمة جليلة، من حرمها لم يعرف طعم النعم، وربما صارت عنده بطعم الحنظل!

●حجاب النفس:

من كرم الله تعالى وأفضاله على الناس أن جعل لكل إنسان باباً خاصاً يوصله إليه، حتى لا يقف عليه حاجب، ولا يتحجج به منقطع.

إن المحجوبين عن الله ما على أبوابهم من حُجاب، وما حجبتهم إلا ذنوبهم، فلا يلومن أحد إلا نفسه!

●منحدر المنايا:

(الأماني البيضاء) عندما تتفلت عن عقال الشرع وزمام العقل، فلربما صارت طريقاً منحدراً نحو (المنايا السود)!

●شجرة الأماني:

من زرع أشجار الأماني، وسقاها بمياه السراب، وتعهدها بسندان التواني، قطف ثمار العدم وحصد فواكه العلقم!

●عنقاد:

من لم ينهلوا من (خلائب الروح) خمشتهم (مخالب النفوس)!

بُوركتم..



■■عناقيد الفكر (٣٥)■■

"وسائط المقاصد"

●لوحة الجمال:

يصير النص الأدبي تحفة جمالية ويحقق رسالة نبيلة، عندما تتناسب المباني اللغوية وتتناسق المعاني الفكرية، ثم تتمازج المعاني والمباني، بحيث تكون المباني خادمة للمعاني، مع احتفاظها بجمالها الباهر وإدهاشها الساحر، وبذلك يجمع النص بين الإقناع والإمتاع.

●قوة الحق:

يستمد الحق مشروعيته من القوة الإلهية، ويمتلك قوة ذاتية هائلة، ففي باطنه قوة تتدفق، وفي ناصيته أنوار تشرق، وفي يديه سياط تجلد ظهور الظلمة والمبطلين، كما قال الزبيري وهو يخاطب الحق:

في يديك السياط تجلد (نيرون)

وتشوي (فرعون) و(النمرودا)

فكيف لو تسلح بجانب قوته الذاتية بالقوة المادية التي تحمله وتحميه؟ وتذرع بالوسائل التي توصله إلى عقول وقلوب الناس وتجسده في الواقع؟!

●المعمار والمضمون:

إن اجتماع جمال المعمار وجلال المضمون في العمل الفني أو الأدبي، يجعله تحفة باهرة، تقتحم الأعين، وتأسر القلوب، وقد يتجاوز المكان (الخروج عن المحلية) ويجتاز الزمان (الخلود)، وبهذا يصبح ذا قيمة إبداعية عالية، كبعض اللوحات الفنية التي بيعت بعشرات الملايين من الدولارات!

●الأساليب الناصعة:

من لم يهتم بأسلوبه كأنه لا يهتم بنفسه، ف"الرجل هو الأسلوب"، كما يقول المثل الإنجليزي .

وهذا يستحثنا على جعل أساليبنا جميلة مؤثرة، تزخر بالألوان الراقية، وتزدهي بالأضواء البهية، وترفل في الظلال الهادئة، وتتزين بالنقوش البهيجة، وتكتسي بالتقاسيم الفاتنة.

●الأسلوب الجذاب:

كلما كان الأسلوب أشد تماسكاً وأبرع تناسقاً، وكلما كان أتقن سبكة وأجود تناسجاً؛ انعكس على الرسالة والمضمون بالقوة والجاذبية، ومنحها الكثير من البهاء والجمال، وأعطاها تأثيراً عابراً للنفوس، ومتجاوزا للمقاييس والحدود.

●ضرورة التناسب:

من الحكمة أن يختار المرء الوسائط المناسبة لتحقيق مقاصده، بعيداً عن التهويل أو التهوين، لأن الحكمة تقتضي وضع الشيء في محله الأمثل وبقدره المناسب.

أما من مال نحو التهويل أو التهوين، بحيث يقتل عصفورا بصاروخ، أو يصطاد أسداً بصقر، فقد حكم على وسيلته بالفناء ودنا بنفسه من آفة الحمق!

وعندها قد تقوم الوسيلة بابتلا ع الغاية، كما صور هذا المعنى أبو الطيب المتنبي بقوله:

ومن يجعل الضرغام للصيد بازهُ

تصيده الضرغام فيما تصيدا!

●الدوران حول المبادئ:

من يمعن النظر في أزمتنا الفكرية التي أنتجت هذا الواقع الأليم، سيجد أن أحد أعراضها هو الدوران المفرط حول المبادئ على حساب دراسة آليات التطبيق، والانشغال بالحديث عن المقاصد دون الاشتغال بوسائل وأساليب التجسيد.

وما زال كثيرون يتحدثون عن الداء دون التطرق للدواء، وعن المشاكل دون الحلول، وعن المآزق دون المخارج.

وقد حدث ذلك كله بسبب عدم وضوح الوسائل والآليات والأساليب، كعرض من أعراض اختلال العلاقة بين فقه الواجب وفقه بالواقع.

وتؤكد هذه المعضلة أن الجزء الأكبر من فكرنا الإسلامي المعاصر ما زال فكراً تشخيصيا صرفاً، فما قيمة الطب التشخيصي إن لم يكن خادما للطب العلاجي؟

وماذا سيستفيد السقيم إن شخص الطبيب علته دون أن يعطيه الدواء الناجع؟ وماذا سيكسب العليل إن وصف له دواء غير موجود في الواقع؟!

●عنقاد:

لقد أمرنا الله بابتغاء الوسيلة التي توصلنا إليه، فكيف بالوسائل التي تحقق قيم التمكين في الأرض، وهي: الحرية والشورى والعدل والوحدة والمعرفة؟

بُوركتم..



■■عناقيد الفكر(٣٦)■■

"فظائع السلالية"

●الجهالة السلالية:

خلق الله آدم من سلالة من طين، ونتيجة البعد الزمني بينه وبين أبنائه في عصرنا، وبسبب الجهل والظلم الكامنين في تركيبة البشر، فإن قطعانا منهم يفتخرون بطينتهم، ويزعمون أنهم انسلوا من سلالة راقية تتصل بنسب إلى السماء!

وسرعان ما قادتهم هذه الجهالة إلى ارتكاب فظاعات كبرى، في حق أنفسهم وحقوق أشقائهم!

ولهذا عد الرسول صلى الله عليه وسلم الاعتزاز بالأعراق والسلالات، والدوران حول فلك العصبيات، من "الجاهلية" المقيتة التي لا تستقيم بتاتاً مع ربانية الإسلام، الذي أعاد الناس كلهم إلى أصل واحد، يتكون من تراب حقير ثم من ماء مهين، وكرمه الله بنفخته الروحية، وذلك من أجل أن لا يتجبر الكبراء والمتسيدون، ولا يذل الضعفاء والمستعبدون.

●سلالة التقوى:

إذا افترضنا أن البشر مخلوقون من معادن شتى، بعضها نفيس كالذهب وبعضها رديء كالحديد، كما يزعم السلاليون، فإن التفاوت سيظل نسبياً، إذ أن كل المعادن مختلطة في ذات التربة منذ آماد لا يعلمها إلا الله .

وبعد ذلك نتساءل: هل يوازي معدن الذهب مثلا نفاسة التقوى، التي هي قيمة سماوية مستمدة من إله الكون عز وجل؟!

●شجرة الزقوم:

السلالية شجرة زقومية قبيحة المنظر والمخبر، ولهذا يجب اجتثاثها من فوق الأرض، حتى لا يبقى لها قرار، لأن فظائعها لا تتوقف وفجائعها لا تنقطع.

ول‍لاجتثاث (الاستراتيجي) أدوات عدة، أهمها: الفكر العدلي الرشيد، وإعادة حرث تربة الوعي الجمعي، وإقامة دولة المواطنة المتساوية، والعناية بكرامة الإنسان حتى يرفض الخنوع للمتسيدين، ولا يقع في الاستخذاء لطلاب الاستبداد!

●النسب السماوي:

إذا خلت الأجسام من الأرواح، صارت مجرد أشباح، لا تزيد قيمتها عن ثمن التراب الذي تكونت منه، وعندها لا فرق بين أن يكون التراب أبيض أو أحمر أو أسود!

إن الأرواح في الرؤية الإسلامية هي عنوان النسب السماوي وموضع التكريم الإلهي، وهي معيار التفاضل الإنساني ومعراج التباسق نحو جنات الخلود.

●معادن النفاسة والرداءة:

صحيح أن الناس معادن، ولكن ليس بالمعنى المادي الخارج عن إرادة الإنسان، فإن آدم خلقه الله من تراب، يضم كل المعادن النفيسة والرخيصة .

وانحدر كل البشر من صلب آدم، حاملين خصائصه ككائن أرضي ذي روح سماوية، حيث يحمل استعدادات الرداءة وإمكانات النفاسة، والفيصل هو الزاد الروحي.

إذ كلما ارتفع منسوب الإيمان برز جمال المعادن النفيسة، وكلما تراجع المنسوب الإيماني برزت قباحة المعادن الرديئة، وهنا معقد الابتلاء ومكمن التكريم!

●جريمة مركبة:

يجمع من يفتخرون بأصلهم العرقي، بين التكبر الاعتقادي لإبليس القائل عن آدم: {أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين}، وبين الانحطاط السلوكي للحيوانات التي تجمعها آصرة القطيع، وتندفع تحت إلحاح الغرائز، وتلهث خلف دواعي الشهوات، وتواجه الآخرين دوماً بأظلافها ومخالبها وأنيابها، وفقاً لشريعة الغاب!

وبهذا فإن السلالية جريمة مركبة، جمعت بين ضلال المعتقد وانحطاط المسلك، بين غطرسة الشياطين وتسفل الدواب.

ويستوجب أصحابها السقوط من عين الله في الشق السلوكي، ويستجلبون لعنته عز وجل في الشق العقدي، كإبليس الذي غضب عليه وطرده من رحمته.

●أخطار السلالية:

خصص الله سبحانه وتعالى قرابة ثلث القرآن الكريم للحديث عن علل التدين عند بني إسرائيل، ومنها علة التكبر بالأصل وزعم الانتماء إلى السماء، فقد قالوا بأنهم {أبناء الله وأحباؤه}، وأن الله خلق الكائنات من أجلهم، وأن السلطة لا ينبغي أن تكون إلا لهم، وأنه لن يدخل الجنة إلا من كان منهم!

ورغم تحذير الإسلام من الوقوع في علل اليهود، فقد ظهرت جموع تزعم الانتساب إلى النبي صلى الله عليه وسلم، سارت خلف اليهود في أوهام التميز حذو القذة بالقذة، وزادوا بتكفير من لا يؤمن بأوهامهم، مستحلين ماله وعرضه ودمه.

ويشكل هؤلاء اليوم خطرا داهما على الإسلام والمسلمين، نتيجة تحالفهم مع الأعداء الأزليين للأمة!

●عنقاد:

كل الدعاوى السلالية خطيرة مرذولة، وتصبح أشد خطرا عندما تتلفع بأردية الإسلام، وتتجمل بآيات السماء!

بُوركتم..



عناقيد الفكر (٣٧)

غرائب السلاليين !

أغرب السلاليين:

من أغرب الغرائب أن تجد من أدعياء الحق الإلهي من اعتنق الثقافة الغربية بقضها وقضيضها، بما في ذلك استحلال الخمر والربا، واتخاذ الخليلات والعشيقات، لكنه لا يقبل بالمواطنة المتساوية التي هي أهم مقاصد الشريعة، وهي حجر الزاوية في تحقيق الاستقرار الذي ينعم به الغرب، وقاعدة النهوض الحضاري الذي تتفيأ في ظلاله الشعوب الغربية، بعد أن تكاتفت ضد هيمنة الزاعمين بأنهم ناطقون باسم الله والحراس الأمناء لأبوابه، والمتملكين – من ثم – لمصائر الخلق في الدنيا والآخرة!

آل البيت:

في ظل الإسلام الوارف يتعايش أبناء آدم وحواء، ويتعاونون في المشتركات الإنسانية عامة.

وتتعزز الصلات في ظل النسب الإيماني، وتتجذر في ظل قرابة التقوى، متقدمة على كل قرابة ونسب.

وقد قرر القرآن الكريم أنه لا مكان في بيت النبوة ومنزل الإيمان، لابن نوح ووالد إبراهيم، ولا لزوجتي نوح ولوط، ولا لعمي محمد صلى الله عليه وسلم أبي لهب وأبي طالب .

وفي المقابل امتد بيت النبوة ليضم تحت سقفه العامر: عمار العربي، وسلمان الفارسي، وبلال الحبشي، وصهيب الرومي.

وقد تجسد ذلك بطريقة عملية منذ الوهلة الأولى، قبل أن يقول صلى الله عليه وسلم عن سلمان: "سلمان منا آل البيت!"

وأظن أن النبي صلى الله عليه وسلم اختار سلمان كمثال لهؤلاء جميعاً؛ لأنه فارسي والفرس كانوا ألد أعداء العرب قبل الإسلام، وليؤكد أن الإسلام يجب ما قبله من قيم وعداوات .

لافته:

(الفكر السلالي) أخطر على الشعوب من (السل الرئوي)

نسب المواهب:

لكي تعاود أمتنا النهوض الحضاري، تحتاج إلى تقطيع حبائل العصبيات وأغلال الروابط الضيقة، وأن تمزق العرى الموهومة والصلات المكذوبة، وأن تنتصر لرابطة العلم والخبرة، وتستند على نسب الموهبة والقدرة، بحيث يتساوى الناس في محطة الانطلاق وقاعدة المواطنة، ثم يقام منهج التفاضل بينهم وفق معايير المعرفة والموهبة، وحسب التحقيق والإنجاز.

بمعنى أننا ملزمون بتقديم (نسب المواهب) على (النسب الوهبي!)

زهراء العدل:

فاطمة الزهراء هي أحب الخلق إلى قلب الحبيب محمد صلى الله عليه وسلم، ومع ذلك أوضح لها أنه لا يملك لها من الله شيئاً، حاثا لها على العمل وفق قاعدة المساواة مع سائر الناس.

ففي مجال الثواب قال لها: "اعملي فإني لا أغني عنك من الله شيئاً"، وفي مجال العقاب قال عنها: "لو سرقت فاطمة بنت محمد لقطعت يدها!"

فهل يكون أدعياء الأحقية الوراثية أحب إلى قلب محمد صلى الله عليه وسلم من فلذة كبده فاطمة؟ وهل امتنع صلى الله عليه وسلم عن إعطاء أي شيء من عطايا الله الكريم لحبيبته التي كانت ترفع أذى قريش عن كاهله، وأعطى حقوق الناس عامة: دماء وأموالاً

وأعراضاً وعقولاً، لمن يشوهون اليوم صورته ويرمون ببلاياهم عليه وعلى دعوته النقية !!!؟

أصنام قريش:

لم يمت الرسول صلى الله عليه وسلم إلا بعد تحطيم أصنام قريش وغيرها، وجاء بعد ردح من الزمن من انتسب إلى قريش، وجعل من نفسه صنماً يعظم، وطاغوتاً يطاع، تحت مزاعم (العترة) التي يجب طاعتها كطاعة (القرآن الكريم!(

وما زال الجهل يعبث بعوام المسلمين حتى اتخذوا هذه الأصنام البشرية أنداداً لله تعالى في الأمر دون الخلق، وفي الضر دون النفع!

ثورة ثقافية:

تحتاج أصنام قريش البشرية إلى مواجهة فكرية صارمة وثورة ثقافية شاملة، تقضي على أوهام التميز والاصطفاء، وتجتث مزاعم الوصية والتوريث، فالمسلمون ليسوا متاعاً يورث، بل هم بشر أسوياء، كرمهم الله بالحرية، وتعبدهم بالقرآن، وفق استطاعتهم واختيارهم، وعلى قواعد المساواة والعدالة والكرامة والمسؤولية.

وبالمناهج التعليمية التفاعلية، والثورة الثقافية الشاملة والتي تتوسل بوسائل الإعلام والوعظ كافة، وبمؤسسات صناعة الفكر والوعي قاطبة، يمكن للأحرار أن يسيروا على خطى إبراهيم ومحمد فيجعلوا هذه الأصنام جذاذاً!

عنقاد:

إذا كان الشيطان غريباً، فإن السلالية لا تقل غرابة عنه!

بُوركتم

■■عناقيد الفكر (٣٨)■■

"تسكير العقول"

●تخمير:

حرم الإسلام شرب الخمر، لأنه يغيب العقل عن واقعه، ويستره عما يجب أن يقوم به من مهام، مقابل لذة عاجلة ونشوة خاطفة.

ولإجماع الأمة على علة الحرمة وهي تغييب العقل وتعطيل ملكاته، فإن بالإمكان قياس الكثير من المسكرات التي تؤدي نفس الوظيفة، مع الفارق أن الخمر إسكاره مادي، بينما المسكرات الأخرى خمور معنوية.

●خمرة الجهل:

الجهل هو انحباس في غياهب العمى، مما يؤدي إلى توقف مدارك الإنسان عن النمو، وتعطل ملكاته عن العمل، ومن ثمّ يصير الجاهل مطية سهلة لشياطين الإنس والجن .

ولذلك كان الخلاص من خمرة الجهل أول فرائض الإسلام عندما أوجب القراءة وطلب العلم.

ويشبه الجهلة أصحاب العلم المنقوص الذين يتحصلون على بعض مسائل العلم، فيظنون أنهم قد صاروا علماء، وهؤلاء سكرهم أقوى وعماهم أشد؛ لأنه جهل مركب، ولهذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من ظن أنه علم فقد جهل!"

●خمرة الفكر:

خمرة الفكر ثمرة طبيعية لارتشاف عصير العلم بدون أواني المنهج الفكري المنضبط، حيث يختلط بالأكدار، ويمتزج بغوائل العقل المغرور، مما يغيب وعي المرء، وقد يرتكب جنايات عظيمة وهو يظن نفسه على الصراط المحمدي .

وربما كان هؤلاء من المقصودين بقوله تعالى: {قل هل ننبئكم بالأخسرين أعمالاً؟ الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا.}

●خمرة المجتمع:

وهي الخمرة التي تسلب المرء حريته واختياره، وتجعله ترساً في ماكينة المجتمع، أو فردا في قطيع التيار الجمعي، متسلحاً بمقولات كثيرة تؤصل للسلبية، وتبرر للإمعية، بحيث يصير كالبهيمة بلا وعي ولا اختيار، يسير مع القافلة حيث سارت!

●خمرة الدنيا:

الدنيا كأس حلوة المذاق، من تشربها بقلبه أصابته سكرة الغفلة، بما لها من طعم حلو ولذة عاجلة، وبما فيها من نشوة عارمة وسعادة خادعة.

وكلما نجح المرء في جمع المتاع، وإشباع الشهوات، وتلبية الغرائز؛ ازداد سُعاراً وزاد سكره وخالط حب الدنيا شغاف قلبه.

في هذه الحالة يصير المرء عبد المال، أو أسير المرأة، ولا يخرج من قفص الغرائز، ويظل يدور في فلك النزوات، ويطوف حول كعبة الرغبات، ويسعى بين جمع الأعراض وإشباع الشهوات، حتى يغيب وعيه تماماً.

وإن غائب العقل يؤدي الطقوس التعبدية بجوارحه دون جوانحه، فلا يكتسب حساسية التقوى، ومن ثم لا يحس بأوجاع الناس، ولا يهتم بأوضاعهم.

ويظل في هذه الغيبوبة إلى أن يأتيه الموت، وعندها يصحو من سكرته وينتبه من غفلته، فيبصر الأشياء كما هي، حيث يصبح بصره حديداً، ولكن بعد فوات الأوان!

●خمرة السياسة:

هذه الخمرة تنبعث من الشعارات الجذابة والخطابات الرنانة، ومن تضليل الشخصيات (الكاريزمية) للغوغاء، حيث تغيب وعي المرء حتى يصبح جزءاً من القطيع الذي يحمل لافتة الحزب، وبعدها قد يغيب وعيه تماماً، حتى أنه لا يرى إلا بعين الحزب ولا يسمع

إلا بأذنه، ولا يفكر إلا بعقله، ولغياب الديموقراطية فإن الحزب غالباً ما يكون هو القائد والزعيم!

●خمرة الماضي:

هذه الخمرة يشربها في الغالب المتدينون التقليديون، حتى أن نشوة خمرة الماضي تنسيهم مرارات الواقع!

ولا يرى هؤلاء الأحداث والوقائع إلا بأعين السلف، فيتماهون مع الماضي إلى حد الفناء فيه، ويغيبون عن الحاضر، بحيث لا تعمل من ملكات العقل إلا الذاكرة!

●خمرة الذكر:

مع أن الذكر فريضة إسلامية عينية، إلا أن بعض الطرق الصوفية ابتدعت أوراداً ذكرية مركبة ومكثفة، فاختزلت بعض الفرائض الإسلامية في الذكر، ومزجت فيه عناصر دخيلة أدت إلى إسكار بعض المريدين، إلى حد التلفظ بهذرمات السكارى، أو التقول على الله ما لا يجوز أو ما لا يليق على الأقل!

●عنقاد:

الفكر (خميرة) العقل المتألق، فإذا (تخمر) فسد!

بُوركت جمعتكم..



■■عناقيد الفكر (٣٩)■■

"مطايا النقد"

●مفتتح:

من سلك بأعماله ومشاريعه طريق العشوائية والارتجال، حيث لا يخطط في الابتداء، ولا يراقب الأداء، ولا يحاسب بعد الانتهاء؛ مضى في طريق التضعضع وصارت عاقبة أمره خسرا!

●إغلاق وفتح:

إن عدم تفعيل ملكات النقد وآلياته، يحدث خللاً رهيباً في الشخصية الإنسانية بجوانبها الفكرية والروحية والعملية؛ لأنه يؤدي إلى انفتاح منابع: الجبرية، والغفلة، والغثائية، والأمن من مكر الله، والقبول بالمصادفات العمياء.

وفي المقابل يغلق منافذ الضخ لقيم: السببية، والإجادة، والإنجاز، والابتكار، والتميز، واليقظة، والمسؤولية.

●انقلابات اجتماعية:

يؤدي غياب النقد الاجتماعي إلى تغييرات كبيرة في تضاريس المجتمع ومناخاته، حيث تنشأ جزر نائية عن الأنظار، وقصية عن المراقبة، وتصبح عصية على المساءلة والمحاسبة! وتتكون هضاب من الأخطاء وجبال من الخطايا، وتضرب المجتمع أعاصير الارتجال والتخبط، وعواصف الفوضى والعشوائية.

ويشتد –في هذه الظروف– هجير الظلم والاستبداد وصقيع التحلل والفساد، ويتم تجاوز القوانين العادلة واختراق المعايير الموضوعية.

●مراجعة لا تراجع:

)المراجعات) في ظل الإسلام (مفروضة)، أما (التراجعات) فهي (مرفوضة.)

ذلك أن النقد الذاتي مبدأ إسلامي عظيم، أما النكوص على الأعقاب وتولية الأدبار فهو خلق شيطاني ذميم!

●اختلاف المآلات:

مما لا شك فيه أن التسلح بالنقد الذاتي في قراءة الواقع وفي الانغراس السليم فيه، يساعد على استشراف المآلات واستبصار العواقب، مما يجنب أصحابه سياط العقاب، ويوصلهم إلى تحصيل الثواب.

●إصلاح العواقب:

بمداومة المرء على النقد الذاتي يستجلب عاقبة المتقين، ويتجنب عواقب المفسدين والظالمين، وهي لا شك عواقب الضنك في المعاش والخسران في المعاد.

●ضرورة النقد:

ليس ثمة إنسان فوق النقد مهما علا شأنه، ومهما بلغ من شأو؛ ذلك أن علمه لا يلغي آدميته، وتقواه لا ترفعه فوق بشريته، ومهما ترقى وتزكى فسيظل إنساناً قاصرا ولن يصير ملاكاً معصوما.

إنه لا ينفك بتاتاً عن أصله الترابي، بما يحمله من أوشاب وما ينطبع في تركيبته من شوائب!

●ارتياد:

النقد مطية مأمونة، تستطيع مساعدة راكبيها على ارتياد المستقبل المنشود.

●عنقاد:

ما دام البشر من (طين لازب)؛ فإنهم يحتاجون إلى (نقد لازم !(

بُوركتم..

■■عناقيد الفكر (٤٠)■■

"تلال التفاؤل"

●تلال التفاؤل:

عندما نسير نحو هدف ما في أرض غير سهلية، وصرنا على مقربة منه، فإننا نراه إذا ارتفعنا فوق تلة، أما إذا نزلنا إلى وهدة أو واد فقد يختفي عن أنظارنا، لكن غيابه عن الأنظار لا يعني غيابه عن الواقع!

وهذا يثبت أننا في هذه الظروف الصعبة، أحوج ما نكون إلى اعتلاء تلال التفاؤل وصعود قمم الآمال، حتى نرى أهدافنا بأم أعيننا، لأننا عندما نثق بأنها قريبة منا، سنغذ السير، ونضاعف الهمة، وسينقلب التعب إلى دأب، ويستحيل رهق الإحباط إلى سعي حثيث، وستتحول خيبات الأمل إلى طاقات دفع تذكي مسيرة العمل.

●عسل الحنظل:

كيف يعرف مدى حلاوة العسل من لم يتذوق مرارة الحنظل؟

وكيف يستمتع بطعم الآلاء من لم تنزل به الأرزاء؟

وكيف يدرك قدر المنح من لم تنزل به المحن؟

وكيف سيحافظ على النعم من لم يتعرض للنقم؟

إنها أسئلة تلفت أنظارنا إلى فلسفة المحن التي تتعرض لها نخب الحياة في مجتمعاتنا، وتحثنا بعد مراجعة أفكارنا وخططنا ووسائلنا وأعمالنا، على استخراج العسل من من قلب الحنظل، وعلى تحويل حموضة الأوجاع إلى إكسير دواء!

●دوامة اليأس:

تتحطم على أحجار المعاصي كتل الخير في الإنسان، والخطورة الأكبر هي أن يتحطم عليها حسن ظنه بالله؛ لأنه حينها سيقع في دوامة اليأس، وسيتردى في حبائل القنوط، مما قد يدمره ويحيله إلى أطلال إنسان، وقد يصير غثاء مرميا في قارعة الحياة!

●سفائن التقدم:

ما تزال سفائن التقدم الحضاري لأمة المسلمين، تمخر عباب العوائق وتشق أمواج الموانع، عابرة نحو الشواطئ الذهبية والضفاف الخضراء.

وكلما اقتربت من مرافئ الأهداف ومراسي المقاصد؛ زاد جنون الأمواج وتكالبت عليها دوامات الإعاقة.

ومهما كانت هذه الأمواج قوية، فإنها بفضل عدل الله تتكسر على صخرات التصميم، وتتبدد في آفاق الصبر.

●المتوكل الحق:

كامل الإيمان هو المتوكل على الله حقا؛ لأنه يتدرع بكل ما يستطيع من أسباب القوة والعزة والمنعة، ويتضرع إلى مالك الأسباب بكل ما يملك من خشوع وخضوع، بأن يمنحه القوة والغلبة والتمكين، حتى لكأنه لم يفعل شيئاً، وبهذا يجمع بين كمال الإيمان قوة الفاعلية.

●ولادة:

علمتنا الأيام أن (الصبح البهي) يولد من رحم (الليل البهيم)، وأن (اليسر الضحوك) يخرج من ثنايا (العسر الكئيب)، وأن (أعراس الفرح) تعقب (مآتم الترح!(

●عنقاد:

إذا ارتفعنا فوق أكوام التحديات صابرين، واعتلينا تلال الإرادة آملين، فسنرى أن نصر الله قريب.

بُوركتم..

■■عناقيد الفكر (٤١)■■

"احتكار الحقيقة"

●أدعياء الحقيقة المطلقة:

من العجائب أن أصحاب الأدران يتبادلون الأدوار، وأهل الباطل تتكامل جهودهم ويتضامن بعضهم مع بعض، رغم تناقض المقاصد والمنطلقات.

بينما يتبادل أصحاب الاستقامة السباب، ويتقاذفون التهم، وتتنافر جهودهم في ميادين الشقاق، وتتآكل في ساحات الصراع، ويتسابقون في طرائق التسفيه وادعاء امتلاك الحقيقة المطلقة!

●احتكار الفُرقة:

إن احتكار الحقيقة يصنع القابلية الشديدة لقبول الدسائس، واحتضان النمامين الذين يوغرون الصدور ويمزقون الصفوف، ولا يكفون عن تكسير جسور العلائق، وتوسيع فجوات الفوارق في أوساط المسلمين .

ويخلق احتكار الحقيقة بيئة خصبة لاحتدام الصراع الأعمى والتحارب المجنون، ولاشتعال أسباب التفرق وازدهار عوامل التمزق!

وقد اشتهرت أكثر فرق ومكونات المسلمين باحتكار الحقيقة المطلقة، حتى كادت الفرقة أن تصير حكراً عليهم في هذا الزمن، زمن القرية الكونية الواحدة التي لا مكان فيها إلا للكيانات الضخمة والمتماسكة، مما جعل أوروبا تتوحد، وحذت حذوها بقية أمم الدنيا إلا المسلمين الذين ما زالوا أسرى التشرذم والانقسام!

●موسمية الهطول:

يعلمنا كل شيء في هذا الكون أن الحياة منتظمة وفق قوانين صارمة، ومنها قانون النسبية حتى في مواسم تنزل الأمطار.

وعلى مستوى الوطن العربي مثلاً تهطل الأمطار في بلاد الشام والعراق وشمال إفريقيا في الشتاء لكونها جزءاً من إقليم البحر المتوسط ذي الأمطار الشتوية، بينما تهطل أمطار اليمن في الصيف، وأمطار عمان في الخريف، وتهطل أمطار السودان والصومال في الصيف والخريف، وبهذا تتكامل المزروعات وتنساب الحياة.

ويعتقد أصحاب كل بلد أن الأمطار في الأرض كلها لا تهطل إلا في الموسم الذي اعتادوه، نظراً لمحدودية المعرفة وسطوة ثقافة احتكار الحقيقة.

ومن ثم تتعزز ثقافة الأحكام المطلقة في سائر نواحي الحياة، ولاسيما في عوالم الأفكار والمعنويات؟ !

● علل الفكر:

تنعكس العلل الفكرية على أداء أصحاب المواهب والمهن كافة، ومن أخطر هذه العلل: الشخصانية، وردود الأفعال، واحتكار الحقيقة المطلقة.

ولو أخذنا الشعراء نموذجاً، لرأينا أغلب شعرهم يطفح بمزاعم امتلاك الحقيقة، وينضح بردود الأفعال، فهو صدى للأحداث كالمآتم والأعراس والمناسبات الدينية والوطنية، ويدور في فلك الأشخاص مدحاً أو قدحاً، تقديساً أو تبخيساً .

ومن ثم فإن معظم الشعر لا ينطلق من رؤى ناضجة للنهوض الحضاري، ولا يساهم في صناعة الفاعلية، وإنما يعمق ظاهرة الانفعالات وردود الأفعال، ويزيد من تورم الذوات وتضخم آفة الشخصانية واحتكار الحقيقة.

ومن هنا تأتي خطورة الفكر، وتشتد الحاجة إلى معالجة علله، وتفجير منابع الرشد الكامنة في أصوله بشكل أكبر، ورفده بالإمكانات التي تضمن تشرب الأجيال الجديدة له، بحيث يخرج الأمة من متاهة التخلف، ويمنحها خارطة التقدم الحضاري.

●عمى التعصب:

لا يرى المتعصبون شموع الحقائق ولا يستضيئون بمصابيح الهداية؛ لأن التعصب يعمي أبصارهم عن الرؤية، ويمنع ألبابهم من الإدراك .

●عنقاد:

لقد تجاذب المسلمون ثياب الحقيقة حتى قدت من قبل ومن دبر، وأمسى أغلبهم في عراء التخلف.

بُوركتم..



■■عناقيد الفكر (٤٢)■■

"مفاتن القوة"

●حق القوة:

رغم الثورات الثقافية والانفجارات المعرفية التي شهدتها البشرية في عصرنا، إلا أن القوة ما تزال حاضرة في قرارات كثير من الدول.

صحيح أن الدول الغربية جعلت من القوة إجراءً استثنائياً في تصفية الخلافات البينية، حتى أن دولاً تتقدم على أخرى في النفوذ الدولي، رغم أنها أقل عدداً وأضعف جندا، بسبب القوة الاقتصادية أو الدهاء السياسي أو الحضور الثقافي.

غير أن هذه الدول ما تزال في علاقاتها مع العالم الثالث عامة والإسلامي خاصة، تنتهج سياسة القوة والقسر وتفرض عليها الأمر الواقع، كأنها تحقق ما قاله شاعر عربي:

فالحق للأقوى على جنباتها
ليست لأفضلها ولا للأعلم!

●قوة الحق:

مهما كان الحق ساطعاً كالشمس مسفرا كالفجر، ومهما كانت القضية عادلة والفكر سديداً، فإن الحق الذي لا تحميه قوة، سيظل عرضة للانتهاك من قبل الطغاة والبغاة.

ما ليس يدفعه المهند مصلتاً
لا الكتب تدفعه ولا الأقلام!

●القوة الشاملة:

ينبغي لمفهوم القوة أن يتسع حتى يستوعب كل ما يساهم في تمتين بنيان الأمة الحضاري، وذلك عبر:

-تسميك أعمدتها الفكرية.

-حراسة أسوارها الثقافية.

-تشييد صروحها العلمية.

-إرساء حصونها التربوية.

-إعلاء قلاعها العسكرية .

●حسم الحسام:

عندما تختنق العلاقة مع الأعداء، ولا يجدي معهم الحوار، تصبح القوة هي العلاج الناجع، إذ لا حاسم كالحسام، ولا قاطع كالصمصام.

●أذيال الحاجة:

إن حاجات الأفراد أو الدول التي لا يستطيع أصحابها تلبيتها، نتيجة للفقر والضعف، هي الأذيال التي يطيلها الخصوم والأعداء، حتى يدوسوا عليها ليتحكموا بالقرارات والمصائر!
وعلى سبيل المثال اشتهرت خيانة الشريف حسين ملك مملكة الحجاز للدولة العثمانية، عندما أعلن الحرب عليها متحالفاً مع الإنجليز مطلع القرن الماضي، مقابل (الوعد) بجعله خليفة على العرب جميعاً، ولم يبحث الكتاب عن الشق الآخر وهو (الوعيد)!
فقد ضغطت عليه بريطانيا، بمنع الحجاج من الوصول إلى مكة، فتوقف المورد الرئيسي للمملكة ولم تقدر على دفع المرتبات، مما أدى ب(الشريف) حسين إلى (خيانة) أمته.
بالطبع هذا ليس تبريراً لكنه تفسير.

●معارك هزلية:

استبدلت أمتنا الذي هو أدنى بالذي هو خير، فسقطت من علياء مجدها، وحلت الأقوال محل الأفعال، واحتلت الشعارات مكان الممارسات، وأصبح الجهاد مجرد عنوان بدون مضمون.

وما زال الترهل يتمادى إلى أن أزرت بنا معاركنا مع أعدائنا، حيث كسبناها في الأماني والإعلام، ولم يعد لبطولاتنا مكان إلا في الخيالات والأوهام، حتى ضرجنا أعداءنا بدمائنا!!

●سلاح ذو حدين:

إن افتتان الغرب بقوته الضخمة سلاح خطير، حيث سيقوده إلى حتفه رغم أنفه، ولو بعد حين.

وإن انقهار المسلمين تحت مشاعر الضعف المخزي سيستفز في قلوبهم إرادة التحدي، ويستثير في واقعهم طاقة التقوّي، وستؤدي المزيد من الضغوط إلى اكتمال الانبعاث .

●عنقاد:

أدى (الضعف) الفاضح للمسلمين إلى بروز (القوة) الذاتية لهذا الدين، حيث ظل (يتقدم) وسط الغربيين رغم (تخلف) المسلمين!

بُوركتم..



■■عناقيد الفكر (٤٣)■■

"قوارع الطغيان"

●التطغيف الظالم:

مازال الظالمون يفرحون بما حصلوا عليه من حقوق الآخرين، وبما خلص إليهم من الأموال والأعراض الهائلة، ومازالوا يطففون المكاييل والموازين، حيث يجعلون لهم الحرية والكرامة والمنعة وللآخرين العبودية والمهانة والاعتداء، ويستأثرون بالحقوق لوحدهم، ويجعلون الواجبات كلها على غيرهم.

وعندما يطفح كيل الظلم ويبلغ سيل القهر الزجا، عندها يتنزل وعيده المتحقق من خلال ثورة المقهورين وانتفاضة المستعبدين ضد الظالمين.

وعندما يأخذ الله الظالمين فإنه لا يفلتهم، وأخذه لا شك أليم شديد؛ لأنه انتقام الجبار لأعداد هائلة من المقهورين، ولأنه. أخذ عزيز مقتدر.

●مقارعة القوارع:

الشعوب التي لا تجرؤ على (مقارعة) حكامها الظلمة ومدافعة كبرائها الفسدة، تصيبها (قارعة) الاستبداد التي تصنع بهم الأفاعيل، وترمي بهم في (قوارع) التخلف!

وعليه فإن من يقارع الظالم بالحجة والبرهان، إنما يدفع عن نفسه وبلاده قوارع الاستبداد الذي يتوحش أكثر كلما زادت الضحايا وامتد به العمر!

●نفحات الكرامة:

من لم يعش في ضياء الحرية، متحملاً (نار الكرامة) المنبعثة من السراج، عاش تحت نيران العبودية.

ومن تحمل لفحات سراج الحرية حتى يضيئ تجنب نيران العبودية الأبدية واستمتع بنفحات الكرامة.

●انتقام القوة:

عندما تضعف الجماهير فإن قوتها المفترضة تذهب إلى الحكام والكبراء، مما يطغيهم ويعميهم، ويدفعهم لارتكاب الكثير من الجرائم.

وما لم يقم هؤلاء بتصريف القوة المتراكمة في حروب مع الخارج، فإنها ستتجه إلى الداخل لتشيع الدمار والخراب، كأن القوة التي تخلى أصحابها عنها عادت لتنتقم منهم!

●استدراج القوة:

عندما يزيد الظلم تتراكم أموال الظالم وسلطاته، فتدفعه نشوة القوة وغرور الانتصار إلى التهور في أمر غير محسوب العواقب فيكون فيه حتفه، وما هو إلا صورة من صور الاستدراج الرباني، رغم تعجب الناس من حلم الله تعالى!

وفي مثل هذا الأمر قال الشاعر القديم:

وكم قضايا على غير الصواب مضت

حكماً ولله في تنفيذها حكم.

●تعجب:

ذهب كثير من فقهاء السنة إلى عدم جواز الخروج على الحاكم الجائر مادام لم يأمر بمعصية!

وتصيبني الحيرة والذهول حول ماهية المعصية، هل هي ما بين العبد وربه فقط؟!

وهل شرب الحاكم (لكأس الخمرة) أخطر من تجريعه للناس (كؤوس الظلم) الحنظلية؟!

وهل سكرة الخمرة أقوى من سكرات المنايا التي يجرعها الظالم للمستضعفين؟!

●عنقاد:

ما دامت مجاميع من أمتنا قد انتفضت لمقارعة الطغيان، فإن قافلتها سائرة نحو التمكين.

بُوركتم..

■■عناقيد الفكر (٤٤)■■

"مراقي الفاعلية"

●فرسان البناء:

فرسان البناء هم من يركبون صهوة الفاعلية في جهادهم الأبيض لبناء الإنسان الذي يصل بجوانحه وجوارحه إلى الكمال المقدر له.

وهم الذين يستثمرون سائر الطاقات في استعمار الأرض واستصلاح الحياة، وصولاً إلى فردسة الأوطان وفق المنهج السامي.

المنهج الذي في ظل الاستمساك به، تنبجس خيرات الأرض وتنسكب بركات السماء، فيعيش البشر في بهجة، تؤكد تأهلهم للعودة إلى الفردوس السماوي المفقود.

●نهار الحضارة:

شتان بين صناع النهار وعشاق الليل، فمن يعيشون في نهار العلم والعمل، ويسيرون في دروب الجهاد والاجتهاد، ويكابدون حرارة النصب والدأب، هم من يدورون في فلك شمس الحضارة، ويستهدون بضياء المعرفة، ويكتشفون مجاهل الحياة، ويستثمرون طاقات الطبيعة في استعمارها والاستمتاع بها.

أما من يعيشون في ليل الجهل وحوالك الكسل، فإنهم يتمحورون حول بدور العواطف، ويتعلقون بنجوم الأماني، ويكرسون حكايا القعود والانتظار، ويقطعون أزمانهم في السبات والدعة، وتكثر في حياتهم المنامات والأوهام، وينسجون من أضغاث الأحلام خيالات يتعلقون بها ولا تقودهم إلا إلى السراب!

●فرسان الخيال:

يوجد في أمتنا عدد كبير من الناس، نسمع جعجعتهم ولا نرى لهم طحيناً.

والعجيب أن هؤلاء يشربون من عيون الخبال، ويتجولون في حدائق العدم مقتطفين ثمار المحال، ويهرولون نحو الأوهام، ويسوقون أمتهم نحو أنهار السراب!

وإذا كان هؤلاء هم فرسان الخيال، فأين فرسان الخيل والنزال؟!

●سؤال الفاعلية:

من أين ستأتي فاعلية أمتنا، وأعداد كبيرة من أبنائها قد كسرت أثقال التقليد ظهورهم، أو قيدت أغلال التغريب أقدامهم؟!

●عسل الكسل:

إذا كان العمل هو العسل الذي يشفي الناس من علل البطالة والعطالة، ومن أوجاع الفقر والفاقة، ويداويهم من علل التخلف والانحطاط، فإن الكسل عسل العاجزين وغذاء القاعدين، الذين يستمرئون الارتماء في قوارع الطرق، يتكففون حثالات الناس، ويعيشون عالة على الخلق.

قال أحد الشعراء القدامى:

إن التهاون والكسل

أحلى مذاقاً من عسل

إن لم تصدق فسل

من كان قبلي في الكسل!

●غُبار الكسل:

عندما ينفض الإنسان غبار الكسل ويقوم باستزراع الأرض، تتنفس التربة هواء الحياة، ويختفي غبار الاختناق، وعندها تزدهي الحياة بالخيرات، وتكتسي الأرض حلة الجمال!

●عنقاد:

كم هو مؤلم ومؤسف أن تكون أمة "وقل اعملوا .." هي الأكثر بطالة وعطالة بين الأمم!

بُوركتم..

■■عناقيد الفكر (٤٥)■■
"أكدار الخطابة"

●المنابر العاجية:

عندما اعتلى بعض المتنطعين (منابر الجمعة) أحالوها إلى (أبراج عاجية)، بعيدة عن هموم الناس وآلامهم، قصية عن حاجاتهم وتطلعاتهم، حيث تركوا عظائم الأمور منغمسين في السفاسف، وغضوا الطرف عن المنكرات الكبرى والفواحش العظمى التي تطحن قيم المجتمع، وتعري الأفراد من ثياب الأخلاق، وتجردهم من ملابس العفة والحياء، وانشغلوا بقضايا لا ينبني عليها عمل، واستهلكوا طاقاتهم في خلافات ما أنزل الله بها من سلطان، بل وأقاموا عليها ولاء وبراء، وأقحموا الناس في معارك لا ناقة لهم فيها ولا جمل!

●افتعال الانفعال:

إن افتعال الخطيب للانفعال وتكلف الحماس، ذو مردود سلبي، إذ قد يشكك المستمع في نية الخطيب، ظاناً أنه يتصنع ويتنطع، مع أنه قد يريد وجه الله، لكن سوء فهمه للخطابة، وظنه أن الانفعال لابد أن يلازم الخطبة مهما كان الموضوع، هو الذي أورده موارد التهم.

●الخطبة الأصيلة:

الخطبة ليست كلمات باهتة باردة، بل هي نصوص حية، مشحونة بالحرارة، مفعمة بالعاطفة، زاخرة بالقيم، مزدانة بالآيات، عاجة بالقصص والمواقف الحياتية المتجددة.

تتجلى فيها قدرة الخطيب على مخاطبة كافة شرائح المجتمع، بحيث يستثير عواطفهم وينمي أفكارهم، يناجي قلوبهم ويحاور عقولهم، يرتقي بالألباب وينقي الأفئدة، مجتهدا أن تجمع أساليبه بين الإقناع والإمتاع، ما استطاع إلى ذلك سبيلا.

●حمار الكذابين:

احذروا أيها الخطباء أن تركبوا حمار الكذابين، وأن تشهد عليكم منابر الجمعة يوم القيامة بالرياء!

ولقد كان الشيخ دحمل الصهباني –وهو من صلحاء اليمن في القرن السادس الهجري – عندما يأتي منبر الخطيب بالجامع يضربه بالعصا ويقول له: "يا حمار الكذابين !"

فجاهدوا أيها الدعاة لعبور المسافة التي تفصل بين أقوالكم وأعمالكم!

●استعراض المواهب:

تغص بعض الخطب بالأكدار التي تشوه نصاعتها وتفسد رسالتها، ومن أسباب ذلك ميل بعضهم لاستعراض قدراتهم ومواهبهم، أكثر من عرض خصائص الإسلام وقدراته ومكارمه!

ومن طرائق تجنب هذا الاستعراض، الكف عن الارتجال والحرص على كتابة الخطبة ولو كرؤوس أقلام، حتى يبتعد عن مزلق الغرور، ويضمن عدم النسيان أو التكرار، ويحول دون الشرود والتنقل بين الموضوعات.

وتمكنه كتابة الخطبة من إشباع الموضوع وضبط الوقت، وبهذا يتفاعل الناس ولا يشعرون بالملل ولا يخرجون أصفار العقول!

●خطوب الخطباء:

عندما أتأمل أوضاع أمتنا الداخلية وخطوبها الذاتية، يصدمني أن أجد بين خطبائها من يشاركون في صنع خطوبها، وهم الذين يعتلون المنابر بغير أهلية سوى الحفظ لبعض النصوص والقصص، وامتلاك الصوت المجلجل، ظانين أنهم الأفضل والأعلم، بينما هم ينفرون الناس من الإسلام بجهلهم، ويحشون عقول العامة بالخرافات والمبالغات، ويصورون الإسلام كأنه دين لاهوتي أخروي، وبذلك يذللون ظهور العامة للطغاة المستبدين!

بُوركت جمعتكم..

●عنقاد:

احذر أن تكون الجسر الذي يعبر عليه الشيطان لإفساد غيرك!





■■عناقيد الفكر (٤٦)■■

"كنوز الأوقات"

●الإهداء:

أهدي هذا المقال إلى أعلم المسلمين بقيمة الوقت وأثراهم عمرا في عصرنا، رغم أنه لم يكمل ٤٣ من عمره المديد.

إلى الإمام حسن البنا الذي افتتح عمره في إصلاح الساعات، وعمر حياته القصيرة بجلائل الأعمال، وكان يؤكد أن (الوقت هو الحياة)، ويشكو من أن (الواجبات أكثر من الأوقات)!

إلى مهندس عمارة الأوقات في الذكرى ٦٧ لاستشهاده.

●شحن الأعمار بالأعمال:

المؤمنون حقاً ذوو إنجازات غزيرة مهما كانت أعمارهم قصيرة؛ لأنهم يشحنون الأعمار بالأعمال، ويغمرون السنوات بالصالحات، ولا تعرف أيامهم الكسل، ولا تقبل شخصياتهم التسويف، ولا يضيعون الثواني في التواني!

●بركة الزمن:

للزمن عند المؤمن بركة خاصة بفضل إيمانه وحسن تخطيطه.

وإنه ليدعو الله دوما بأن يبارك له في وقته، لكن البركة ليست نتيجة عوامل غيبية خالصة، بل ثمرة توفيق رحماني لاستثمار السنن، وامتلاك خارطة استعمار الزمن.

ولذلك تجد المؤمن رغم كرمه وسخائه، ضنيناً بوقته على الملهيات، شحيحاً به على التوافه، تستهويه عمارة الأيام بالمعالي، ويستعذب استثمار الساعات في طلب العظائم ومعانقة الفضائل.

●طاقة الوقت:

الوقت شرط أساسي من شروط الحضارة، ولذلك يواصل رجل الإيمان الإبحار في محيط الزمن بمهارة عالية نحو ضفاف العمارة، إذ أن ديدنه هو النفع، ودندنته حول الخير، لا يشغل الدقائق في الصغائر، ولا يفرط بالثواني في المسائل الثانوية، ولا يكف عن شحن طاقة وقته بزاد التوجيه الرباني: "فإذا فرغت فانصب."

●امتلاء الأوقات:

المحسن لا تكفيه أوقاته لتحقيق كافة متطلباته، إذ لا يكف عن الدأب، ولا يستنيم عن النصب، ولا يتوقف عن الكدح للترقي بذاته، والتعبد بتصريف كنوز أوقاته في خدمة الخلق وإحقاق الحق، وفي تحرير الورى من عبودية الأوثان والأهواء وعمارة الأرض وفق المنهج القويم.

●الديمومة:

إذا رأيتم الرجل يعتاد الصدقات، ويواصل المعروف، فاشهدوا له بالإيمان .

لأن الطفرة المؤقتة يستطيع القيام بها أي واحد، لكن الديمومة لا تكون إلا للمؤمن، ولهذا كان القليل الدائم خيراً من الكثير المنقطع.

● كنوز الفضل:

منح الله عباده كنوز فضله، وفي موضوعنا هذا هي أوقات خصها الله بفضائل وجلائل لا توجد في غيرها، وأخفاها وسط أوقات طويلة، حتى يدفع الناس للارتباط به عز وجل في سائر الأوقات، ومن أمثلتها:

-الساعة التي أخفاها الله في الليل، وذكر صلى الله عليه وسلم أنه: "لا يوافقها رجل مسلم يسأل الله تعالى خيراً من أمر الدنيا والآخرة إلا أعطاه إياه، وذلك في كل ليلة."

-الساعة التي أخفاها في نهار كل جمعة، وتستجاب فيها الدعوات.

–الليلة التي أخفاها في رمضان من كل عام، ويزيد فضلها عن ألف شهر من سائر الأوقات كما في سورة القدر !

أما كنوز الفضل في شؤون المعاش فهي اجتهاد الموهوب المتخصص، فإن ساعة من عمله ربما عدلت عشرات الساعات من عمل غيره.

●حصيف الوقت:

الحاذق الحصيف هو من يجعل من ساعاته أباريق يسقي بها شخصيته، فتسير دوما في طريق التزكي والازدهار، حتى تصبح دوحة سامقة تنشر أريجها الفواح، وتفيئ بظلالها الوارفة، وتنشر ثمارها اليانعة في الأرجاء.

●عاقل الوقت:

العاقل هو من يتخذ من سنواته درجات في سلم المجد، يعتليها للصعود نحو المكارم، وللسموق نحو الفضائل، بحيث يجد في اجتراح المآثر، فإذا مات فني جسده، وبقي ذكره في الخلق، واستمر أجره في التدفق.

●عنقاد:

بالفكر السديد والفعل الرشيد، يصير عمر الإنسان مديداً.

بُوركتم..



■■عناقيد الفكر (٤٧)■■

"مصاعد الفاعلية"

●حياة الخلد:

هناك أناس يولدون ثم يموتون، يعيشون ولا يحيون، رغم وصول أعمار بعضهم إلى حافة القرن.

فإن من يعيش هذه الحياة هو من يصنعها، وينحت بصمته الفاعلة في جدرانها، ويترك أثره الطيب في أنحائها.

وعلى قدر ما ينجز من مآثر ويترك من آثار تكون حياته ويكون خلوده.

يقول أحمد شوقي:

ولا خلد حتى تملأ الدهر حكمة

على نزلاء الدهر بعدك أو علما

فالحياة هي العمل، والخلود هو الإنجاز، والبقاء هو الآثار، والمآثر هي الباقيات الصالحات التي تستمر –بعد موت الإنسان– في هطل الأجور وإحراق الأوزار.

●رجال الفاعلية:

يمتلك رجال الفاعلية الكثير من الخلال الرائعة، كمزجهم بين السنا والسناء، سنا الأرواح وسناء العقول، وجمعهم بين روعة الجوانح وبراعة الجوارح، ثم إن قلوبهم لا تعرف أصغر الطمع لكن عقولهم مترعة بالطموح الكبير.

● هامة الإحسان:

لا يستطيع الإنسان أن يتفلت من رقابة الله لحظة من زمن ولو كان في أخفى مكان، إذ أن علمه سبحانه أحاط بكل شيء، فهو عز وجل يعلم خائنة الأعين، ويدرك ما تضمر النفوس، وهو سبحانه أقرب للإنسان من حبل الوريد وأعلم منه بخفايا نفسه.

ولو وصل الإنسان إلى درجة اليقين في إدراك هذه الحقيقة، فإنه سيمتلك طاقة صعود هائلة، حيث سيتدرج في مدارج الترقي ويعرج في مراقي التزكي، إلى أن يتبوأ هامة الإحسان، وهنا تستحيل فاعليته إلى شمس ترسل أشعة نفعها إلى مختلف الأرجاء والكائنات .

● **عدل الاصطفاء:**

تتجلى صفة العدل المطلق في سائر أفعال الله الكونية، وفي تدبيره لأمور الحياة، وتعامله مع الخلق، فهو يصطفي من يشاء، ويجتبي من يريد.

لكن مشيئته تعالى لا تنفك عن عدله، ولذلك لا يصطفي من خلقه ولا يجتبي من عباده، إلا من كان ذا عقل كبير وقلب واسع، ومن امتلك طاقات مدهشة وقدرات مبهرة، ومن تحلى بأخلاق عالية ومعاملات سامية.

وكما أن الله أعلم حيث يجعل رسالته، فإنه أخبر حيث يضع اصطفاءه!

● **أساس النفس:**

يؤكد تقلب الأيام وخبرات العصور، أن تزكية النفوس وترقية القلوب، أساس الصلاح في الدنيا والفلاح في الآخرة!

● **لذة الإيمان:**

إذا ذاق المسلم حلاوة الإيمان، فإن واجبات الشريعة تصبح عنده سهلة ميسرة، حتى أنه ليرفل في قيود الشريعة، ويزدان بفرائضها، ويسعد بتنفيذ أوامرها، ويحيل أغلال النهي إلى حبال لوصل الخلق واستنزال رضى الخالق، فيسعد في بحبوحة العيش وهناءة الحياة.

●الذات الفاعلة:

عندما تنغرس أفكار الإسلام العظيمة في الرؤوس، وتمتزج قيمه السامية بشغاف القلوب، فإن الفرد يصبح مهيئاً لاستقبال عطية الذات الفاعلة.

●عنقاد:

بالعقل والروح لا بالطين والفخار، يصنع الإنسان المآثر ويترك أعباق الفخار.

بُوركتم..



■■عناقيد الفكر الحلقة (٤٨)■■

"تصاريف الزمن"

●صناعة الخسارة:

إن إرادة الله تجعل حزب الشيطان من الخاسرين في الآخرة، وينبغي لإرادة المؤمنين أن تجعل حزب الشيطان من الخاسرين في الدنيا، لأن المؤمنين هم أواني السنن وأيادي الإرادة الإلهية .

ولا يتحقق ذلك إلا بالعزائم الجبارة والتصميم القوي، وبالعمل الخلاق والتكامل المبارك، مع توظيف سائر الإمكانات وشتى الطاقات، وفق منهج علمي ومخطط شامل .

ولا شك أن الوقت عنصر أساسي وثمين في تحقيق ذلك كله، فمن لم يستثمره بحذق، ويوظفه بعلم، فإنه لن يستطيع أن ينزل الخسارة والبوار بأعدائه من حزب الشيطان بل وسيكون أكبر الخاسرين .

●أعلام التعملق:

إنما صار بعض الناس أعلاماً يشار إليهم بالبنان؛ لأنهم عمروا أوقاتهم بالأعمال الصالحة، ابتداءً بطلب العلوم النافعة، ومروراً باكتساب الأخلاق الحسنة، ووصولاً إلى اجتراح الأفعال النافعة.

ومن ثم فإنهم في تعلم مستمر وعمل دائب، وفي تعملق متصل وازدياد متتابع.

●واجبات الأوقات:

إحذر من (انقضاء) الأوقات قبل أن (تقضي) ما عليك من واجبات، فإن لكل وقت متطلباته ضمن شعب الإيمان، التي تحقق العبادة الواسعة في محراب الحياة.

فمن انقضت أوقاته دون قضاء واجباته، فقد قضى على ذاته بالخسارة والوبال!

●أعمار الأعمال:

إنما تقاس الأعمار بالأعمال؛ فمن ملأ سنواته بالصالحات فقد عمر وتعمر حتى لو مات وهو في مقتبل الشباب!

ومن خلت آنية سنواته من الصالحات، فقد قصف عمره ولو بلغ من العمر عتيا!

●بين التجدد والتقادم:

النخلة تشعر بالزمن وتستثمره في البسوق نحو العلياء، أما الأخشاب المرمية في قوارع الطرق، فـلا يزيدها مرور الزمن إلا تهالكاً وتآكلاً .

فإذا كان مرور الزمن يزيد النخل تجدداً، ولا يزيد الأخشاب إلا تقادماً، فسل نفسك: هل أنا نخلة سامقة أم خشبة مسندة؟

●بين العطاء والعطالة:

الفرق بين جذوع النخل الباسقة في السماء وبين الخشب المسندة على الأرض، هو فرق بسيط في الظاهر، لكنه كبير في الجوهر، فهو فرق بين الحياة والموت، بين الامتلاء والخواء، بين العطاء والعطالة، بين أكمام التمور وأكوام الجمور، بين الإسناد والاستناد.

ولكي تصير مؤمناً حقاً، كن جذع نخلة تحمل فوق عاتقها رطبا جنيا، ولا تكن خشبة عثرة في طريق الناس.

كن مسنداً لهذه الأمة لا مستنداً عليها، قدم لها إكسير الحياة ولا تضف لها المزيد من الأسقام .

●عنقاد:

من يجيدون صناعة الحياة يدركون جيداً تصاريف الأيام، ويعرفون كيف يتصرفون بالزمن.

بُوركتم..

■■عناقيد الفكر (٤٩)■■

"أقمار العدل"

●حكم العدل:

خلق الله ما فوق الثريا وما تحت الثرى وما بينهما وحده، أفلا يكون له الحكم والأمر؟!
ويعلم الله ما في (بطن النواة) وما على (ظهر الكون)، أفلا يعلم ما يصلح الخلق وما يسعدهم ؟!

● عبادة الحكم بين الناس:

إن حكم الناس وفق منهج الله، من أهم أسباب صلاحهم وسعادتهم، ولهذا كان الحكم بين الناس من أهم أعمال الأنبياء.
لقد تسور الخصمان محراب داوُد عليه السلام واقتحما عليه خلوته مع الله، ولم ير في ذلك قطعاً لعبادته؛ لأنه إنما انتقل من عبادة لازمة إلى عبادة متعدية، وهي ذات نفع أعظم وأجر أكبر .

●الجاذبية العدلية:

ارتفعت البلدان الغربية في سماء النهوض الحضاري، بفعل جاذبية العدل التي منعت بلدانهم من التصادم في المجرة الحضارية، وحالت دون سقوطها في وهاد التخلف.
غير أن المتأمل في أوضاع تلك البلدان، سيلاحظ أن فيروسات الظلم تسري بهدوء في فكرها، وأن أرضة القهر بدأت تنخر أعمدة عدلها وإنصافها،، وستسقط من علياء مجدها إلى القيعان السحيقة بعد فترة من الزمن.
ويبدو أنها ستهوي على البلدان القابعة في القاع، ما لم تنهض من سقوطها، وتغادر مستنقعات الانحطاط!

●أقمار العدل والتجديد:

نجح الديبلوماسي السوفييتي ج.أنكارين سنة ١٩٢٨ في إقامة علاقات دبلوماسية بين بلاده واليمن، وكان يسري ليلا من الحديدة إلى صنعاء، ويتوقف في النهار هروباً من أشعة الشمس اللافحة!

ولشدة تضايقه من الشمس قال: "هكذا يصير واضحاً لماذا يعتمد التقويم الإسلامي الأشهر القمرية كأساس لحساب الزمن!"

إنه لا يدرك ان التقويم القمري مظهر من مظاهر العدل الذي هو أهم مقاصد الإسلام، وأن من دقائق العدل أن يأتي الصيام والحج على الناس في مختلف فصول العام، مع ما ينبني على ذلك من اختلاف في درجات الحرارة، وتغير مواعيد الصيام والإفطار .

وبجانب تجسيد هذا التقويم للعدل في أدق صوره، فإنه يمنع الرتابة ويحول دون انزلاق الشعائر إلى مربع التقاليد الخالية من الروح.

●شرطة الخوف:

كان مسلمو السلف شديدي الحساسية إزاء حرياتهم، لدرجة أن صار لبعضهم موقفاً سلبياً من رجل الشرطة الذي هو في الأصل رجل أمن، لكن تجاوز مهمته وفساده جعلاه رجل خوف وعنوان اعتداء على الحرية الشخصية .

ولذلك ذهب الإمام علي كرم الله وجهه إلى عدم قبول الله دعوات: الشرطي، والعشار (موظف الضرائب)، والعريف (الجاسوس!(

وذهب بعض الفقهاء إلى عدم قبول صلاة الشرطي وشهادته، واشتهرت مقولة الإمام سفيان بن عيينة: "إذا وجدتم شرطياً نائماً فلا توقظوه للصلاه فإنه يقوم يؤذي الناس!"

ترى لو رأى أولئك الأعلام ما يفعله أكثر رجال الشرطة وما يقترفه رجال المخابرات في عصرنا هذا من جرائم، ماذا كانوا سيقولون؟!

● شراكة الشورى:

من اتخذ من الشورى منهجاً في معالجة أموره الهامة، صار صاحب طاقة كبيرة وقوة فاعلة؛ لأنه باستشارة أهل الدراية والخبرة يتألف قلوبهم، ويجمع قوتهم إلى قوته، وبصيرتهم إلى بصيرته.

وقد أثر عن الإمام علي قوله: "لا غنى كالعقل، ولا فقر كالجهل، ولا ميراث كالأدب، ولا ظهير كالمشاورة". وقال: "من استبد برأيه هلك، ومن شاور الرجال شاركها في عقولها."

وبذلك يصير المستشير أقرب إلى الرشاد والسداد.

وبقدر ما تجسد الشورى الحرية فإنها تحقق العدالة؛ لأنها تُشرك الجميع في تقرير مصائرهم.

● عنقاد:

عندما عُطلت الشورى في أمتنا، عجز جناحا الحرية والعدالة عن التحليق بها في سماء الحضارة الراقية.

بُوركتم..



■■عناقيد الفكر (٥٠)■■

"سراب التقليد"

●الذوبان الحضاري:

لا تزال علل التدين عند الأمم السابقة تتسلل إلى طرائق التدين عند عامة المسلمين، إذ لا يزال بعضهم يضاهؤون بعض المعتقدات الباطلة، بل ويلوون أعناق النصوص حتى تستقيم مع التبعية الحثيثة .

وزاد من أوار التبعية المعاصرة أن أهل الكتاب يعيشون في بحبوحة الحياة، ويتمتعون بقدر من التقدم الحضاري بشقيه المادي والمعنوي مقارنةً بأوضاع أغلب المسلمين!

●تبعية العلماء:

مضغة الأمة هي الأمراء والعلماء، ولقد انجرف أكثر حكام المسلمين مع تيار الباطل، وانحرف كثير من علماء المسلمين عن جادة الحق.

وكأن هؤلاء تشبهوا بعلماء أهل الكتاب، حيث صار بعضهم كالأحبار في كتمانهم للحق، ومجافاتهم للعدل، ومناصرتهم للظلم، وانصرافهم عن الخير، وانشغالهم بالدنيا، وبيعهم لآيات الله بثمن قليل!

وصار البعض الآخر كالرهبان في جهلهم بالناس، وانزوائهم عن الواقع، واشتغالهم بالخلاص الفردي، وتركوا الناس في غيهم يعمهون، حتى ظهر الإسلام شبيهاً بالنصرانية التي لا شأن لها بصناعة الحياة، ولاسيما في شؤون السياسة والحكم!

●مياه الثقافة العذبة:

إذا شبهنا الثقافة بالمياه، فإن المكوث الطويل لمياه الثقافة التأريخية جعلها تبرد وتركد، مما أصاب قوام الأمة بالعلل الجرثومية، وبالحمى التي قد تقتل في بعض الأحيان!

أما مياه الثقافة الغربية فهي رغم معاصرتها تناسب ظروف أبنائها فقط، حيث تغلي تحت نيران المادية الطاغية.

وعندما شربها بعض المسلمين صارت حميماً قطع أمعاء علائقهم، واستحالت إلى غساق أصابهم بالعديد من الأوبئة والآفات!

●ترنح الإصلاح:

يحاول بعض التقليديين والتغريبيين إصلاح الأوضاع في بلدانهم الإسلامية بصدق، لكنهم بسبب خدر المحاكاة وعمى التقليد، لا يقومون للإصلاح إلا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس، فأنى لهم أن يصلحوا أو يفلحوا؟!

●التقليد الماحق:

التقليد الأعمى قريب من التعامل بالربا، حيث يأخذ الاثنان أشياء الآخرين بدون جهد أو مقابل.

ولهذا فإن الله يمحقهما، إذ لم نجد أمة أفلحت في عالم النهوض الحضاري، ما دامت تحاكي الآخرين وتقتات على فتات الأمم!

●نطاق الحماية الثقافية:

تمتلك الأرض نطاقاً محدداً يحميها من النيازك والشهب، والثقافات مثل الكواكب في هذا المجال.

ولهذا ينبغي لثقافتنا الإسلامية أن تمتلك نطاق حماية، يقوم برد الضار من نيازك الثقافات وشهب الحضارات الأخرى، ويتولى تكييف ما تحتاجه عملية البناء الذاتي، بحيث ينغرس كالطوبة في بنيان الأمة، ولا ينغرز كالخنجر في جسمها!

● جلب النقم:

إن الذين يجلبون الحلول لبلدانهم من أعماق (التأريخ) أو من وراء (الجغرافيا) الثقافية للأمة، إنما يجلبون لها النقم، مهما كانت نياتهم طيبة!

● عنقاد:

منذ أن انطلقت (أسراب) من المسلمين نحو التقليد الأعمى، لم ترتشف أمتهم إلا (السراب)!

بُوركتم..



■■عناقيد الفكر (٥١)■■
"أجنحة العقل"

●ملَكات الخيال:

إن حواس الإنسان محدودة، لا تستطيع اجتياز الزمان أو تجاوز المكان، وعلى سبيل المثال لا يستطيع بصر الإنسان أن يرى ما يحدث خلف جدار لا يزيد سمكه عن ١سم.

ولهذا فقد منحه الله ملكة الخيال التي تمكنه من تقريب عالم الغيب، ومن اجتياز الأزمنة والأمكنة، غير أنها تظل وسيلة ظنية لا قطعية في المعرفة.

وإذا كان الخيال مُنْبتاً عن النص في عالم الغيب، وخالياً من المنطق العقلي والقرائن الواقعية، فإنه يصير صانعاً جيدا للأوهام والخرافات!

●حقيقة:

إذا لم ينطلق الخيال من (مرافئ النقل)، ولم ينضبط ب(قواعد العقل)، فسيخبط خبط عشواء، وسينزلق إلى مهاوي الشعوذه والخرافة!

●أطياف الخيال:

يستطيع الإنسان بملكة الخيال تجاوز المكاره إلى المحبوبات، واجتياز الآلام نحو الآمال، ويستطيع استدعاء السعادة وهو في قلب الشقاء، وفي هذا يقول أديب العلماء ابن حزم الأندلسي:

زار الخيال فتىً طالت صبابتُهُ

على احتفاظٍ من الحُراس والحفظة

فبتُ ليلتي جذلان مبتهجاً

ولذّةُ الطيف تُنسي لذّةَ اليقظة

●التبحُّر العلمي:
إن الوصول إلى مقام "يُفقهه في الدين"، التي جعلها النبي صلى الله عليه وسلم أهم مقدمات خيرية الإنسان، يحتاج إلى دأب ونصب، ويستدعي التعمق في القراءة، والغوص في المعاني، والتبحُر في التعلّم، كما قال ابن حزم الأندلسي:
هل اللؤلؤ المكنون والدُر كلهُ
رأيتَ بغير الغوص في البحر يُطلبُ

●السديد والأخرق:
يتسم الحكيم بسداد الرأي والفكر وإتقان العمل والحركة، حيث يُحكِم أفكاره وأفعاله، ولا يترك فيها ثغرات تتسلل منها الشياطين، ولا فجوات يلج منها الأعداء والحساد، فإن حكمته تمتلك المواد التي تسدّ سائر الثغرات والفجوات.
وعكس السديد هو الأخرق، الذي تمتلئ أقواله بالثغرات، وتحفل أفعاله بالثقوب، لتتسلل من خلالها شوائب الخلل ورياح العداوات!

●طريقُ المَجَادة:
إن طريق المَجادة والسيادة واضحة بيّنةٌ في القرآن الكريم، وكيف لا وهو يهدي للتي هي أقوم؟
وقد بدأ من أول سورة بتعبيد الطريق نحو المجادة والسيادة، بإيجاب القراءة الشاملة لآيات الله المسطورة عبر منهج التدبر، وآيات الله المنظورة عبر منهج التفكر.

وبعد ذلك أمر بامتلاك مقاليد القوة المعنوية والمادية حسب الاستطاعة فقال: "وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة..."، ونثر نواحي القوة في أجزاء القرآن الكريم كافة.

●ثمرة الحِوار:

من ثمار الحِوار والتشاور إحداث ضغط على النتوءات الموجودة في العقل حتى تستوي، إذ يمكن بالعزلة والعجب أن تنمو وتصبح سرطانات مدمرة.

وتضمن الشورى تفاعل المرء مع غيره، أخذاً وعطاء، في سياق مما يحقق التلاقح الفكري المنشود.

●عنقاد:

يساهم النظر في عواقب المفسدين في تسديد حركات الإصلاح، بحيث تصبح رؤاها سديدة ومسيرتها سليمة!

بُورِكتُم..



■■عناقيد الفكر(٥٢)■■

"أصداف الحقيقة"

●جرافات الحقائق:

الحقائق هي الجرافات التي يمكنها إزالة أحجار العثرة وعوائق السير من طريق التقدم، وعلى اقتلاع أشجار الزيغ وأشواك الزيف من تلال الألباب.

●حزب الحقيقة:

ليكن لك ما تريد من حزب أو جماعة أو طريقة، ولكن إحذر أن يتم ذلك على حساب الحق والحقيقة!

●مؤهلات البحث:

يحتاج البحث عن الحقيقة إلى توقد الإرادة واستمرار الدأب، وإلى قوة الدافع وجميل الصبر.

ومن أجل ذلك لابد من تجرد العقل وصفاء القلب، بإخلائهما من الأهواء العاصفة والمُسلَّمات السابقة!

●أوجه الحقيقة:

للحقيقة أوجه عديدة من الصعب أن يراها إنسان بمفرده، ولا حتى جمعٌ من الناس إذا نظروا إليها من ذات الاتجاه!

ولا يمكن أن تكتمل أبعاد الحقيقة، إلا إذا شوهدت من اتجاهات شتى وزوايا عديدة، ومن هنا تأتي أهمية التشاور والتثاقُف والتدارس!

●قوة الخيال:

عندما لا تكتمل أبعاد القضية عند امرئ ما، ولم يتمكن من المشاورة، فإنه يستطيع أن يقترب من الحقيقة بحسب استثمار ملكاته العقلية، حيث يمكنه استخدام الخيال والحدس في تصوّر المساحات الناقصة، وذلك على ضوء معرفته بالواقع.

●التعب الممتع:

البحث عن الحقيقة محفوفة طريقه بالمتاعب، ومحفورة بالمصاعب، لكنها تستحق العناء، فهي زاخرة بالغرائب وحافلة بالعجائب، لا يتوقف المرء في حضرتها عن الدهشة ولا تفارقه مشاعر الذهول!

وعندما يصل إلى محطة الحقيقة، تملأه مشاعر الرضى والاغتباط، ويشعر بحلاوة النجاح ولذة الإنجاز، فتنقلب المرارات والغُصص إلى مشاعر مفعمة بالسعادة والابتهاج.

●حقيقة الحقيقة:

ليست الحقيقة ما تتخيله أو تتوهمه، وليست ما تتمناه أو تحلم به، وإنما هي ما تتفق على رؤيته الأنظار المبصرة، وتتحد في سماعه الآذان الواعية.

●أقنعة القناعات:

المخاوف الزائدة والهواجس الدائمة، قد تخفي خلفها قناعات تمنع صاحبها من رؤية الحقيقة!

●أوزار الازورار:

تستحيل (الأوزار) التي جنتها الأيدي إلى أحجار عثرة، ترتمي في طريق البحث عن الحقيقة، وتدفع أصحابها إلى (الازورار) عن جادة الصواب أو المكوث في قارعة الطريق!

●**زهرة:**

للحقيقة أغلفة كأصداف اللآلىء، بغرض حمايتها من فضول الكسالى واقتحام المعتدين.

●**عنقاد:**

من يتسلحون بالحقائق الساطعة ويتوكلون على الحق المبين، فإنهم قادرون على دمغ أعدائهم وإزهاق باطلهم!

بُوركتُم..



■■عناقيد الفكر(٥٣)■■

"تناقضات الحالكين"

●تناقض صارخ:

يُطلق على أتباع الطرق الصوفية مصطلح مريدين، ومفردها مُريد.

والمريد في اللغة اسم فاعل بمعنى صاحب الإرادة، وهي العزم على اجتراح الأفعال والقدرة على تحقيق الأهداف.

غير أن المريد في واقع المتصوفة هو الذي يتخلى عن عقله وحريته، ويسلم قِياد إرادته وخُطام ذاته لشيخه، فحيثما وجَّهه تَوجَّه، ومهما قال له صدّق وأطاع.

وقد تواطأ الصوفية على القول بأن "المريد لا يكون مريداً حتى يكون بين يدي شيخه كالميت بيد المُغسِّل!"

● التعاكُس:

يبدو أن مصطلح المُريد من أسماء الأضداد، حيث يعاكس المصطلح الواقع، كما يطلَق على الأعمى: بصير، وعلى لديغ الأفعى أو العقرب: سليم، وعلى الصحراء المهلكة: مفازة!

فالمريد هنا هو المستسلم لشيخه، حيث يغمض عينيه ويبصر بعيني شيخه، يصم أُذنيه ويسمع بأُذني شيخه، يلغي عقله ويفكر بعقل شيخه.

ولا يني المريد عن أخذ كل ما قاله شيخه كمسلَّمات ثابتة، وبديهيات كاملة، وكحقائق لا يأتيها الباطل من بين يديها ولا من خلفها!!

●اختلال الثقافة:

لم نكتفِ بأننا لم نعش كما يريد إسلامنا من تقدم، بل جعلْنا ثقافتنا الإسلامية كما نعيش من تخلف، ولم نحيا كما تريد ثقافتنا بل كيفناها كما تريد أهواؤنا!

●عجائب الكُسالى:

يمارس الكُسالى قدراً هائلاً من التواكل والتواني، حيث يركبون خيول الخيالات، ويتكؤون على عصي الأماني.

ولا تزال (أصابع الأعمال) تنقُض (غزْل الآمال)، وما فتئت (حقائق البطالة) تقضي على (أحلام البطولة)!

وياللغرابة والعجب !

فكم تجدهم يغلقون نوافذ النور ويدعون الله أن يضيئهم!

تتدحرج أقدامهم نحو الأسافل ولا تتوقفّ ألسنتهم عن التضرع إلى الله بأن يرفعهم نحو الأعالي!

يجترحون أسباب التخلف ويعاقرون أماني التقدم!

يهرولون في سُبل الانحطاط ولا يكفُّون عن مضاجعة أحلام النهوض!

● عَتَهُ الكُسالى:

الحقيقة أن الكُسالى بجانب اقترافهم لجريمة التواكل، فإن عقولهم تعاني من عَتَهٍ شديد، حيث يبذرون حُبيبات الأشواك لكنهم

يُطْلقون الأشواق لمعانقة الورود واشتمام الأزهار، بل ويستعدون لجني الثمار!

●السواعد والسيوف:

من مشكلات أمتنا العويصة أن أبناءها إما سيوف بدون سواعد أو سواعد بدون سيوف!

فكم تحتاج أمتهم إلى اجتماع السواعد القوية والسيوف القاطعة لأصحاب العقول الراجحة!

●جاذبية الغفلة:

إن غفلات المسلمين وذهولهم عما يمتلكون، جعلت مطامع الأعداء تَفغُر أفواهها، وتحدّ أنيابها، وتشحذ مخالبها، فقد استأسد على أمة المسلمين أعداؤها، وأحاطوا بها إحاطة الذئابالضواري بالفريسة الجريحة، واستحالت خيراتهم إلى قصعة يتكالب عليها الأَكَلَةُ من كل ناحية.

●عِنقاد:

عنوان تناقضات المسلمين في عصرنا، هو الانتماء التقليدي إلى (دين الضياء) والرضى بالعيش في (مدائن الظلام)!

بُورِكتُم..



■■عناقيد الفكر(٥٤)■■

"غرائب الأعراب! "

●معايرة الثابت بالمتغير:

من المعلوم أن النظريات العلمية ليست حقائق يقينية، إذ تتغير من آن إلى آخر، وتختلف في أنظار العلماء.

وإن تعجب فعجبٌ فعالُ من أخضعوا الثابت وهو الوحي، للمتغير وهو نظريات العلم، كما فعل د.طه حسين بكتابه"في الشعر الجاهلي"، عندما طبق نظرية الشك للفرنسي ديكارت على قصص القرآن الكريم، وكما فعل عديدون عندما حاكموا مفاهيم القرآن وحقائقه بموجب نظرية التطور والارتقاء لتشارلز داروين، ونظرية التحليل النفسي لفرويد!

●إخضاع الأصل للفرع:

الذين اقترفوا الجريمة السابقة هم علماء التغريب، ولا تقل عنها جريرة علماء التقليد الذين ورثوا مذاهب وتيارات وطوائف من عهود خلت، وعضوا عليها بالنواجذ.

فقد وصل تعصب بعضهم إلى حدّ أنه جعل من إمامه معصوماً، حيث أصّل لآرائه وفتاواه ومواقفه، بلوْي أعناق الآيات وتأويلها بطريقة شاذة، أو بأحاديث ضعيفة وموضوعة.

ومثل هذا المسخ انسلخ من إمامة الرسول المعصوم، وانسلك تحت إمامة إنسان خطّاء، فأخضع الأصل للفرع، وقدم العقل النسبي على الوحي المطلق، مع أنه قد يكون من أشد الناس حملاً على العقل وتحاملاً على التفكير!

●شواذ الفكر:

نتيجة اعتلال الفكر وسقم الروح، وجدنا بعض المحسوبين على العلم يقدمون الجزئي على الكلي، ويُقوِّمون الأصل بالفرع، ويُخضعون اليقيني للظني، وينسفون القاعدة بالشذوذ، ويُقدمون الاستثناء على الأصل، ويستدلون على المطلق بالنسبي، ويحتجون على المقاصد بالوسائط!!

●سُخف التطوير:

هُناك صنف من أعراب التقليد وعُشاق التغريب، يلهثون وراء فكر الغرب وثقافته العلمانية، ويدْعون إلى (تغيير) كل شيء في فكر الأمة بحجة (التطوير)، غير عارفين بالمتغير ولا عابئين بالثابت!

وإذا استمر لُهاثُهم هذا، فقد يأتي يوم يستعيذون فيه من الأنبياء ويتَّرضَّوْن على الشياطين!

●تزيين الباطل:

من أعجب الناس الذين يهتمون بالمظهر ويُهدرون الجوهر، إلى حدّ قلب الوقائع وتزييف الحقائق، حيث يُزينون التفاهات بحُلل جميلة، ويُبرزون الحقائق في خِرقٍ مُهترئة، حتى يزهد بها الناس وعنها يَنفُرون!

●نطْحُ الرؤوس:

ما زال كثيرون يستهلكون طاقاتهم في مصارعة طواحين الهواء، واجترار معارك تأريخية لم يكُن للمعاصرين فيها ناقة ولا جمل!

ويبدو هؤلاء الحمقى كمن يسيرون قرب الجدران فيرون ظلهم عليها، فيقومون بنطح رؤوسهم، معتقدين أنهم ينتقمون من أعدائهم الأخفياء!

●العقول الصغيرة:

من المعلوم أن الفكر يتكون من ثنائيات كثيرة، بل إن الكون كله يقوم على قانون الزوجية: "فسبحان الذي خلق الأزواج كلها مما تُنبتُ الأرض ومن أنفُسهم ومما لا يعلمون."

غير أن عقول كثير من جهلة الأعراب صارت صغيرة، ولا تستوعب إلا أحد وجهي الحقيقة.

فإذا ٱعجب أحدهم بقدرات (العقل) مال إلى إنكار (النقل)، وإذا أبهرته مزايا (المعاصرة) قام بتجريف (الأصالة)، وإذا جذبه الاهتمام ب(الكادحين) أثار حرباً شعواء على (الأغنياء)، وإذا عرف أهمية (العلم) شنَ الغارة على (الدين)، وهكذا دواليك!!

وما زالت العقول الصغيرة لا تتسع إلا لوجه واحد من وجهي الحقيقة، وتنظر العقول السقيمة الى هذه الثنائيات كأنها متضادة، مع أنها متكاملة.

●عنقاد:

مهما زيَّنَ الأعراب الباطل بألوان (الجمال)، فلا يمكن أن يكتسب يوما مشاعر (الجلال!(

بُوركتُم..



.

■■عناقيد الفكر (٥٥)■■
"مطالب الصراط"

●الدخول من بوابة العلم:

لابد أن يدخل طالب الاستقامة من بوابة العلم؛ لأن الجهل والأمية الفكرية لا يؤديان إلا إلى الضلال المبين، على طريقة أعراب الجاهلية الذين قال المولى عزّ وجلّ عنهم: "وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين."

●الدخول من بوابة الإخلاص:

إن لم يتم الدخول من بوابة الإخلاص، فسيقطع الرياء والنفاق عليه الطريق، وحينها لن ينفع العلم؛ لأن الدين سيتحول إلى مطية للحصول على المصالح والمُتع بأقل التكاليف، مما يؤدي إلى الانسلاك في سُبُل الغضب الإلهي، والسقوط في منزلقات اللعنة الربانية، كاليهود الذين منحهم الله العرفان لكنهم ساروا في دروب الشيطان!

●التقنُّع بالدين:

عرف اليهود طريق الحق، لكنهم سلكوا طرق الباطل، ابتغاء الحصول على أعراض الدنيا التي صارت غايتهم الكبرى ورغبتهم العظمى، حتى استقرت في قلوبهم بدلا عن الله!

وصار الدين مجرد شعارات باهتة وطقوس جوفاء، بل حوّلوه إلى قناع يُخفون وراءه وجوههم القميئة، وأنيابهم البارزة، وصنعوا من تعاليمه قفّازات لإخفاء أظفار الأثرة ومخالب التوحش!

●الاقتناع بالدين المُحرَّف:

امتلأت قلوب النصارى بالإخلاص وابتغاء وجه الله، لكن عقولهم خلت من العلم وخوت من الفقه فضلوا الطريق.

وعندما انسلخوا عن طريق الحق انسلكوا في طريق الباطل، وهم يظنون أنهم يُحسنون صُنعاً.

وكان مجموعة من أبالسة اليهود قد حرَّفوا الدين النصراني، وفي مقدمتهم شاؤول، الذي صار يُدعى بولس الرسول، حيث أدخلوا عليه التثليث، ومسألة الصَّلب، والقول بعالمية النصرانية، وكثيرا من التحريفات التي جعلته ديناً خرافياً، يناقض العقل ويصادم العلوم، ويعاكس الكثير من طبائع الفطرة ومصالح الناس!

● حقيقة الصراط:

الصراط المستقيم هو ثمرة الامتزاج بين الرؤى المستنيرة والأشواق الروحية.

ويُحاط بسياجَيْ العلم والإخلاص، فمن جاوز أحدهما وقع في منزلقات الجهل أو في منحدرات النفاق.

ولهذا فإن المستقيمين لا يبغونها عوجاً، وليسوا للصراط ناكبين!

● كلاليب:

عندما يتجاوز المرء سياج العلم أو الإخلاص، فإنه يقع في الهاوية، حيث يمتلك الجهل والرياء كلاليب جاذبة نحو السقوط في مهاوي الغضب أو الضلال، وهذا يستدعي التسلح الدائم بنبراس العلم ويقظة الضمير!

● الاستقامة:

ما لم يرسم العلم خارطة السير، ويصبح الإخلاص طاقة للحركة، فلن تتحقق الاستقامة المنشودة.

وإن التوقف على الصراط يُعرض المؤمن للانتكاس، والنتيجة الحتمية هي السقوط على الطريق!

●النعمة العُظمى:

من أعطاهم الله العلم ومنحهم الإخلاص، فقد بلغ بهم مُنتهى الإنعام، وأي إنعام أفضل من الهداية إلى الصراط المستقيم، ومن الجمع بين حسنتي المعاش والمعاد؟!

●عوَجُ الاستقامة:

الاستقامة هي سلامة من العوج، سواء كان العوج ظاهرياً نتيجة قلة العلم، أو باطنياً نتيجة ضعف الإخلاص.

●عنقاد:

إن تزاوج الفكر العقلاني والتقوى القلبية يُثمر الاستقامة الخلَّاقة.

بُوركتُم..



■■عناقيد الفكر (٥٦)■■

"أنهار الحقوق"

●الفرد المجتمعي:

إن أهم صفات المجتمع الناهض، اشتعال الحس الجمعي في أفراده، واشتغال كثيرين بخدمة غيرهم لا بأنفسهم فقط، ودورانهم في أفلاك مجتمعاتهم لا في أفلاك ذواتهم!

إن لسان حال الفرد الاجتماعي ما قاله أحد الشعراء القُدامى:

ولو أني أسعى لنفسي وجدتني

كثير التواني في الذي أنا طالبُه

ولكنني أسعى لأنفعَ صاحبي

وشِبعُ الفتى عارٌ إذا جاعَ صاحبُه!

●الطمأنينة القلقة:

المؤمن الحق راضٍ بما قسم الله له، بعد أن يستكمل العمل بالأسباب، ولهذا فإنه لا يقرع سِنَّ الندم إلا لما فرّط في جنْب الله، ولا يعضُّ أصابعه من الغيظ إلا إذا انتُهكت محارم الله دون أن يفعل شيئاً.

ومن أسوإ التفريط في جنب الله، أن يطلب المرء رضى الله بعيدا عن الضعفاء والمُنكسرين والمُصابين!

●الإصلاح الاستثماري:

يصير الأفراد اليائسون وأبناء الأُسَر المُحطمة أحجار عثرة أمام أشواق أي مجتمع في التقدم إلى الأمام .

ولذا فإن أي جهد أو مال ينفقه المجتمع في استعادة اليائسين واستنقاذ الأُسَر الفقيرة من التحطم، إنما هو استثمار يوفر لهذا المجتمع الكثير من الطاقات والأوقات التي يمكن أن تضيع سُدى .

●خدمة الخلق:

من شغَل جوارحه وحواسه في خدمة الخلق، حظي بمعية الله وعنايته، فحطَّ عنه الأوزار وضاعف له الأجور، وذلك على قدر الأنفاس التي تنفسّها وهو مهمومٌ بالمنكسرين أو مشغول بتنفيس كروب المصابين.

●وَدْقُ الخدمة:

إن خدمة الخلْق مجلبةٌ لرضى الحق، لأن الخدمة تُحيي موات الناس كما يُحيي الأرضَ الودقُ الذي ينزل من مُزْن السماء، حيث تجلب لهم المنافع وتدفع عنهم المضرات.

ولا فرق في ذلك بين ما هو مادي وما هو معنوي، ولا بين ما يتصل بشؤون المعاش وما يرتبط بأمور المعاد.

●تزيين الأقارب:

اهتموا بتزيين أقاربكم، فإنهم أولى بمعروف التزيين المادي والمعنوي.

فالسماوات سبع لكن الله لم يزينها كما زيَّن السماء الدنيا القريبة من الناس!

ورغم كثرة الطرق التي توصل الخلْق إلى خالقهم، فإن كل الطرق مُعَبَّدة بحقوق الإنسان، ولا تخلو منها طريق.

وأقصرها مسافةً وأسرعها وصولاً الطريق التي تستكثر من خدمة الخلق، بشتى الوسائل والأساليب، وتحت مختلف العناوين والظروف.

أما أطول هذه الطرق فهي التي يمتنع المرء فيها عن الاعتداء على حقوق غيره دون أن يقدم لهم شيئاً، بمعنى أنه لا يجلب لهم المسرات لكنه لا يصنع لهم المضَرّات.

●**عنقاد:**

تجِفُّ سائر أنهار الأجور عند موت الإنسان، إلا نهر حقوق الإنسان فإنه يستمر بالجريان، ما دامت المنافع مستمرة بالتدفق.

بُورِكتْ جُمعتكُم

■■عناقيد الفكر (٥٧)■■

"أمطار المعرفة"

●مظلات الوعي:

إن أخطر ما يحاربنا به أعداؤنا القصف الإعلامي المستمر، حيث ينشر الضعف ويُشيع الخَوَر، ويَصنع الهزيمة النفسية، عبر مئات الوسائل والأساليب المصنوعة من قبل علماء النفس، وخبراء الاجتماع، ومن قبل أساطين الدعاية وفنون الإعلام بتخصصاته الدقيقة.

ويستدعي هذا القصف الكثيف من مفكري الأمة وعلمائها الأفذاذ، تكثيف جهودهم لصناعة مظلات الوعي، حتى تمنع ثلوج الشكوك وشظايا الشبهات ورصاص الاغتيال النفسي، من التساقط على الرؤوس العارية لأغلب الشباب!

●شمس العلم:

تستطيع أشعة شمس (المعرفة الممنهجة) تجفيف مستنقعات الجهل والأمية الفكرية، وتبخير حماس الانفعالات العمياء والاندفعات الجامحة نحو الجنوح والحماقة.

ومن ثم فإنها وسيلة رئيسة في تفتيح ملكات العقل، وتنضيج رؤاه الفكرية والعملية، بحيث يفهم الواقع كما هو، ويُجيد التعامل البنّاء معه، بما يُصلح فساده ويعالج عَوارَه، وبما يَسدُّ ثغراته ويحرس ثغوره.

●النّهْل من النهر:

إن لم يقم الإنسان بـ(النّهْل) فماذا استفاد من(النهر)؟

لقد أعطاك الله نهر العلوم والمعارف، لكنك أنت من سينهل منها، بارتشاف منافعها، والتلذذ بعذْبها، والارتواء من فراتها، وما لم تفعل ذلك فستموت من ظمأ الجهل، ويُهلكك عطش الضلالة.

●أمطار المعرفة:



ماذا تُجدي حقول العقول الخصيبة، إن كانت أمطار المعرفة لا تنسكب عليها، وإن لم تَسقها أنهارُ الثقافة الدفاقة، ولم تَرْوِها سواقي القراءة الرقراقة!؟
لا شك أنها ستُجدب، وربما نبتت فيها بعض الأفكار الشوكية التي لا تُسْمن ولا تغني من حاجة!

●إسمنت المقاصد:

المقاصد الكلية للإسلام هي الإسمنت الذي يربط سائر علوم الشريعة، ويجعلها منسجمة مع بعضها، حيث يُخلصها من التناقض والتضاد، ويُنقيها من شوائب الشذوذ، ويضمن لها السير في اتجاه غاية كلية واحدة، هي جلب المنافع للناس ودفع المضار عنهم.

●تقييد المعرفة:

المعرفة ليست أنهاراً دائمة الفيض، ولذلك يجب تقييدها بالحفظ في مخازن منظمة، ولاسيما في هذا العصر الذي تطورت فيه وسائل البرمجة المعرفية، وذلك حتى لا تغور في كُثبان النسيان، ولا تتبدد في رمال المشاغل وزحمة الحياة!

●عنقاد:

بدون أمطار المعرفة تصبح العقول صعيداً زلقاً، مهما كانت خصوبتها التكوينية!
بُوركتُم..



■■عناقيد الفكر(٥٨)■■

"نقائصُ الذات"

●توحُّش البشر:

ينحدر الإنسان من التراب الذي خُلقت منه سائر الحيوانات، ولهذا فإنه يمتلك استعدادات التسفُّل والتوحُّش، بل قد يتفوَّق على الدواب في بهيميتها وعلى الضواري في وحشيتها، حيث يُسخر مواهبه الروحية للختْل والغدر، ويُسلِّط مَلكاته العقلية على خصومه بالفتْك والمكْر.

ومن ثم فإنه يتفوّق على الحيوان في عقْره وضراوته.

وربما كان هذا ما قصده الشاعر بقوله:

عوى الذئبُ فاستأنستُ للذئب إذ عوى

وصَوَّتَ إنسانٌ فكِدْتُ أطيرُ!

●شيوخ العصر:

عندما تكُفُّ خلايا المخ عن التفتُّح، وعندما تتوقف ملكات النقد عن التفتُّق، يصير المرء صوفياً تقليدياً ولو كان من أكبر القُرّاء، لأنه سيصير كالميت بين يدي شيخه، ليصُبَّ في أواني عقله ما يشاء!

وشيخه هنا قد يكون الكتاب أو المجلة أو الصحيفة أو أي وسيلة من وسائل التواصل الاجتماعي، كالشيخ فايسبوك، والشيخ واتس، والشيخ تيليجرام، والشيخ تويتر!

●خوف البهائم:

عندما يتعرّى الإنسان من ثياب التقوى ويتخلص من رداء الحياء، ولا يُلقي بالًا لأستار المجتمع وقوانين الناس، فإنه سيهيم في أودية الشهوات لا يلوي على شيء، وسيصير كائناً بهيمياً تخاف منه البهائم وتخشى منه الدواب

●نار الشهوات:

عندما لا يمتلك المرء (الوازع الإيماني) فإن دواخله تستجيب لمطالب النفس الأمّارة بالسوء، وتُزيِّن له السقوط في أوحال الحرام.

وحينما لا يوجد أمامه (الرادع القانوني) ولا (الضابط الاجتماعي)، فإنه سيهيم على وجهه ليلبي غرائز النفس ويغذي مكامن الشهوات، التي تزداد جوعاً كلما تذوقت الحرام، حتى تصير شديدة الاستعار كالنار تماماً.

●أسئلة العقل:

كيف يكون عاقلاً من لم يعقله عقلُه عن التهوُّر والجموح، ويمنعه عن الاستجابة لدواعي الهوى والسير خلف نداء الغرائز؟

وكيف يكون من أولي النُّهى من لم ينتهِ عن الفواحش وينزجر عن الخبائث!؟

●جوائحُ الحوائج:

إن قضاء (حوائج) الإنسان من النعم والآلاء الربانية الجزيلة، لكن المعاصي تصير (جوائح) تُفسد هذه النعم، مانعةً أصحابها من تلبية حوائج بني الإنسان.

●عنقاد:

يقولون: المرأة ناقصة عقل، فماذا نقول عن الرجل الذي يتزوج امرأة من قارعة الطريق ؟!

بُوركتُم..

■■عناقيد الفكر(٥٩)■■

"التفاعل الأعور"

● مُفتتح:

نتيجة عدم هضم بعض مثقفي المسلمين للإسلام، أُصيب تفاعلُهم مع الآخر بالعوار الفكري، فارتكبوا أخطاء وخطايا عديدة.

ومن ذلك خلطهم الشديد بين (التفاعل الحضاري) المفروض و(الغزو الثقافي) المرفوض.

●الخلل المُريع:

يوجد في مجتمعاتنا الإسلامية تياران متضادان في المنطلقات والمقاصد، وهما التيار التقليدي والتيار التغريبي، لكنهما متفقان بدون وعٍ أو قصد في التقليد السقيم وفي تتبيع مجتمعاتنا المعاصرة .

لقد تشابها في الرؤية العوراء، فالتقليديون ينظرون إلى عصرنا بعيون السلف، والتغريبيون ينظرون إلى الوحي بعيون الغرب، ولذلك صارت هذه الأبصار زلّاقة، تَبخس ولا تُنصف وتمحق ولا تنفع!

●تآكل الأصالة والمعاصرة:

تحت عنوان (الأصالة) تتولى مجاميع من التقليديين اجتلاب التراث من وراء الزمان، وتحت راية (المعاصرة) تقوم أفواج من التغريبيين باستيراد الثقافة الغربية من خلف أسوار الثقافة الأصلية.

ولقيام العمليتين على التقليد الأعمى، فإن أصالة التقليديين المدعاة تلتهم المعاصرة، وتقوم معاصرة التغريبيين المزعومة باصطياد الأصالة.

وفي المُحصِّلة تخسر المجتمعات الإسلامية الأصالة دون أن تحقق المعاصرة، وتستمر في المعاناة من الغربة الزمانية والاغتراب المكاني!!

●انشطار المسلم:

صار المسلم المعاصر غثاءً أحوى، بعد تحطمه على جملة من الصّخَرات التي صَنَعَها جهلُه، وبعد انشطاره بين ثنائيات تتبدى له متناقضة.

فمن الناحية المرجعية انشطر بين النقل والعقل أو الوحي والاجتهاد، وكذا بين الثبات والتغيُّر.

ومن الناحية الزمانية انشطر بين تأريخية السّلَف وعصرانية الخلَف، أو بين السلفية والحداثة، بين الأصالة والمعاصرة.

ومن الناحية الجغرافية انشطر بين العيش المادي في جغرافيته الوطنية، وبين التماهي المعنوي مع الجغرافيا الثقافية للغرب!

●الاختناق الثقافي:

تختنق مجتمعاتنا الإسلامية ثقافياً أثناء انقسامها بين الأفكار الميتة والمُميتة، حيث يحتضن التقليديُّ الأفكارَ الميتة التي حصَّلها في (اغترابه التأريخي)، ويتأبّط الحداثيُّ الأفكارَ الغربيةَ المُميتة التي اعتنقها في (اغترابه الثقافي)

!

●الاقتباس المُنتِج:

في عملية الاقتباس الحضاري لابد من الالتفات إلى المقدمات قبل النتائج، من أجل معرفة الخلفيات الثقافية، وعقْد المقارنات والقيام بعمليات التكييف، هذا على المدى القصير.

أما على المدى الطويل فإن هذه الطريقة تجعل المستعير منتجاً للحضارة، ولا يبقى مستهلكاً لها، مع إضفاء روحه على إنتاجه، وانبعاث شخصيته من بين أطباق ثقافته، وبذلك يضمن بقاء التوهج الذاتي وتطور العروج الحضاري.

● اقتباس أم تبعية:

عندما تتجه عملية الاستفادة من الحضارات الأخرى إلى النتائج لا إلى المقدمات، وإلى الأعراض لا الأسباب، فإنها آيلة إلى الفشل الذريع، وستتحول من اقتباس نافع إلى تتبيع مريع!

● عنقاد:

لكي يكون التفاعل مع الآخر خلاّقاً، لابد من النظر بعينيّ الأصالة والمعاصرة، وارتداء نظّارة الفقه بعدستيّ الواجب والواقع.

بُوركتُم..



■■عناقيد الفكر(٦٠)■■

"نزيف المسلمين"

● نزيف الأدمغة:

تعاني مجتمعاتنا المتخلّفة من نزيف هائل في طاقات النهوض الحضاري.

ومن أعراض هذا النزيف هجرة العقول المتميزة والقدرات الماهرة إلى المجتمعات الغربية، حيث لا تفتقدها كفَّتُنا الحضارية فحسب نتيجة تركها لكثير من الثغور التي تحتاجها، بل تذهب إلى المجتمعات الغربية المتفوّقة علينا، فيضاف ثقلها العلمي والابداعي والعملي إلى كفّة الغرب، لتزداد ثقلاً ولتتسع الهُوّة أكثر بين بلداننا وتلك البلدان!

●نزيف الطاقات:

رغم حجم أمتنا الكبير أعداداً وإمكانات، فإن فاعليتها ما تزال ضعيفة، وما يزال الفرق كبيرا بين ضخامة المدخلات وضآلة المخرجات. ومن أهم أسباب هذه الظاهرة نزيف طاقة التخصصات.

فهناك ملايين من طلاب الثانوية الذين يدخلون سنوياً إلى الجامعات، أغلبهم لا يدخلون التخصصات التي تناسب مواهبهم وميولهم.

وبعد تخرجهم ينطلقون لممارسة أعمال لا يحبونها ولا يتقنونها، ومن ثم لن تجد بينهم من يبدع في عمله، بل ستجدهم يعملون ببعض فاعليتهم.

ويمكن القول بأن هؤلاء يعملوت بأقل من ٥٠% من فاعليتهم!

وفي المقابل هناك أعداد غير هَيِّنة تعمل في مجالات لم تدرسها وربما لم تعرف أبجدياتها، فمن أين ستأتي الفاعلية إذاً والحالة هذه، حتى ولو تَوفَّر عامل الإخلاص؟

●نزيف الشجاعة:

تَبرز خُلّة الشجاعة في أوساط المسلمين أكثر من غيرهم، لأن الإسلام جعل الإيمان بالقدر من أركان عقيدته الوثيقة، وجعل الشجاعة خُلقاً من أخلاقه العظيمة، وقول كلمة الحق مبدأ من مبادئه السامية، وجعل الموت في سبيل ما يؤمن به المرء شهادة في سبيل الله، تضمن لصاحبها الأمان من العذاب الأخروي، والحصول على أعلى مقامات الثواب.
وبسبب سوء فهم الكثير من شجعان المسلمين للإسلام، ثم بسبب مؤامرات أنظمة العمالة وأحزاب النفاق، وبسبب خطط مخابرات الأعداء ومؤامراتهم، فإن هؤلاء القادرين على بذل أنفسهم بسهولة يذهبون نحو محارق الموت التي تؤدي إلى خسارة الأمة للكثير من الأموال والأوقات والطاقات!

●نزيف التديُّن:

لا شك أن الذين يبيعون أنفسهم ابتغاءَ نيل الشهادة من الله هم من المتدينين الصادقين. وهناك أعداد وفيرة من ذوي الأفهام القاصرة، ممن تسبّبوا في نزيف طاقة التدين، حيث خاضوا معارك ثانوية، حاضرين في الزمان والمكان غير المناسبين، وساهموا في إذكاء طاقات الصراع الطائفي والمذهبي والحزبي التي زادت من وهْن الأمة، ووسّعت الفجوات التي يتسلل منها الأعداء!

●نزيف الوطنية:

تتربع على كراسي الحكم في بلدان المسلمين غالباً أنظمة مستبدة، لكنها بما تملك من أجهزة الدعاية والإعلام، ومن وسائل الإغواء والإغراء، وبما تُجنِّد من ألوية النفاق والمُخاتلة، نجحت في خديعة ملايين المواطنين، بتسويق الحكام كرموز للوطن!

ووصل الأمر إلى حد اتحاد الحاكم مع الوطن في أذهان المغفلين، ولهذا فإنهم يُهدرون طاقاتهم في سياق الدفاع عن الطغاة أمام معارضيهم، ظانين أنهم يخدمون الأوطان بذلك الإجرام!

●نزيف شامل:

ما تزال أكثر طاقات المسلمين تنزف في ساحات الصراع بين سائر المكونات الطائفية والمذهبية والعرقية والوطنية والجهوية والحزبية والقبلية.

أما الدماء التي تُسفك، والأموال التي تُنهب، والطاقات التي تُسلب من قِبل أعداء الأمة، فهي من الكثرة بمكان، بحيث أظهرت الأمة كأنها قصعة يتكالب الأَكَلةُ عليها!

●عنقاد:

لن تتوقف طاقات الأمة عن النزيف، حتى تعود إلى المنهج المحمدي، الذي ينقل سائر الطاقات والمكونات من التآكل إلى التكامل، ومن التنافر إلى التضافر.

بُوركتُم..



■■عناقيد الفكر(٦١)■■

"ذخائر الحياة"

●واعظ الدهر:

يختلف الواعظون في أساليب وعظهم، وفي طرائق الولوج إلى قلوب الناس، ويتفاوتون في مدى تأثيرهم على الأفئدة.

غير أن أبلغ الوعاظ هو الدهر، بما يضمّ من حوادث عجيبة، وتقلبات غريبة، ولكن لا ينتفع بمواعظه إلا من كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد، رغم أنها أبلغ من مواعظ الناس القولية.

ويشير الشاعر الجاهلي عبيد بن الأبرص إلى هذا المعنى بقوله:

لا يعظُ الناسُ من لا يعظُ الدهْ

رُ ولا ينفع التّلْبيبُ

أي لا يستفيد من مواعظ الناس من لم يستفد من مواعظ الدهر، وكذا من لم يكُن له لُبٌ يعقل وطباعُ خير ترتاع من الله.

●أسرار بلاغة الدهر:

تكمن قوة مواعظ الدهر في أمور عديدة، أهمها:

-أنها مواعظ عملية لا قولية، حيث يصيغها الدهر بلسان حاله، وينقشها في صخرات أيامه.

-أنها متجددة، حيث لا يكُفّ الزمن عن مَخْر عُباب الحياة، وفي الطريق يسقط كثيرون ويرتفع آخرون.

–أنها زاخرة بالتناقضات، حيث يعتزّ أذلاء ويذلّ أعزاء، يغتني فقراء ويفتقر أغنياء، يصحّ سقيمون ويموت أصحاء، وهكذا.

–أنها ذاتية وخارجية في آن واحد، حيث يعتبر المرء من قصصه ومن قصص الآخرين، أما المواعظ الأخرى فهي خارجية فقط.

●عصا الترحال:

للمعرفة مصادر كثيرة، من أهمها القراءة والفكر والتعلم والترحال.

ولقد ظل الترحال جامعة مليئة بالمنافع، حتى جعلها الإمام الشافعي ذات أقسام سبعة.

أما في عصرنا فقد انعكس الانفجار المعرفي على كل شيء، بما فيها هذه الجامعة، حيث أصبحت ذات كليات أكبر.

وللترحال ثمار نفسية وتربوية وتعليمية ومهارية واجتماعية واقتصادية شاملة، ولهذا فإن عصا الترحال إذا استُثمِرت بشكل مثالي يمكن أن تقترب من عصا سيدنا موسى عليه السلام!

ومثل كل النعم فإن التخلف المخيم على العقول قد نخر عصا الترحال، وأحالها من أعجوبة ذات ثمار وخلائب إلى نقمة نضرب بها ذواتنا، كأنها تعاقبنا على ما فرّطنا في جنْب الله، وعلى عدم استثمارنا لآلائه.

وتحوَّلت من أدوات للعروجِ إلى أدوات للفجور، ومن وسائل لتفتيح خلايا الخمول وأعين السُّبات إلى وسائل لتعميق الغفلة وتثبيت رواسي الإخلاد إلى الأرض!

●أشواق التجارب:

مهما كان الوصف دقيقاً، فإنه لا يمكن أن يبلغ مبلغ الرؤية، فالرائي يدرك ما لا يدركه السامع!



ومهما كانت رؤية الإنسان ثاقبة ونظره حديداً، فلا يُمكنه الإحساس بمشاعر من خاض التجربة وعاش في قلب الحدث، وتفاعل معه بجوارحه وجوانحه.

وكما قال الشاعر:

لا يَعرف الشوقَ إلا من يُكابده

ولا الصّبابة إلا من يعانيها.

●الاعتبار الأحمق:

من يخُضْ غمار الحياة بدون أدنى خبرة، فقد يرتكب حماقات تجعله يَجفل من الإقدام ويتوقف عن التقدم، وربما صار اعتباره خاطئاً.

ويصير اعتباره على طريقة الشخص الذي احترق بالشربة الحارّة، فصار يَنفخ في الزبادي!!

●محاريث المحن:

المحن هي المحاريث التي تتولى حراثة تلال القلوب، حتى تصبح خصبة لاستزراع القيم الرفيعة والمشاعر النبيلة، قيم التواضع والتسامح، قيم الرحمة والشفقة، قيم الحب والعطاء.

●عنقاد:

بين أطباق الحياة تتخفى الكثير من ذخائر الخبرات وجواهر التجارب.

بُوركتُم..



■■عناقيد الفكر(٦٢)■■

"حُثالات الجاسوسية"

●حقارة الجاسوس:

يجمع الجاسوس بين حقارة الغاية وقذارة الوسائل، حيث يمزق الروابط الدينية والقومية، ويتجاوز الأواصر الاجتماعية والوطنية، في سبيل نصرة العدوّ على الوليّ، والبعيد على القريب.

ويستخدم في سبيل تحقيق هذه الغاية المُنحطة كل رذيل من الوسائل، ويسلك كل مستنقع من السبل، ويتلوَّن ويتلوّى عشرات المرات ليخفي وجهه القبيح وطباعه اللئيمة، وليكتم مآربه الخبيثة وأغراضه اللئيمة.

●الخنزير البشري:

الجاسوس هو الخنزير البشري، إذ يَفقد الغَيْرة الوطنية والحمية الدينية، ويتفوّق على الخنزير في فقدانه لكل قِيَم القطيع!

فهو يسرق سرابيل بلاده وأسرار وطنه، تاركاً إياه عارياً في تباب الفضيحة وسفوح الهوان.

وهو بوّابة الشيطان، إذ يتسلل الأعداء من خِلاله، في محاولاتهم لاغتصاب الأوطان وسرقة البلدان!

●شجرة الجاسوسية:

الجاسوسية شجرةٌ زقُّوميةٌ قبيحة، أشواكها أخبث من خرْط القتاد، إذ تُدمي الأيدي والأبدان وتجرح القلوب والضمائر!

وإن ثمارها أمرُّ من الحنظل، وأفتكُ من السُّم الزعاف، وأمضى من السّيف القاطع، إذْ تسْترقُ الكرامة وتسْتَرِقُّ الحرية، تزْدَرِدُ القوّة وتشُلّ الحركة، تسلُب الحياءَ وتُفخِّخُ الحياة!

●سُفراءُ إبليس:

في كتابه "دعوة الأحرار" شنَّ الشهيد عبد الله الحكيمي غارةً على الجواسيس الذين زرعتهم الإمامة في خاصرات الأحرار.

وقد وصف الجواسيس بأنهم "سُفراء إبليس" وعدَّهم شراً مُستطيراً ينبغي القضاء عليه قضاءً مُبرماً، مشيراً إلى اتفاق حكم الشريعة الإسلامية والقوانين الوضعية فيهم، وهو الإعدام إذا اقتضت المصلحة ذلك.

ومن تدابير القدر أن هذا المُصلح اليمني الكبير مات عام **١٩٥٤** على يد جاسوس اقترب منه ودسّ لهُ السُمَّ في طعامه، ولم ينجح الأطباء في إنقاذه.

ولم يكُنْ قد مضى سوى بضعة أشهر على رئاسته للاتحاد اليمني الذي كان يضم أحرار اليمن المعارضين للظلم الإمامي الكهنوتي آنذاك.

●سفالةُ الجواسيس:

لا ينزلق إلى الدّرك الأسفل من الانحطاط، ليمارس الجاسوسية ضد وطنه وأهله، إلا من تخلّى عن كل ذرّة إيمان بدينه، وعن كل قطمير ولاء لوطنه، بل وعن كل جزيئ من مروءته وإنسانيته، لأن الجاسوسية تقتل شعوباً ومجتمعات بأكملها، إذ لا تتورع عن التسلّح بكل رذيل، بعد أن تذبح كل فضيل على صليب الطمع والفزع!

ولهذا لا يعمل في الجاسوسية إلا حُثالات الناس وأراذل الخلق، ولا ينحطُّ إليها إلا أكثر البشر تسفُّلاً.

●عنقاد:

يستخدم الجاسوس أقوى أساليب السِّرية والتكتُّم، في سياق استراقه لأسرار الأهل والوطن!

بُوركتُم..

■■عناقيد الفكر(٦٣)■■

"رياضُ السّعادة"

●سعادة المتقين:

إذا خاف المرء مقام ربه وتحققت في سلوكياته ثمار التقوى، فإن فطامه للنفس عن رغائب الهوى، لن يصبح شاقاً ومؤلماً، بل سيصير سهلاً وربما استعذب الامتناع كما يستعذب الرَّتْع.

بمعنى أن المرء حينما يصير مؤمناً يستعذب الطاعة كلما ازداد منها، وتتحول الصلاة – مثلاً– من فريضةٍ "كبيرةٍ" يستطيلها، إلى محطةِ سعادةٍ يستطيبها!

●أسباب السعادة:

تُحقق الصرامة في اتباع الأسباب للإنسان نجاحات كبيرة في حياته، لكنها إن لم تقترن بالإيمان بالقدر ستصير سبباً للشعور بالشقاء، ذلك أن الرضى بالمقدور يمنح الإنسان لذة الحياة، ويَقيهِ من مشاعر الأسى على ما فات وهواجس الخوف مما هو آت.

ويروى في هذا السياق أن الخليفة الأموي عبد الرحمن بن محمد (ت/٣٥٠هـ) حكم الأندلس ٥٠ سنة، لكنه أحصى أيام سعادته فوجدها ١٥ يوماً فقط أي نصف شهر، من ضمن ستمائة شهر تربّع فيها على عرش الأندلس وهي من أجمل بلاد الدنيا!

ويبدو أنه كان من النوع الذي يوطّد علاقته بالأسباب، إذ حكّم لمدة ٥٠ سنة متواصلة، لكنه لم يحسّ بالسعادة، مما يشير إلى ضعف إيمانه بالقدر، فعاش بين الحزن على ما لم يتحقق، والخوف من المستقبل على ما تحقق.

●رياض الطيبات:

من أقلعَ عن الرَّتْع في حظائر الحرام، متّعه الله بولوج رياض الطيبات وأدْخله حدائق الحلال والجمال، حيث يجد في مقامه لذة الأكل، وعذوبة الشرب، وحلاوة الرزق،

ويحصل في سفره على متعة السفر، ودهشة الاكتشاف، ونشوة الإنجاز، ويُحسّ دوماً بسعادة الأسرة وجمال الرّفقة، وبدفئ القرابة وأمان الزمالة.

●الشكر العميم:

من أراد أن يَمنحَهُ الله نعمة العسل فليحمده على نعمة السَّمْن.

بمعنى أن استجلاب المزيد من النعم يحتاج إلى:

-عين تكتشف النعم السابغة وتقدرها قدرها المستحق،

-قلب يشكر الله عليها حق الشكر، - جوارح تقوم بموجبات الشكر العميم.

●الصوفي الحق:

الصوفي من صَفَتْ سرائرُه من الأدران، وامتلأ جوانحه بحُبّ الأبرار، وخلَت دواخله من التعلق بالأسباب، والتَفَتَ فؤادُه بالكلّية إلى ملك الأسباب ومالك الأقدار، فعاش في بحبوحة الرضى وسعادة الهناء.

●جزاء:

من (أوى) إلى حصن التقوى، أورثه الله جنات (المأوى).

وتبدأ بشرى سعادته الأخروية في الدنيا، حيث يرفل في أفياء الهناء، إذ يتدفّق شلّال الروح على شتائل قلبه، فيعيش في سعادة غامرة، حتى يصير القرآن ربيع قلبه وصيف لُبِّه، وتصير الصلاة مصدر سعادته وإكسير حياته، ويصبح العطاء صانع راحته وجالب فرحته.

●عنقاد:

إذا تلبَّدت الأرواح تبلَّدت القلوب، وعندها يفقد المرء انشراح الصدر وراحة البال.

بُوركتْ جُمعتكُم..

■■عناقيد الفكر(٦٤)■■

"آلاء النُقصان"

●الفكر الضار:

إن الأفكار التي لا تستطيع فتح أكمام الشخصيات، ولا صناعة أكنان تقي الناس من مساوئ أنفسهم ومن شرور غيرهم، لهيَ أفكار عقيمة ستستحيل إلى أَكِنّة تحجب العقول عن رؤية الحقيقة، وتغطي القلوب عن إدراك الحق!

●قدرة الفكر الخُرافي:

يمتلك الفكر الخرافي قدرةً هائلةً على بناء (بيوت العنكبوت)، لامتلائه بالتناقضات، وخُلوِّه من الانسياب والتماسك، ولاحتوائه على ثغرات وفراغات يتسلل منها زمهرير ثقافات الأعداء، فضلاً عن سهام مؤامراتهم ورياح عداواتهم!

ولأنه بكل هذه العيوب، فإنه يصير غاية في الوهْن، ولا يصمد أمام الحقائق، وسرعان ما تأخذه سيول الأحداث جُفاء!

●تِباب التتبيب:

إن تباباً من الإمكانات التي تمتلكها الأمة المسلمة لم تصنع حتى الآن المكانة المستحقة لها، بل لم تزدها غير تتبيب!

وذلك لتسرّبها من ثقوب الضعف واحتراقها بثقاب الفتنة، ولعدم تمكن أصحابها من أمرهم واتكالهم على غيرهم، ولانشغالهم بالترف وغرقهم في السّرَف.

لم تصنع هذه الإمكانات الضخمة رؤى النهوض، بل جلبت المؤامرات من كل حدبٍ وصوب، ولم تُذكِ حركة الإنتاج وإنما أشعلت أُوار الاستهلاك!

●انخفاض النّفاسة:

ليس كلُّ ما هو مرتفِع خيّراً أو أصيلاً، فَزَبَدُ السيلُ يعلوهُ رابياً، بينما تهوي العناصر والمعادن النافعة إلى أسفل السيل وتمكُثُ في أعماق الأرض لنفع الناس.

وكذلك حالُ البحر، فإن زبَدَ البحرِ يطفو إلى الأعلى، بينما تنخفضُ الزُبدةُ إلى الأدنى، ولا تتكون المعادن النافعة واللآلئ النفيسة إلا في الأعماق.

●خطورة الصاحب:

تؤكد العلوم والآداب والخبرات البشرية أن الصاحب ساحب لطبائع الإنسان، وأن الصديق يساهم في تشكيل وعي صديقه والتأثير على خارطة اللاوعي في عقله أو ما يسمى بالعقل الباطن.

وهذا ما أكد عليه الإسلام، وحذَّر من اتخاذ الفاسدين أصدقاء والسيئين رفقاء، وحرَّم جعْل الطالحين أخلاء واتخاذ الظالمين عضُدا.

وفي المقابل فإن الأخوة الطاهرة والصحبة الطيبة، عون كبير للمرء على نفسه، وطاقة مساعدة له على التنقّي من الآفات والترقّي في الآفاق.

●تجمُّر الشُّرور:

قد تؤدي الصغائر التي لا يأبهُ المرء بها في تعامله مع غيره، إلى انبعاث الضغائن من مرقدها، وقد تتكوّم حتى تصير أحقاداً تحرق الأخضر واليابس.

ولهذا ينبغي معرفة نفسيات الناس وحسن التعامل معها، والحذر من (شرر الأخطاء) التي قد تكبُر وتصير (جمورَ خطايا)، وتساهم في تمزيق المجتمعات.

●الفكر السمين:

إن التفكير الارتجالي أو المتعجل لا يثمر إلا أفكاراً عجافاً، ولكي تولد الأفكار سمينةً فهي بحاجة إلى تأنٍّ وتروٍ، وإلى غرْبلة وفلْترة، مع إتقان للمزج الخلّاق بين فقه الواجب وفقه الواقع.

●عنقاد:

تصير (النّعم الناقصة) بسبب الفكر المعتلّ (نِقَماً كاملة)!

بُوركتُم..

■■عناقيد الفكر(٦٥)■■

"أوجاعُ السُّقوط"

●عجول النفوس:

لم يعبد المسلمون مثْل عجل بني إسرائيل، ليس لأنهم تجنبوا الشرك الذي وقع فيه اليهود، ولكن لأن كثيرين منهم عبدوا ذواتهم، حيث كان لكل واحد عِجْله الخاص وهو نفسه الأمَّارة بالسوء والتي يهيم معها في أودية الضلال والظلام!

●الحضور الغائب:

عندما أسمع ضجيج العرب أعتقد أنهم نصْفُ العالم وشطْر البشر، وعندما أفتح عينيّ على الحقائق والأرقام أكتشف أن حضورنا غياب وقوتنا سراب، وأُصدم بأن دُوَلنا أوهام وأنظمتنا أوهى من بيوت العنكبوت.

إن الأمم تُقاس بفاعلياتها وتأثيرها، وتُمتحن قوتها بمدى حضورها ونفوذها، لا بكثرة الأعداد البشرية وغنى الثروات الطبيعية.

وكم أحزن عندما أُطبّق هذا المقياس علينا نحن العرب، فأتذكر ما قاله المتنبي:

إني لأفتح عيني حين أفتحها

على أناسٍ ولكن لا أرى أحداً.

●استلاب السلبيين:

حينما صار أغلب المسلمين سلبيين في عصرنا، سُلبت أوطانهم ثلاث مرات:

في الأولى: سَلَبَها التقليديون الجامدون، الذين أصابوا بلدانهم بالجمود، وأغرقوها بالفساد تحت عناوين المحافظة والأصالة والشريعة، فجنوْا على الإسلام والمسلمين.

وفي الثانية: سلبها الغزاة الذين أقبلوا من خلف البحار، فاحتلوها، تحت عناوين الوصاية والانتداب والاستعمار، بمعناه الحرفي نتيجة تخلفها الشديد!

وفي الثالثة: سلبها المستبدون، الذين تغيرت شعاراتهم وتعددت توجهاتهم، لكنهم اتفقوا في استلاب الحريات واستراق الكرامات، وفي مصادرة الأوطان وتأميم الثروات.

●تغييب عالم الشهادة:

في ظل جهل الناس تصبح كثير من مسائل الحياة غيباً لا يعلمه الا الله، كما يتضح من أجوبة الذين يَردّون بِ(الله أعلم) في بديهيات ومعلومات عامة يُفترض أن يعرفها أغلب الناس!

●قوافي التجافي:

عندما تعشعش ثقافة التخلف، تتضاءل قيم الائتلاف وتتضخم فجوات الاختلاف، حتى يبدو أن كل الطرق تؤدي إلى التباين، وأن سائر القضايا تصنع التباعد، بما فيها أمور ذوقية نسبية لا تستحق التوقف عندها، كأن يصبح الاختلاف في تذوّق القوافي سبباً للتجافي.

● كعبة الأوطان:

ينظر كثير من المسلمين إلى أوطانهم مثل نظرتهم للكعبة المشرفة والبيت الحرام، ليس من زاوية التقديس والتعظيم أو من زاوية أن الموت دونها شرف كبير وشهادة في سبيل الله، ولكن من زاوية مقولة عبد المطلب الشهيرة:

"للبيت ربٌ يحميه!"

إن ترْك الأوطان أسيرةٌ بأيدي الفاسدين، أو كسيرةٌ تحت أقدام الطغاة المتألّهين، هي من الثمار المُرّة للسلبية التي عصفت بكثير من الأوضاع، وحوّلت بعض بلداننا إلى يباب.

●عنقاد:

إذا لم تنْتصب أوجاع السقوط كدوافع لمعانقة الفاعلية، فستزيد من الانفعالات المُهدِرة للمزيد من الطاقات.

بُوركتُم..

عناقيد الفكر(٦٦)

كبائرُ الصِّغار

الأكل من شجرة الحرام:

إذا أكل المرء من شجرة (الحرام) سقطتْ ثيابُ سِتْرِه، وبَدَتْ سَوءاتُ أخلاقه، وانكشفت عوراتُ طبائعه، وذابت مساحيق المَلاحَة في شخصيته، وبدت قَسَماتُ القباحة في أخلاقه وأذواقه، في تصرفاته ومعاملاته، في أقواله وكتاباته!

الظلم الذاتي:

في العلاقة بين أي طرفين، عندما تنتهي حقوق الفرد تبدأ واجباته التي هي حقوق الآخرين، فهي حقوق مقابل واجبات.

وحتى لا يبغي أحدُهما على الآخر، فيعتدي على دمه أو عرضه أو ماله أو عقله أو دينه، فقد وضع الإسلام حدوداً صارمة تضمن التجاور وتمنع التجاوز.

وإذا نظر إليها المسلم من زاوية الحقوق، أدرك أن إزالتها سيؤدي إلى التعدي على حُرماته واجتياح حقوقه.

ومن يجتاح هذه الحدود إنما يظلم نفسه، قال تعالى: "ومن يتعدَّ حدود الله فقد ظلم نفسه."

وظلم النفس في الدنيا هو الذي يستوجب العقاب بعد العتاب في الدنيا والأخرى.

يَهدمون الكعبة:



وصل ابتعاد كثير من المسلمين عن الإسلام إلى حدّ ارتكاب جرائم تُزيل الدنيا بكل من فيها وما فيها، وإلى حدّ هدم الكعبة مئات الآلاف من المرات، وهي أقدس مكان في هذا الكون!

ألم يقل(ص): "لهدمُ الكعبة حجراً حجراً أهونُ على الله من إراقة دم مسلم؟"

فكم أراق المسلمون من دماء بعضهم؟ وكم هدموا من كعبات ربهم؟

ألم يقل(ص): "لزوال الدنيا أهْوَنُ على الله من قتل مؤمن بغير حق؟"

فكم أزهق مسلمون أنفساً بغير حق؟ وكم أزالوا من دنيا؟ وكم دمّروا من حياة!؟

ولذلك لا غرابة أن يعطي الله التمكين لغير المسلمين، فإنهم في زماننا أصْلحُ من عامة المسلمين، في استعمار الأرض وتقديس حياة الناس وحقوقهم!

!!الخروج من غِمدْ الحياء:

إذا خرج المرءِ من غِمدْ الحياء، صار(سيْفاً) مُصلتاً على الفضائل، إذ بإمكانه حينئذ أن (يسْفك) دماء القيم و(يطعن) صدْر الآداب، وأن (يقطع) أواصر الأرحام و(يُمزّق) نسيج المجتمع، بل وأن (يَطعن) ظَهْرَ أُمّته في عزّ الظُّهر!

كل هذه المعاني بعضٌ مما خَرج من مشكاة قوله (ص): "إذا لم تَسْتحِ فاصْنَعْ ما شئتَ!"

تعكير مزاج الطبيعة:

لقد ظهر الفساد في البرّ والبحر بما كسبت أيدي الناس، وبما سَعتْ إليه أقدامُهم، وما جنتْهُ ألسنتُهم، وما حصدتْه قلوبُهم التي ظلّلتها أدخنةُ الكراهية الداكنة وغيومُ الحقد الأسود، وأعْمَتها عن رؤية الحقائق بوضوح، وعن معرفة الناس على طبيعتهم.

وأدى ذلك كله إلى إفساد البيئة وتسميم الأجواء، وإلى تخريب المناخ وقتل الكائنات، وإلى إفساد التوازن البيئي وتشويه الطبيعة الغنّاء.

وإذا كان صلى اللّه عليه وسلم في الحديث الصحيح قد قال لعائشة: "لقد قُلتِ كلمةً لو مُزجتْ بماء البحر لمزَجتْه"، لأنها قالت عن ضُرّتها صفية بأنها قصيرة، وهي كذلك، فكيف بأطنان من الكلمات المسمومة والأفعال المدمِّرة؟ وكيف بآكام من المعتقدات المنحرفة والمشاعر الخبيثة؟!

الاستبداد القاتل:

الاستبداد هو عزرائيل الفراعنة وحكام الجور، حيث يقتلهم أولاً، إذ يمحو جوهر الإنسان وهو كرامته، ويقضي على كينونته وهي حريته، ومن ثم يقتل مشاعر التوثُّب والتطلّع وأحاسيس الرجولة والإباء، ويُهلك ملَكات التفوق والإبداع ودفقات العزيمة والإرادة، ويُعدم دوافع المثابرة والتصميم وأجنحة الآمال والأحلام.

ولهذا قال(صلى اللّه عليه وسلم): "إذا هابت أمتي أن تقول للظالم يا ظالم فقد تُودِّع منهم"، أي استأهلت أن يُقال لها: الوداع..الوداع، كأنه يقول بأنها قد ماتت، وصلُّوا عليها صلاة الجنازة!

عنقاد:

النفاقُ قناعٌ جذّابٌ، يرتديه الخبيث ليخفي حقيقته البشعة عن الناس.

بُوركتُم

■■عناقيد الفكر(٦٧) ■■

حصونُ النَّجاعة

●حِصْنُ الزّواج:

الزّوْج – ذكرا كان أَمْ أنثى – هو حِصنُ زَوْجِه من مساوئ الغرائز النفسية وسهام النظرات الإبليسية، ولهذا كان الزواجُ نصفَ الدِّين!

●حصن البنات:

أوصى الله ورسولُه بالبنات، تربيةً وعنايةً ورعايةً أكثر مما أوصى بالبنين، نتيجة ضعفهن وهوانهن على المجتمعات، ولأنّهن أسْهل في الإغواء وأسْرعُ للإغراء.

وجعَلَهُنّ الرسول صلى الله عليه وسلم حصناً للوالدين من النار، فقال: "من ابتُلي من هذه البنات بشيء فأحسن إليهن، كُنّ له ستراً من النار" [متفق عليه].

●حصن النقل:

الاعتصام بحبل (النقل) السماوي هو الحصن المكين من غوائل (العقل) وشذوذ الفكر، نظراً لأن آلة العقل مخلوقة من التراب مثْل بقية أعضاء الإنسان!

●حصن الفقه:

إن التفقّه في دين الله بمعناه الشمولي، هو الملاذ الآمن من أشواك الجهل وأشواظ الظلم، والحصن المنيع من سهام الشيطان، ومن آفات الجهل المركّب الذي قد يُرْديهِ في هاوية الأخسرين أعمالاً، فتزلّ قَدمُه ويضلّ سعيُه، مع إيمانه بأنه على الجادّة ومن أهل الرَّشادَة، وأنه يهْديٌّ للتي هي أقوم وممن يُحْسنون صُنعاً!

●حصون الأمل:

مهما تدافعت موجات المحن وتصاعدت أصوات العسْف، ومهما اشتدّت سُدَفُ الظلام وتحالفت أعاصير الخراب، فإنها لا تستطيع أن تسْلُب إيمان الأقوياء أو تُسْلِمهم إلى اليأس.

وفي الظروف الصعبة قد يثوي الأمل في قلوب المؤمنين، لكنه لا يذْوي، ذلك أن هذه القلوب مرْتَعٌ خصبٌ وحصنٌ أمين للأمل!

●التربية المناعية:

التربية الأُسَرية هي الحليب المعنوي الذي يتكوّن منه جهاز المناعة الذاتي، وهي الحصن الذي يقيه من كثير من العلل والآفات، ويحميه من سهام الغُزاة والبُغاة !

●حصنُ التعفُّف:

من لم يكن من أصحاب (التعفّف)، صار من أهل (التكفُّف)، وأوشكت كرامته على التّأسُّن، وأشْرَفتْ إنسانيتُه على التعفُّن!

●حصن الأسرار:

القلب هو الحصن لأسرار المرء، فإذا خرجت من حصنها تعرضت لقناديل الكَشْف، وربما تخطّفَتْها أسِنَّةُ الإفشاء!

●حصنُ الوَرَع:

الورع هو الحصن الذي يحمي الإنسان من ذئاب الشّبهات الفاتكة ومن سباع الشهوات الجامحة، وهو الحِمى الأمين من شرّ الهوى، والدرع الحصين من شرور الأطماع!

●زهرة:

الإيمان هو الحصن الأكبر من قَيْض المعاصي في الدنيا، ومن لَفْح جهنم في الآخرة.

●عنقاد:

إن ذكرَ الله تعالى حصنٌ منيعٌ من وساوس الشيطان الرجيم.

بُوركتُم..

■■عناقيد الفكر(٦٨) ■■

"فقه الإعلام"

●خطورة الإعلام:

على الكُتّاب والأدباء والفنانين وسائر المثقفين المرتبطين بالشأن العام، أن يكونوا أصحاب معرفة جامعة بين مفردات الواقع والواجب، وأن يكونوا ذوي بصائر نافذة أكثر من المُفتين، لأنهم يخاطبون أناساً ذوي أفهام وأمزجة وميول واتجاهات مختلفة.

ومن ثم فإن مستوى فهمهم للدين ووعيهم بالواقع ينبغي أن يكون عالياً، حتى يكون خطابهم مازجاً بين مقنعاً ممتعاً، بحيث لا يَفتِن العامّة بعُمْقه ولا يُنفّر الصفوة بسطحيته.

●اصطفاء الإعلاميين:

نظراً لتعامل الإعلاميين مع العقول كالمفكرين والمُربّين، بل ويزيدون عليهم بأنهم يخاطبون عموم الناس، كما مرّ، فإن النهوض الحضاري يتطلب اتباع قواعد الاصطفاء في اختيار الدارسين للإعلام، بحيث يكونون من الأذكى عقلاً والأرقى تفكيراً، ومن الأنقى قلباً والأحرص على وحدة المجتمع، ومن الأشَدّ إحساساً بمواجع الناس، مع رفْد المقررات والأنشطة الدراسية بما يعزّز شخصياتهم المتميزة، ويرتقي بها في آفاق الإعداد الرسالي.

ومن أجل ذلك لابد من وضْع إغراءات كبيرة للإعلاميين بحيث يتّجهُ لدراسة الإعلام المتفوقون الذين يلتحق أكثرهم بكليتي الطب والهندسة.

●موسوعية الإعلامي:

لكي يكون الإعلامي نجماً لامعاً في سماء مجتمعه، ينبغي أن يَدرس ما يدرسه أصحاب تخصصات عدة، حيث يحتاج إلى الإحاطة بأهم ما يَدْرسه طالب الدراسات الإسلامية ولاسيما في الفكر وأصول الدعوة وأصول الفقه، والإلمام بأهم ما يدْرسه طالب الدراسات العربية، لأن اللغة هي القوالب التي سيصيغ بها رسائله إلى الجماهير ولاسيما النحو والصرف والبلاغة.

ولابد أن يحيط بأهم ما في علمي النفس والاجتماع، مما يساعده على فهم الناس، وإيصال رسالته إلى العقول والقلوب بكفاءة عالية.

هذا كله بجانب المواد التخصصية البحتة والمرتبطة بقوالب الإعلام وفنون الاتصال، وبجانب أساسيات الثقافة والاقتصاد.

●الخطاب النّفْعي:

ينبغي أن يكون الخطاب الإعلامي نفْعياً، أي يستهدف تحقيق النفع العام للمجتمع الذي يخاطبه.

وهذا يتطلب الوعي بقواعد أصول الفقه وفقه الموازنات والأوَّليات، وإتقان فهم الواقع بسائر مكوّناته وملابساته، بحيث يساهم الصحفي في جلْب المنافع للناس ودفْع المضارّ عنهم.

وفي صُلب هذا الفقه لابد من استحضار النفعية دائماً، والتحقّق من مدى ملائمة الخطاب لهذه الغاية، بحيث يتم تعديله أو تأجيله أو إلغاؤه، إن كان سيتسبب في جلب مفسدة أو تفويت مصلحة.

ولهذا لابد من تطوير وعصْرنَة أصول الفقه وتدريسه لطلاب الإعلام.

●عنقاد:

أصْلِحوا الإعلاميين أضْمن لكم صلاحَ الجانب الأكبر من المجتمع.

بُوركت ليلتُكم..



■■عناقيد الفكر(٦٩)■■

"بصائر الأيام"

●تغييب العقل:

عندما تأثّر العقل المسلم في القرون الوسطى من تأريخه ب(الثقافات الشرقية) تحَنَّطَ وتجمَّد، حيث انتشر التصوُّف الذي صار أفْيوناً غيّبَ العقل!

وعندما تأثر ب(الثقافة الغربية) ولاسيما الفلسفة اليونانية تمَيَّع وتبدّد، إذ استهلك طاقته في عالم الغيب ولم يترك لعالم الشهادة إلا الفُتات !

وبهذا وذاك عجز العقل المسلم عن ارتياد الآفاق واستيعاب الآيات، وغاب عن استثمار السنن والظواهر الكونية، وتوقّف عن ابتكار الصنائع والطرائق التي تكفل العيش تحت دوحة الإسلام، ذات الظلال الوارفة والثمار الوافرة.

●المعرفة والقوة:

في قرون الضياء والإشراق الإسلامي الأولى كانت (القوة) ظاهرةً في الفتوحات، وبقيت الفاعليةُ ل(المعرفة) التي تحركت بهدوء، بعيداً عن صَخَب المعارك وقعْقَعَة السلاح، فانفتحت لها العقول والقلوب.

وفي العصور الوسطى من تأريخ المسلمين تبادلا المقاعد، إذ طفَت (المعرفة) إلى السطح وهَوَتْ (القوة) إلى الأعماق، وصارت الفاعلية الأكبر للقوة بعد تراجع المعرفة رغم توهُّجِها الظاهر!

وفي العصور الأخيرة انْطفأت المعرفة واستكانت القوة، فخرَّ المسلمون إلى قيعان التخلف!

●تبادل المواقع:

من شدة إعجاب التقليديين بالتراث الإسلامي، جعلوه مقياساً للحاضر، إذ ردّوا ما لم يتفق مع رُؤى وإنجازات السلف!

والمفروض أن يُهيمن الحاضر على الماضي، وتُصبح مصالح العصر معياراً لقبول أو رفض الاستعارة التأريخية والاقتباس التراثي.

●تساؤل بريء:

كان العرب قبل الإسلام في ضلال مبين، وأَوْصَلهم جهلُهم إلى تأنيث الكائنات الغامضة كالأصنام أو المُنتسبة إلى عالم الغيب كالملائكة.

فهل كانوا ينتقصون الملائكة في عقولهم الباطنة كما ينتقصون الإناث؟ أمْ يَعُدّون المرأة كائناً غامضاً فجعلوا الملائكة والأصنام لغموضها إناثاً؟!

●الانغراس في التراث:

ظلت أمتُنا لقرون عديدة تتبوأ مكان الصدارة في الحضارة الإنسانية، ونتيجة الأمجاد التي صنعتها والمآثر التي اجترَحَتْها، فقد تضَمّختْ أحداث تلك العصور بمِسْك الكرامة وتعطّرت بعبير العِزّة.

وفي عصرنا الذي انْحطّت فيه شعوبُنا، فإن روائح الاستبداد المُستفِزّة وروائح الفساد المُقزِّزة، دفعت كثيرين للهرب إلى اشتمام عَبَق التأريخ!

وسرعان ما تحوّل الأمر إلى إدمان، ثم صار ثقافة دفعت البعض إلى التجذّر في التأريخ والانغراس في التراث، وأصبح الماضي نموذجاً للحاضر ينبغي الاقتداء به في التفاصيل والجزئيات، وليس في المنهج فقط!

●**حجَرُ الزّاوية:**

أعتقد أن أقوى منجزات الفلسفة الغربية هي صياغتها للإنسان الفاعل، والذي يجمع بين المواهب والملَكات الفردية المتميزة، وبين الأواصر التي تجعله شخصية مؤتلفة ضمن مجتمعه.

وقد ضمِنتْ هذه المعادلة له التجدُّد العلمي والعملي، مع تحقق التكامل وبقاء الاتحاد.

وبهذا أصبح الفرد حجر الزاوية في هذا البناء الحضاري الضخم.

●**عنقاد:**

من أراد الاستبصار فإن قصص الزمان مليئة بالبصائر.

بُوركتُم..



■■عناقيد الفكر(٧٠■■)
"صناعةُ الوَعْي"

●غيْبوبة الوعي:

بتأثير من عوامل عديدة يلعب الإعلام في بلدان المسلمين دوراً سلبياً هادماً، ويرقى بعضُه إلى درجة الخيانة العُظمى!

فما زال أغلبُه يمارس تدجيل العقول وتدجين الإرادات، يغرس الغشاوة في الأعين والخدر في الألباب، يُروِّج للسّفاسف ويُسوِّق التفاهات، يتعصب للباطل ويُشيطن الحق، يُزيِّن الطغاة مُلبساً إياهم ثياب العظمة ويصنع من الفَجَرة أبراراً متقين ومن الخونة أبطالاً فاتحين، يجعل من المساطيل أساطين في الاجتهاد ومن الخائرين أبطالاً في الجهاد!!

وما يزال هذا الإعلام يُخدّر الناس بالأوهام ويُغيِّب وعيَهم بالأكاذيب، ولا يستيقظ بعضُهم إلا عندما يقع سقْفُ الوطن على رؤوسهم!

●الوعيُ بالمآلات:

لا يكتفي صاحب الوعي بتفحّص المقال ليرى إن كان صواباً نَشَرَه وإن كان خطأً طواه، بل يتفكّر في المآل فإن كان سيؤدي إلى جلْب مفسدة أو تفْويت مصلحة، فإنه لا يَنشُرُه ولو كان من صميم الحق والحقيقة!

والوعي بالمآلات يقتضي معرفة عميقة بالواقع، مما يجعل دراسة الواقع ضرورة كدراسة الواجب الشرعي.

●بين العارف والعَرَّاف:

العارف وليٌّ من أولياء الله، لأنه يستخدم معرفته بعالم الشّهادة لتحقيق مطالب عالم الغيب، ابتغاءً لما عند الله.

أما العرّاف فهو كالكاهن من أعداء الله، لأنه يستخدم ما يزعم معرفته عن عالم الغيب للحصول على الأموال والرغائب، كمن يدَّعون معرفتهم للسارق الخَفيّ والقاتل المجهول أو التنبوء بمستقبل أيّ شخص!!

●التأثُّر السّلبي:

من الطبيعي أن يتأثر الإنتاج الثقافي في أي مجتمع بعوائده وحاجاته وظروفه، ومن غير الطبيعي أن لا ينْطبِع بعقيدته وهُويّته وأن لا يخدم مصالحه وثقافته.

وهذا هو حال الفن والأدب والفكر في بلداننا العربية، حيث انفعلت بظروف التخلف، لكنها لم تنطبع غالباً بقيم العقيدة الصافية، ولم تلتزم بضوابط الشريعة السامية، ولم تُعزّز هُوية الأمة وتخدم مصالحها على الوجه المطلوب.

ولذلك لم تساهم الآداب والفنون في رفع مستوى الوعي العام، بل لعبت دوراً في تشويه الوعي، وفي إفساد الذائقة وتخريب الوجدان.

●فجْوَةُ الخُرافة:

من الفجوات التي فصَلَتْ بين نَصاعة الإسلام وتلطّخ المسلمين، فجوةُ الخرافة بكل مسمياتها وأشكالها.

فقد تَشدّد الإسلام في رفض السّحَرة والعرّافين والكهنة، لدرجة أن حديثاً صحيحاً كفَّر من أتى كاهناً أو عرّافاً فصدّقه، وإن لم يُصدّقه لم تُقبل صلاتُه لمدة أربعين يوماً!

ورغم ذلك ما زالت مجاميع عريضة من المسلمين تنافس الوثنيين في أدغال أفريقيا، على إتيان السحرة والعرّافين والكهنة، وتمارس خُرافات: الرمل، الودع، قراءة الكف، قراءة الفنجان، التنجيم، وغيرها من طرائق الدّجل والاستحواذ بالباطل على عقول الجهلة وأموالهم!!

●استئصالُ شأفة الخرافة:

يستأصل الإسلام شأفة الخرافة بتأسيسه للمنهج العلمي في البُنية الفكرية للمسلم، بحيث يستثمر السنن ويتسلّح بالأسباب.
فالمؤمن الحق يبذر الأسباب المستطاعة في عالم الشهادة، ويوقن بأن قدرة الله ستكفيه ما في عالم الغيب، فيتوكل عليه وحده، معتقداً بقوله تعالى: "ومن يتوكل على الله فهو حَسْبُه."

●استثمار النكبات:
إن النكبات التي تتوالى على الأمة مهما بدا أنها قاتلة، فإنها مطارق موقظة للسادرين في الغيّ، وما على جنود الوعي إلا استثمارها في صناعة الوعي المنشود، بطَرْق العقول وهي ساخنة، ولفْتِها إلى عوامل التخلف التي تميد في الواقع، وتدريبها على التأمّل في المخارجِ والحلول.

●عنقاد:
لما كانت معضلات الأمة داخلية في الأساس، فإنها أحْوَجُ إلى (اجتهادٍ علميّ) منها إلى (جهادٍ قتاليّ)
بُوركتُم..



■■عناقيد الفكر(٧١)■■

"تصَاريفُ الحُروف"

●كِلام الكَلام:

(الكَلام) يمكن أن يصير بَلْسماً يُضَمِّد (الكِلام)، كما يمكنه أن يصير حُساماً يُقطّع أوصال العلائق وحبال المودّات، ويُمزّق وشائجَ الرحمة وأواصر التعاون بين الناس.

●سلاح التّعْزير:

لا شكّ أن التقدير والتكريم للمحسن وأن الإهانة والتعيير للمسيئ، من وسائل الترَقّي بالناس أفراداً وجماعات، وعليه فإن كل محسن يستحق الثناء و(التعزير) كَقوله تعالى: "لتُعزِّروهُ وتُوَقِّروهُ..."، وكل مسيء يستأهل الهجاء و(التّعْزير) الذي هو عقوبة غير مُقدَّرة في الكتاب الكريم.

● فذْلَكةٌ لُغويّة:

إذا حَذفْتَ الباء من كلمة (بَشَر) صارت (شَرّ)، ذلك أن الكائن البَشَريّ هو الكتلة المادية المُتضمِّنة لغرائز التراب وأهواء الطين، وهو لا يصير إنساناً خيِّراً إلا بانسياب الروح في كتلة الشّرّ هذه، وبعْد تزْكِيتها بالشعائر والمجاهدات حتى تنْبَجِسَ عيون خيرها، وتتفتّقَ أكمامُ رحمتِها، وتنْبثق نفائسُ محامدها، من بين أكوام التراب وسُلالات الطّين.

●طفولة الشكر:

الله هو مالك النّعم ومانحُها، حيث (يحبُو) عبدَهُ برفْدِهِ، لكن عبده ما زال طفلاً (يحبُو) في شُكره، خالطاً بين الأسباب والمُسبِّب، فمتى يصبح من أهل الاستقامة ليصير من أصحاب الاستزادة!؟

●عظام العَظَمة:

كان المسلمون (عظاماً) في القرون التي تعلّقوا فيها بالنور السماوي، أما في هذا الزمان فقد صاروا (عظاماً) نَخِرةً، لكأنّما دفنوا العَظَمة مع العِظام في الأجداث!



●الدواء المناسب:

لكلّ داءٍ دواءٌ يُستطَبّ به، ومن المؤكد أنه من العبث مداواة كِلام الأمة بالكَلام، ومن العجْز معالجةَ خُطوبها بالخِطابات!

●أشْراكُ الإشراك:

في سَير الإنسان إلى الله، يتعرض للعديد من العثرات، وتتعرض له الكثير من الصّوادي، ويقع في بعض الأشْرَاك، إما لقلّة العلم أو لرداءة الإخلاص.

والإشراك هو أهم هذه الأَشْرَاك ولا سيما الخفيّ منه كالركون إلى الأسباب، وذلك عندما يعتقد القلب أنها مَن تجلبُ النفع أو تدفع الضّرّ.

●رأْيٌ لا راية:

ليس عيباً أن يُحبّ امرؤ (رأْيَهُ)، لكن العيب والخطأ الذي قد يصل إلى حدّ الخطيئة، أن تجعل من هذا الرأي (رايةً)، لأنك حينئذ ستستظل تحت رأيك وتتخنْدق تحت لوائه، وعندها ستتعدد الرّايات والبيارق، مما يؤدي إلى تفتيت الأمة وتفْويت الوحدة.

● (سواد) العوائد:

لقد تغلّبت العوائدُ على المبادئ في عصرنا، حتى أن (السَّواد) من الناس صاروا يزدرون صاحب (السّواد)، رغم أن الإسلام لا يُلقي بالاً للألوان والأعراق والأشكال، إذ يُكرِّم الناس وفقاً للإيمان والعلوم والأعمال.

●سُنبلة:

لا يمكن أن يسمُق في بناء (الذّات) من يظلّ غارقاً في (اللذّات)!

●عِنقاد:

كل الناس (أتْرابٌ) متساوون، لأنهم مخلوقون من (التّراب!)

بُوركتُم..

■■عناقيد الفكر(٧٢)■■
"مجاني الأفكار"

●رحيق الروح:

الصالحات هي أشجار تُزرع في تُربة الأفكار، وتُسقى من ذُؤابة الفؤاد وتُغَذّى من رحيق الروح!

وعلى قدر خصوبة الأفكار وأصالة الرحيق، يكون بُسُوق الصالحات، وتكون وفْرة ثمارها وجودة عطائها، ومن ثم يكثُر المستفيدون منها.

●بُستان الحضارة:

الحضارة بُستانٌ ضخم، بُذورُه هي الأفكار الخَلّاقة، وسُقياهُ من عيون الآداب والفنون، وثمرته هي العلوم والمعارف!

●العقلية النقدية:

العقلية النقدية تُمكِّن أصحابَها من الاستماع بآذان العقول والرؤية بأعين القلوب، ومن التفريق بين ما هو حَسَن وأحْسَن، وذلك في تعاملهم مع الآخرين.

ولذلك فإن امتلاك هذه العقلية النقدية من جوهر العبودية التي تستحق التبشير، وثمرة الهداية الربانية والعقل المتفكر، كما قال تعالى: "فَبَشِّرْ عباديَ الّذين يستمعون القول فيَتّبِعون أحْسَنَهُ أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب."

●حيوية الأحياء:

لا يكفي أن يكون المرءُ حياً، فما قيمة (الحياة) بدون (حيوية)؟

ثم لِنَتخيَّل كيف ستكون (الحيوية) إذا خَلَتْ من خُلق (الحياء)؟!
إنه مجرد مَثَلٍ لسلسة من المتلازمات التي تجعل الإنسان كائناً فاعلاً في هذه الحياة.

●الطبيب (الاستراتيجي):
إذا كان العاملون في العلوم الإسلامية أطباء يعالجون أدواء الإنسان: قلباً وقالباً، خَلْقاً وخُلقاً، شَبحاً ورُوحاً، فإن المفكر هو الطبيب (الاستراتيجي)، لأن تخصّصه هو تقوية جهاز المناعة ذي الصلة بمقاومة سائر العلل والآفات، وبإعداد خارطة الأمراض وتجهيز خُطط الشفاء منها!

●نَجَابةٌ ونَجَاعة:
تؤدي (النّجابة) العقلية إلى (النّجاعة) في الحلول، ومن ثم (النَّجازَة) في المشاريع والأهداف.

●خطورة الفكر:
العلاقة وثيقةٌ بين الفكر والفعل، فعندما ينْحصِرُ العقل تنْحسِر الحركة، وحينما يَنْدحرُ الفكر تنْحَدر السلوكيات.

●البَلْبلةُ والخَلْخلة:
إن تبلْبُل الأفكار يؤدي بأي مجتمع إلى تهلْهُل السلوكيات وتخلخُل البُنَى الاجتماعية، بحيث يصبح تجمعاً من البشر لا مجتمعاً من الناس!

●تنازل التنازع:

إن تمَلّي الواقع وتأمّلَ الوقائع، وإن استقراء التجارب التأريخية بعيون العقل وبصائر الفكر، يُثبت ذلك كله أن (التنازع) طريقٌ نازلٌ نحو (التنازل)، إذ أن تنازع أصحاب القضية يُفضي إلى اضطراب النفوس وتفكّك الصفوف.

ومن ثغرات التنازع يتسلل المتربصون، وفي ظل اختلال موازين القوى يَنْتزعون التنازلات المتتابعة، وقد يُعطيها لهم المتخاذلون والمنافقون على طبق من ذهب!

●أوَّلِيات الصِّلات:

يؤكّد المنطوق الشرعي والمنطق العقلي أن أَوْجَبَ (الرَّحمات) على (الأرحام(، وأفضل (القُربات) على (الأقارب)، وأزْكى (الصَّدَقات) على(الأصدقاء)، أوَلَيْسَ الأقربون أولى بالمعروف؟

●عنقاد:

للأفكار الباسقة مجاني دانية في بساتين الحياة، وهي الأفعال النافعة والأخلاق الحميدة.

بُوركتُم..



■■عناقيد الفكر(٧٣)■■
"نَفَحاتُ الحُرِّية"

●إباءُ الأحرار:

من كان حُراً ضحَّى بكُل شيء من أجل حُرّيته، حتى أن يَدَهُ لو حاولت أن تَمْتلكَهُ لقطعها ! يركب في سبيل حُرِّيته الصَّعْبَ والذَّلول، ويُدرك بأن مُعاقرة المَنايا خيرٌ من مُضاجعة الدَّنايا. ولحساسيته الشديدة إزاء كرامته، فإنه شديد الحذر من أي شيء ينتقص منها، ولهذا لا يمكن أن يَذلّ أو يَهون، ولا يمكن أن يكون مع من: "كان جملاً فاستَنْوَق"، كما يقول المثل العربي، مهما كانت ظروفه صعبة، لأن حريته في قلبه، ولا سلطان لأحد على قلبه!

●تَغيُّرات:

عندما يَسْتحكم الاستبداد ويستفْحل الفساد، تخْتلّ المعايير وتضطرب الموازين، فينخفض الرفيع ويرتفع الهابط.

في هذه الظروف تستأْسِدُ النِّعاج وتَسْتنْسرُ البُغاث، ويَصير كُراع الناس ذراعاً كما يقول المثل العربي!

●شرُّ الحُكام:

شرُّ الحُكّام من ليس لهُ مُحِبٌ في السَّر ولا مُبغِضٌ في العلانية، لأن سوء تعاملهُ لم يترك لهُ صديقاً، لكن طُغيانَهُ وظلمَه لم يُتيحا لأحد أن يُبدي رأيهُ فيه بِحُرية، فصار وضعهُ بهذهِ الغرابة!

●لواعجُ العمل:

تمتلىء قلوبُ الأحرار بلواعج الكَمَد، لما يحلُّ بأُمتنا من مصائب وما يكْتنفُها من مخاطر، ولما يُحاك لها من مؤامرات ويُحفرُ لها من أخاديد.

غير أن كثافة الآلام عند هؤلاء لا تطمس الآمال، وقوة الانفعالات لا تُلغي الفاعليات، بل تزيدها اضطراماً حيث تُذكي مشاعر الغضب وتُقوي عزائم التصدّي، وتزيد من قوة الحركة، وتُضاعف من همة العمل.

●فِطامُ الكبير:

للعوائد سطوةٌ شديدة سواء كانت فردية أو اجتماعية.

والعاقل هو الذي يتحرر من العوائد التي تَغُلّ حركتهُ نحو التقدم، وتُعرْقل مسيرتَهُ نحو الكمال.

ومهما كانت الصعوبة في الانفكاك الآن، فإنها أسْهلُ من الغد، لأن هذه العوائد تَكْبرُ مع الإنسان، فتزداد سطوتُها عليه كُلما مرَّ الزمن، ويزداد إدمانُه عليها مع مرّ الأيام.

ولله درُّ مالك بن دينار عندما قال: "ما أشدّ فُطام الكبير!"

●السجن الذاتي:

من أَسْلسَ قيادَهُ للباطل وانقادَ خلف الشهوات، وضعَتْهُ في سجونها المحفوفة بالرغائب، حتى أنه لَيَرْسف في قيودها الآسرة، ويَرفُل في زينتها الساحرة!

وفي هذه الحالة بالطبع يكون المرء هو السجان والسجين في آنٍ واحد!

●النّقْد والكَبْت:

تؤكد عِبرُ التأريخ أننا خسرْنا الكثير من المعارك بسبب حضور الكبْت، لكننا لم نخسر أي معركة بسبب حضور النّقْد الموضوعي، فهو دائماً بنّاءٌ ومثمر!

●عِنقاد:

إن ضريبةَ النقد محدودة ومرارته مؤقّتة، أما ضرائب الصّمت فهي باهضة السِّعْر وطويلة الأمد.

بُوركتُم..

■■عناقيد الفكر(٧٤) ■■
"أفْياءُ التُّراث"

●عِلَلُ الديانات والحضارات:

مما يحتاج إلى تأمّل طويل وتفكّر عميق، ما يتصل برواسب الحضارات القديمة وشوائب الأديان التالدة. الشوائب التي استقرّتْ في قعْر التدين التقليدي الموروث عن عصور التخلّف والانحطاط، وسمّاها

النبي صلى اللّه عليه وسلم بالسَّنن وحذَّر أتْباعَه من اتِّباعِها، وقد سأله بعضُهم: اليهود والنصارى؟ قال:"فمن؟"، وفي رواية قيل: الفرس والروم؟ قال: "فمن الناس إلا أولئك"؟

●تشْريحٌ واستئصال:

إن تغلغل آثار اليهودية والنصرانية وحتى البوذية والهندوسية والزرادشتية، وإن تَسلُّل آفات الحضارات اليونانية والرومانية والفارسية والهندية، إلى أعماق التراث الإسلامي بمختلف حقوله، يوجب غرْبَلَتِه لتحديد تلك العلل والآفات، وتتبع آثارها السلبية في تأريخنا.

ولكي تتم عمليتا التشخيص والعلاج بكفاءة، يحتاج تراثُنا إلى تشْريح دقيق يَعْقُبُه استئصال للأورام السرطانية التي تكوَّنت عبْر قرون من الزمن.

●خبراء الجراحة الفكرية:

يحتاج تخليص التراث من آفات التقليد ومعضلات المضاهَأة، إلى خبراء في الجراحة الفكرية العميقة، يَتَّسِمُ أصحابُها بهَضْم مقاصد الشريعة والتبحُّر في تلك الديانات والثقافات، وبالاستيعاب الوافي للتأريخ والتعمّق في فهم الواقع المعاصر، بكافة اتجاهاته وإشكالاته وشتى تحدياته وحاجاته.

●مجاميع التراث:

إن تعقّد إشكالية التراث وارتباطها بكافة مجالات الماضي والحاضر، الذات والآخر، يجعل من المستحيل أن يقوم بها شخص واحد مهما كانت عبقريته وقُدراتُه.

ولذلك لابد من إيجاد مراكز أبحاث متخصصة، تتوافر لها الإمكانات البشرية والمادية التي تُمكِّنُها من القيام بهذه الغاية الكبرى، حتى تتخلّص الأمة من أشواك التراث وتَنْعُمُ بأشواقه، بحيث يصير وقوداً إضافياً لتحقيق التقدم المنشود.

●غابة التراث:

التراث كالغابة المليئة بأنواع الشجر والنباتات، فمنها الضار والنافع، الشّوْكيّ والمُثمر، السُّمّي والدّوائي، الحَنْظلي والعَسَليّ.

ولهذا لابد من قيام الخبراء بغَرْبلته، لاجْتِباء صالحه واجتلابِ نافعه.

●مراعاة الزمان:

لا تكفي معرفة الغابة واستقراء أشجارها ونباتاتها، لتحديد ما هو نافع وما هو ضار، بل لابد من معرفة اتجاهات وحاجات هذا الزمان، فإن ما هو نافع في زمن قد يكون ضاراً في زمن آخر، وإن الثمرة التي تتجاوز عمرها الطبيعي تتحوّل من غذاء ودواء إلى عِلَّة ودَاء، وقد تتحوّل مع طُول المَدى وحضور بعض العوامل إلى سُمّ قاتل!

●الحذر والانتباه:

ينبغي للداخل إلى غابة التراث أن يكون بكامل وَعْيه، فإن رؤية الأشياء كما هي ثمرةٌ لنور العلم وبصيرة القلب، وبدونهما يتخبَّط سَيْرُه ولو كان في عصْره، فكيف إذا كان في غير عصره!؟

لاشك أنه سيكون حاطبَ ليل في غابة مليئة بالأفاعي والعقارب وسائر الزواحف والهوام، وقد تلسعُه بعضُها قبل أن يصل إلى ثمارها اليانعة.

●وضوح التفريق:

ينبغي التفريق بين قراءة التراث والاستفادة منه، فالقراءة تَشْمل كل ما فيه من حق وباطل، من صواب وخطأ، من جمال وقُبح، أما الاستفادة فلا تكون إلا من ما هو نافع لواقعنا وما يزيد عصرنا جمالا.

●عنقاد:

إن أول شروط انتقام التراث من مسلمي عصرنا، هو النّظَر إليه من زاوية التقديس أو التبخيس!

بُوركتُم..



عناقيد الفكر(٧٥) ■■

"مَفاسِحُ الأمل"

●الملاك والشيطان:

الأمل ملاكٌ روحيّ يَهَبُهُ الله للمؤمنين به، الداعين إيّاه، المُتعلّقين بأهْداب رجائه، فيُقوّيهم من ضعف ويُؤمنّهم من خوف، يُسنِدُ سيْرَهم نحْو المعالي ويأخذ بأيديهم نحو الكمالات، يَقيهم من السقوط في المهالك ومن التعثّر بالعقبات، يَمْنعُهم من التراجع أمام التحديات ومن الانهزام أمام الأعادي.

أما اليأس فهو شيطا رجيم يبُثُ وَسْوَساتِهِ في أرجاء النفس، ويُطْلق صيحات التخويف والتخذيل في أصقاع الذات.

واليأسُ يَقْتاتُ على المعاصي ويَشرب من عَكَر الذنوب، وكلما شبع وارْتوى ازداد سلاحُه فتْكاً ومَضاءً.

●عَمَى القنوط:

الحياة زاخرة بالمسَرّات والمضَرّات، وكما أن الأيام تنقسم بين الليل والنهار، فإنها تتوزع بين الشّدة والرخاء وبين الظلام والضِياء.

ولأن القانط أعمى فإنه لا يرنو ببصره نحو قناديل الآمال.

ولهذا كان القنوط شقيق الكفر، حيث يُعمي بصيرة الإنسان مثل داء الكفر.

●مَقْبرة اليأس:

إن كثرة الضّربات التي يتلقاها الأحرار، وتتابع المآسي التي تتعرض لها كتائب الحق، وإن كثافة التحديات التي تعترض طريق الأمة، تتظافر كلُّها في نشْر سحائب الإحباط، وفي دَفْع أعداد من أصحاب المواهب والطاقات إلى الاندفان في طوايا يأسهم.

لقد أصبح اليأس مقبرةً كبيرة، دَفَن المحبَطون فيها آمالَهم العريضة وتطلعاته الكبيرة، وقبروا في أجْداثها السوداء أحلامَهم البيضاء وأمانيَهم الخضراء.

حتى لقد صار الواحد من هؤلاء أطلال إنسان وحطام شخصية، وصار ذا عزيمةٍ مُترَمِّدة وإرادة مُتحلِّلة!

●كائن الأمل:

الأمل كائنٌ حيّ يُوازي الإنسان ويساعده على التوازن، يُرافقه في سيره ويقف معه إذا منَحَهُ زاده، إذ يتغذّى على نوافع العلم ويستقي من فُرات الإخلاص.

وبدون العلم يَهُدّهُ الجوع، وبدون الإخلاص يُضمره العطش، فيَذْوي ليسقط الإنسان في وَهْدة اليأس!

●منايا الأماني:

تتكوّن كلمتا (الأماني) و(المنايا) من ذات الحروف تقريباً، وربما استدعى هذا التقارب البنيوي تقارباً معنوياً، إذ تُقاسُ حياة المرء بأعماله ومنجزاته، أما اقتيات (الأماني) فلا يُسمن ولا يُغني من جوع، وقد يصير طريقاً يوصل إلى (المنايا)!

●الأمل المُنضبط:

مع أن الأمل صورةٌ خيالية، إلا أنه لا ينبغي له الانفكاك عن القيم والأخلاق، ولا يصحّ أن يصادم السُّنن والنواميس.



ولقد خاطب أبو الأسود الدؤلي الطّمّاع في آماله قائلاً:

أيُها الآمِلُ ما ليسَ لهُ

رُبَّما غرّ سفيهاً أملُه

رُبَّ منْ باتَ يُمنّي نفسَهُ

حالَ منْ دونِ مُناهُ أجلُه

●عِنقاد:

الأملُ هوَ الإثْمِدُ الذي يَجْعل بَصيرةَ الإنسان نافذةً بدون نفاد .

بُوركتُم..



■■عناقيد الفكر(٧٦) ■■
طبائعُ الأعرابِ

●أعرابُ التفكُّك:

ظل الأعراب قبل الإسلام منشغلين بمواجهة بعضهم، حيث اعتقدت كل قبيلة أنها لن تصعد ذُرى المجد والعزّة إلا إذا أسْقطتْ غيرَها في أوحال الذّل، حتى افتخر عمرو بن كلثوم في مُعلَّقَته بقوله:

ونَشْربُ إنْ وَرَدْنَا الماءَ صَفْواً
ويَشربُ غيرُنا كَدَراً وطيناً

وفي عصرنا لم يتغير شيئ سوى أن قبائلنا صارت دُولاً، وتنتشر في مساحة كبيرة تجاوزت الجزيرة العربية إلى الوطن الممتد ما بين الخليج العربي والمحيط الأطلسي، وأصبحت لها جيوش جرارة وأجهزة استخبارات رهيبة.

إنها لم تَنْفكّ عن طبائع الصراع وأخلاق الشقاق، حيث تخوض أغلب البلدان العربية حروباً بينيةً باردة، وكثيرا ما يحمي الوطيس وتتطور إلى حرب ضَروس!

وللأسف الشديد ما زال كل بلد يعتقد أنه لن يتعَمْلَق إلا إذا قزَّم البلدان الأخرى، بل وصارت عوامل الانقسام تسري داخل كل بلد!

●حساسية الظلم:

اشتهر العرب بِعِشقِهم للحرية بصورة تصل إلى حدّ الفوضى ورفض الانسجام مع الغير. وكانوا يَمْقُتُون العبودية ويأبَوْن الضّيم، وظلّوا شديدي الحساسية إلى حدّ أنهم يُمكن أن يُشعلوا حرباً طاحنةً بسبب التعريض بكرامتهم، ولاسيما إن كان من الأقربين!

ولهذا تَوجَّعَ طَرَفَة بن العبد من ظلم الأقربين في مُعلّقته الشهيرة فقال:

وظُلمُ ذوي القُربى أشدُّ مضاضةً

على المرءِ من وقْعِ الحُسام المُهنّدِ

واندلعت حرب عمياء بين أبناء العم على ناقة اسمها البسوس، قُتل فيها كبارُهم وفرسانهم. ولقد كانوا كرماء لا يبالون بالمال، ولم تكن المسألة هي البسوس وإنما ناقة الكرامة التي عقرها بنو تغلب، فقتل بنو بكر شيخ التغلبيين، واستمر مسلسل القتل والقتل المضاد طيلة أربعة عقود!

● نزعة الظلم الجاهلي:

تنزِع الطبيعة العربية إلى الرّد المضاعف على من جهل عليها كما قال عمرو بن كلثوم:

ألا لا يَجْهَلَنْ أحدٌ علينا

فنجهلَ فوقَ جهلِ الجاهلينا!

بل تجاوزت ذلك إلى المُبادأة في الظلم والمُبادرة إلى الاعتداء، كما قال الشاعر في القصيدة السابقة:

لنا الدنيا ومن أمسى عليها

ونبطِشُ حين نبطِشُ قادرينا

بُغاةً ظالمينَ وما ظُلمنا

ولكنَّا سنبدأُ ظالمينا!

وبالطبع فإن الشاعر يقصد هنا قبيلته بني تغلب، وأول من يعنيهم بلهجة التهديد والوعيد هم أبناء عمومته البكريين.

ولأن القصيدة مُعبرةً عن الطبيعة العربية ونفسية الأعراب، فقد لقيت قبولاً هائلاً، حتى صارت المُعلَّقة الخامسة ضمن المعلقات السبع أو العشر المشهورة في الشعر الجاهلي!

●الخياران المُرّان:

ما تزال نخْوةُ الرفض للظلم تتضخّم بطريقة غير طبيعية حتى أصبحت عُقدة مرضية عند ذلك العربي، حيث اعتقد أن الناس مجبورون على الظلم، وأنه إنْ لم يُبادر إلى ظلمهم فسيظلمونه، مثلما قال زهير بن أبي سلمى في معلّقَته الميمية:

ومن لم يَذُدْ عن حَوْضهِ بسلاحه
يُهدَّم ومن لا يَظلم الناسَ يُظلَم!

●تغيير القناعات:

تؤكد عِبرةُ مواريث الصراع أن بداية الوحدة العربية هي اقتناع سائر العرب بأن الماء الصافي والخيرات العميمة ستكفيهم وستزيد ببركة تَوحُّدِهم، وأن الجميع يمكن أن يصبحوا عمالقة مثل ناطحات السحاب المتجاورة في بعض مدائنهم الخالية من قيم التجاور الجميل والتآخي الصادق.

وعندما تمتدّ جسور التفاهم بين المغرب والجزائر، بين السودان ومصر، بين السعودية والعراق، بين سوريا والأردن، سيُدرك الجميع أن النهضة الحقيقية لا تتم إلا بالتعاون والائتلاف، حيث تتماسك حينها الأيْدي وتتكاتف السواعد، تتعاضد الأجسام وتتعانق القلوب، مما يؤدي إلى تآزر القوى وتضافر الطاقات.

●عِنقاد:

الإسلام كفيلٌ بنقلنا من دركَة (الأعراب المتنافرين) إلى درجة (العرب المُتضافرين).
بُوركتُم..

■■عناقيد الفكر(٧٧) ■■

"خِصالُ الصّاعِدين
"

●رجال الزمان:

لكل زمان رجاله الذين يُحسنون ارتيادَه حتى يصيرون رُوّادَه، ورجال هذا الزمن هم الذين أَعْمَلوا العقلَ في ضوء النّقْل، وشدُّوا نوازل العَصْر إل ثوابت الأصْل، وأخذوا من التراث ما يزيد الحداثة تقدُّماً ويزيد الزمان تأَلُّقاً.

رجال العصر هم الذين جمعوا في ألبابهم بين آيات الكتاب المسطور وآيات الكتاب المنظور، وجمعوا في عقولهم بين الواجب والواقع، وانطلقوا في مسيرتهم من الفكر إلى الفعل، جامعين بين اعتناق الإيمان واجتراح الصالحات.

إنهم الذين يبتغون المعالي ولا يتوَقّفون عن العمل، حيث يَحرصون على عمارة الساعات بالطاعات.

●تَفَوُّق المؤمن:

عندما يتخلى الإنسان عن جهله وظلمه، نتيجة تزكِّيه وترقّيه، فإنه يتوحّد مع التيار الكوني العابد لله ، فلا يشعر بالغربة ولا بالشذوذ، مُتفوّقاً على سائر مُكوّنات الطبيعة.

وإذا استخدمنا أمثال العرب في إبراز تَفوّقِ المؤمن فسنجد أنه "أهدى من النجْم"، "وأنورُ من النهار"، وأنه "أجْوَدُ من الدِّيَم"، "وأسمح من البحر"، وأنه "أوضحُ من الشمس"، و"أصْبَحُ من الصبح"، وأنه "آنسُ من جُدول"، "وأمضى من السّيل."

وفي ميزان الحسنات نجده "أثقل من جبل"، وفي ميزان الثبات نجده "أخف من ريش الحواصل!"

●**عُلّوُّ الهِمَم:**

إن النجائب من الناس لا ينغمسون في الرغائب، وأصحاب الهِمم لا يتوقفون عند الرِّمم، وذوي الآمال العالية لا تستهويهم الأعمال الهابطة.

●**نصائحُ السُّموق:**

افتحوا أبواب المعرفة، وأزيلوا حواجز التّعلّم، وارفعوا سقْفَ التفكير، واستفيدوا من مناهج البحث العلمي، واستثمروا طرائق التعليم وتكنولوجيا الاتصال، واقطعوا الأوقات في القراءة والبحث.

بهذا تسمُقُ قاماتُكم العلمية وتبسُقُ قدراتُكم العملية في سماء الفاعلية.

●**جِدِّيةُ المُحسنين:**

إن رجل الإحسان كتلة من الجدية الفائقة في عمارة هذه الأرض وصناعة الحياة، فهو يَشْدُد حيازيمَه، ويُشَمّر عن ساعد الجِدّ، ويَشدّ مئْزرَ التصميم.

لا يعرف التواني والكسل، ولا يُسوِّف أو يُؤخر، بل يُسارِع إلى العمل ويُبادر بالانجاز.

●**الطمع المشروع:**

إن صاحب الهمة العالية والشرف الرفيع لا يقنع بما وصل إليه.

وما دام دون النجوم فإنه يهفو للأفضل ويَتوق للأحسن، ومن ثم لا يزال يواصل رحلة العروج.

قال صاحبُ (العقد الفريد:(

والحرّ لا يكتفي من نيل مَكرُمةٍ

حتى يروم التي من دونها العَطَبُ

إنه يداوم على الترقّي العقلي والتنقّي القلبي، ويواصل بَذْل النفع للمخلوقين وتقديم الخدمة للمحتاجين.

●التَّضاد البَنَّاء:

من أراد (الراحة) فلابد أن (يتعب)، ومن أراد (السكينة) لابد أن (يتحرك)،
ومن أراد (التعلّم) لابد أن يكْرهَ (جهله)،
ومن أراد الوصول إلى (الكمال) لابد أن يعترف (بنقْصه)!

●عِنقاد:

إن لصاحب الخُلق الأسْمَى مع الناس مكانةً أسْنَى.

بُوركتُم



■■عناقيد الفكر(٧٨) ■■
"أَمْثالُ الشُّعُوب"

●الجُزْءُ الحَسَّاسُ:
الرجل والمرآة شطْران للنفس الإنسانية الواحدة، ولا يَنفكَّان عن بعضهما في قضايا: التقدم والتخلّف، العلم والجهل، الاستقامة والانحراف، الرُّقي والانحطاط.
غير أن المرأة هي الجزء الأكثر حساسيةً، ولذلك صارت مقياساً أدقّ وأوضح لمدى تقدّم أي أمة أو تخلّفها، حتى قال المثل الفرنسي:
"إذا أردْتَ أن تعرفَ رُقيَّ أمةٍ فانظُرْ إلى نسائها!"

●التّضخُّم السقيم:
في كثير من الأحيان يصير التضخم ظاهرة مرضية، سواءً على مستوى الكائنات الحَيّة أو النباتات.
فعلى مستوى الكائنات الحية، فإن الضخمة منها أقل قدرة على الدفاع عن نفسها، ولذلك انقرض بعضُها كالدنياصورات، والأخرى في طريقها للانقراض كالفيل ووحيد القرن!
وعلى مستوى الشّجر يُبرز لنا المثل الإيطالي هذه القضية بقوله:
"الشجرةُ الضخمة تُعطي ظلاً أكثر مما تُعطي ثمراً!"
وبالمناسبة هل يمكن القول بأن ثرواتنا أشجارٌ ضخمة بينما ثروات الغربيين أشجار صغيرة!؟

●مُخُّ الاستبداد:

إن جُبْنَنا هو الذي يصنع شجاعة الآخرين، ولا يُقْدِمُ الخصومُ إلا بقدر ما نُحْجِم، وقد أثبتت وقائع التأريخ وأحداث العصر أن المُستبِد يتضخم على قدْر تقزُّم المجتمع.
وقد صار هذا الأمر معروفاً في الأدبيات الموروثة للشعوب، كما قال المثل الفرنسي: "من ارْتَضَى لنفسه أن يكون شاةً أكلَتْهُ الذئاب!"
غير أن هذه الظاهرة ما زالت حاضرة في مجتمعات العالم الثالث حسب درجة التخلف، حيث يبحث كل امرئ عن خَلاصِه الفردي ولو على حساب المجتمع، فيقع المجتمع كله في فخّ الاستبداد والطغيان!

●بين الفردية والجمعية:

من الفروق الجوهرية بين العربي والغربي، طغيان الحِسّ الفردي عند العرب، وحضور الوعي الجمعي عند الغربيين.
وعلى سبيل المثال فإن العربي فرداً كان أو منظمة أو نظاماً، يعتقد أن تعملُقَهُ يتحقّق بتقزيم إخوانه وجيرانه، وقوّتَه تتثبّت بضَعْفهم، وغناهُ يتأكّد بفقْرهم، وهكذا.
بينما يربط الغربي مصيرَهُ بإخوانه وجيرانه، ويُشير إلى هذا الأمر مثَلٌ سويسري يقول: "من هزَّ بيْتَ جارِهِ سقطَ بيتُه!"

●ثروة الابتسامة:

الابتسامه رأس مال الإنسان، وهي جَوازُ مروره بين الناس وأداة اختراقه للقلوب، وهي سلاحُه في مواجهة الخطوب وإكْسيرُه في مداواة الندوب.
وفي هذا الإطار يقول المثل الانجليزي: "الوجْهُ الحَسن هو أقوى خِطاب توصيةٍ يَحملُهُ صاحبُهُ."



ولا شك أن أهم ما يُزيّن الوجه هو الابتسامة الجميلة، ولذلك كانت أمراً ضرورياً لأصحاب المهن المُتصلة بالناس بشكل وثيق ولا سيما التجارة، حتى وجَدْنا مثلاً صينياً يقول: "إذا كنتَ لا تستطيع الابتسامة فلا تفتحْ دُكّاناً!"

●تِمْساحُ النَّفاق:

يقول المثل الصيني: "لا تتخذْ تِمساحاً صديقاً، وإن سالتْ منهُ الدّموع!"

والمنافق هو ذلك التمساح، فلا تغُرّنَّكَ دموعُهُ المنسابة وكلماتُه الناعمة، وانظر إلى قواطع أنيابه واحذرْ وَحْشيّتَه في التعامل مع ضحاياه!

ولا تغْترّ بذكر المنافق لله، فكَمْ من لصوصٍ يبدؤون سرقاتِهم بالبسْمَلَة، وكم من قتَلَةٍ يفتتحون جرائمَهم بالتكبير، وكم من آكلي السُّحْت يَحمدون اللَه بعد كل وجبة حرامٍ، وكم من سُطاةٍ على حقوق الناس يدعون الله أن يُعينَهم على إنجاز سَطَواتِهم!!

●عِنقاد:

الأمثالُ قَطَراتٌ مُؤثِّرةٌ في تشكيل بُحيرةِ الوَعْيِ الجَمْعيِّ.

بُوركتُم..



■■عناقيد الفكر (٧٩)■■

"تَقَاسيمُ الحُرّية"

●موت الحياة:

الراكضون إلى (الموت) بِفقْهٍ هُم أهمّ من يَصنعون (الحياة) بصدقٍ، لأنهم يُجفِّفون بجهادهم منابعَ الرِّق، ويَسدُّون بأجسادهم طرائقَ القتل، ويُغلقون بشجاعتهم صَنابيرَ الدّم، ويُطفؤون بتضحياتهم نيران الظلم.

●تجاعيد الأوجاع:

إن حساسية الأحرار تجعلهم يَشيبون قبل الأوان، إذ أن النوائب النازلة بأمتهم والجوائح التي تَعْصف بمجتمعاتهم، تؤدي إلى بياض شعرهم وسواد وجوههم، وتتولّى أوجاعُ الزّمن رسْمَ تجاعيدها في وجوههم!

●استحقاق الشّرف:

رغم اهتمام العرب بالأنساب إلى أبْعد حَدّ، ورغم توارثهم للشرف كابراً عن كابر كما يقولون، إلا أنهم كانوا شديدي الحرص على امتلاك مؤهلات الشرف ودفع تكاليف السيادة.

وذلك من خلال االتفاني في خدمة العشيرة، والإقدام في الذَّود عن القبيلة، والكرم في رفْد المحتاجين، والشجاعة في حماية المستضعفين.

وبدون ذلك يظل الشرف دعوى عارية لا ظل لها من الحقيقية، ويؤكد ديوان العرب هذه الحقيقة، كما قال أحدُهم:

إنّا وإنْ كُرمَتْ أوائلُنا

لسنا على الأحسابِ نتّكلُ

نَبْني كما كانت أوائلُنا

تبني ونفعلُ مثْل ما فعلوا

●حِمَى الحُرية:

الحرية هي الحصنُ الحصينُ من سَطَوات الفراعنة، وهي القلعة الشامخةُ أمام نِقماتِ النَّمَاريد، وهي الدّرِع الحامي للقلب من سِهام المُجرمين ولصوصية الفاسدين، الذين يحاولون شراء الضمائر بالأموال والمصالح واستلاب القلوب بالشُّبهات والأكاذيب.

●استثمارُ مَشاعر التّميُّز:

من طبائع عرب ما قبل الإسلام الحرص القوي على الحرية، والحساسية الشديدة تجاه الكرامة، لدرجة ادعاء كل قبيلة وفرد التميز عن الغير والسيادة عليهم.

ولكُرْهِهم للمساواة كانوا إذا ذَمُوا قوماً قالوا: سواسية كأسنان الحمار!!

وعندما جاء الرسول صلى الله عليه وسلم استثمر هذه الطبائع بعد أن شذّبها وهذّبها، ودفَع بكل شخص نحو كماله المُقدَّر في بنائه الذاتي، ثم أحال طاقات الجميع من دائرة الصراع السلبي إلى ميدان التدافع الإيجابي.

وبذلك أذْهبَ صلى الله عليه وسلم عن العرب نخْوةَ الجاهلية وتفاخرها بالآباء، وفعَّل طاقات التميّز الإيجابي، بالخدمة الاجتماعية لا بالتمحْوُر الأناني حول الذات وبالفعل لا بالادعاء.

●الخوف من الحُرية:

اشْتدّت المؤامرات على الربيع العربي، لأمور كثيرة أهمها أنه لو نجح سيُمَلِّك الشعوب المستعبدة حرّيتها، ولو امتلك العرب حريتهم ستنبعث مواهبُهم المكبوتة، وتنطلق قدراتهم المغلولة منذ أن حلّ التخلف ببلدانهم.

●عِنقاد:

كلمةُ السّرّ في شخصية العربي هي الحُرية، فإذا صارَ حُراً لم يستطعْ أحدٌ اللحاقَ بهِ!

بُوركتم ..



■■عناقيد الفكر(٨٠) ■■

"عُشّاقُ الضِّيَاء"

●إدْمانُ العشق:

عندما تَضْطرمُ الأشواقُ وتشتعلُ الأشْجانُ، وعندما تَرِقُّ العواطفُ وتَصْفو المشاعر، فإن صاحب هذا القلب يتأهّلُ لارتشاف النور، حتى أنه يُدْمن على احْتِساء الضياء ويَهيم بِحُلَل النور!

●الهَوى والنّوَى:

إذا قوبل الهوى بالنوى فإن صاحب هذا الحال تتنغّصُ معيشتهُ وتسْودّ حياتُه، ولاسيما إذا كان النوى مقصوداً من المحبوب نتيجة فراغ قلْبِه من الحُب!

●عاشق الإسلام:

إن عاشق هذا الدين منهمكٌ في دوائر الانشغال به والاشتغال له، حيث تلْحظ أن عقله دائم الإطراق من كثرة التفكير بأحواله، وتُحسّ بأن قلبه شديد الانفلاق من تَمَكّن حُبّه وشدّة الشّغَف به، ومن الارتياع لأوضاعه وعظيم الخوف عليه.

وثمرة ذلك تظهر في دَوَرانه حول فَلَكِه العظيم، حيث لا تجده عند النّواهي ولا تفْتقِده عند الأوامر.

●جوائح الجوانح:

إن الخطورة كل الخطورة هي أن تتسلّل جوائح الدنيا إلى جوانح الإنسان، حيث تَكْمُن مُضْغةَ الإنسان وجهاز حفظ الإيمان، وحيث يَسْتقرّ الحُبّ ويَسكُنُ الشغف.

فالجوائحُ فيروساتٌ مضادة للإيمان، تقْتاتُ على نضارته وتمنعه من التوهّج والتألّق، حتى تنْتزعَ روحَه وتقضي عليه!

● حنان القلب:
إذا سَلِمَ القلبُ من الأوضار وصَفِيَ من الأكدار، صار مَحطاً للمشاعر الرقيقة ومنطلقاً للعواطف الجياشة، حتى يصير كما قال أحمد شوقي:
قلبٌ لو انْتَظم القلوبَ حنانُهُ
لم يبقَ قاسٍ في الجوانح جافِ

● توافق:
عندما يُبْغضني نذلٌ أو وَغْدٌ، فإنني أَشْعُر بالطمأنينة على نفسي وأفرح لأن أخلاقي لم تُشْبه أخلاقَه، ولو أحبّني هؤلاء لَشكَكْتُ بطباعي ولسارعتُ إلى أخلاقي أَتفقّدُها!

● أمنية:
ليتنا كُنّا (مجانين) الحُبّ وكانت أوطاننا هي (لَيَالِينَا) التي لا نكُفُّ عن البكاء عليها.
لكنهُ البكاء الذي يُذكي البحث عن أدوية للأسقام والعلل ويَسقي وديان النهوض بمياه العمل والأمل.

● عِنقاد:
عُشّاقُ الضياء ذوو عقول مستنيرة وقلوب مُشْرِقة، ولذا لا يَكُفّون عن المرابطة في ثغور النور، جالِبين لأشعّة الضياء من مصادرها أينما كانت.
بُوركتُم..

■■عناقيد الفكر(٨١) ■■

"حَبائِلُ التَّشَيُّع"

●مَكْرُ التَّشَيُّع:

من القراءة التحليلية لوقائع التأريخ الإسلامي تبدو نواةُ التشيع صورة من صور المكر بالإسلام والكيد للمسلمين!

وبسبب ذاتية هذا الدين القوية، ولأن مشيئة الله قد قضَتْ بأنه {لا يَحيقُ المَكرُ السّيّءُ إلا بأهْله}، فقد مَكَر الله لأوليائه حتى انقلب السحرُ على الساحر، وغرق مَرَدةُ الفرس في بحر التشيع المتلاطم، بعد أن سقطوا في حبائله التي نَصَبوها لجموع المسلمين، ولا شكّ أنهم أغرقوا معهم أعداداً من حسني النية ولاسيما في زماننا هذا، لكن هدفهم الغائي لم ولن يتحقق!

●مَكْرُ التَّشَيُّع:

"غَلَب عليك من دعا إليك"، هذا مثل عربي جرى على ألْسِنة الأجداد، ويبدو أنه يُعبّر بقوة عن الحالة التي كان عليها لفيفٌ من الفُرس عَشيّة انطفاء آخر نيرانهم المقدسة بأَنْفاس جنود الحق.

فقد سقطت إمبراطوريتُهم العجوز تحت حوافر خَيْل المسلمين، وانتزع فرسان الإسلام عرشَ الأكاسرة بسرعةٍ حيَّرت المؤرخين.

لقد هالَتْهم قوّةُ هذا الدين التي لا تُقاوَم، فعَمَد بعضُهم إلى التصدي للمسلمين من داخلهم، حيث أعلنوا تشَيُّعَهم لآل بيت النبي صلى الله عليه وسلم، وحاولوا شنّ الحرب على الأمة تحت هذه الراية الخادعة!

وبالفعل حقّقوا بعض المكاسب التي ظلت تزيد كلما نقص وعيُ المسلمين، كما حدث أيام البويهيين.

وأقاموا دولة كبيرة على أيدي الصفويين، لكنهم لم يتجرؤوا على إعلان هُويتهم الفارسية ذات الثقافة الوثنية بفعل تملّك الاسلام لجوانح الكثير من الفُرس.

وكانوا كلما أظهروا رُكناً من أركان تلك الهُوية الشيطانية يُسقطون عموداً من أعمدة شرعية دولتهم، ولذلك سقطت دولتُهم قبل أن تُعلن الانتصار، وهذا ما يبدو أن الدولة الخُمينية تُكرّرُه في عصرنا الرّاهن!

●سَلّةُ التّشيّع:

لجأ المُتَلفِّعون بأرْدِيَة الإسلام إلى التّجَمُّل بادعاء التشيع لآل البيت وزعْم الانتصار لمظلوميتهم!

وكانوا يظنون أن الإسلام كأديانهم القديمة وسائر الديانات المحَرَّفة التي تعطي مزايا غير محدودة للمنتسبين للأنبياء والمصلحين، حيث حلموا بجَمْعَ أَزِمَّةِ السلطتين الدينية والزمنية في أيديهم، ومن أجل ذلك لَوَّوا أعناقَ الآيات ووضعوا الأحاديث المكذوبة، واخْتلقوا الكثير من القصص التي لم تَثبت!

لقد حاولوا إعادة أمجاد الساسانيين تحت لافتات الحُسَيْنيّين لكنهم خابوا وخسروا، فالإسلام يجعل المسلمين كلهم إخوة في سائر الحقوق والواجبات، ويتمّ التمايزُ بينهم في شؤون الدنيا وِفْقَ معايير موضوعية عادلة، وفي شؤون الآخرة بالتقوى التي لا يعرف كُنْهَها إلا الله ولا يجازي بها إلا مالك المُلْك!

●استثمار كراهية الاستعمار:

في الطَّور المعاصر من أطوار التشيُّع الإيراني، لم يَعُد التشيع لِآل البيت وحده كافياً لخداع الجماهير العربية، بعد أن انْفضحت عوراتُهم طيلة قرون من التجارب المريرة والخبرات المُضمَّخَة بالدماء، ولهذا لجؤوا لشعارات جديدة!

ومنذ أنْ قامت الثورة الخُمينية وهي تُصدِّر أفكارها المدمِّرة تحت لافتات (الموت لأمريكا والموت لإسرائيل) وتَلْعن اليهود والنصارى في كل منتدى ومناسبة، وتُعلن بأن أمريكا هي

الشيطان الأكبر وأن إسرائيل هي السرطان الأخطر، كل ذلك لاستثمار رصيد الكراهية لهؤلاء في نشر أفكارها المتخلفة وسط الجماهير الغنية بالعواطف والفقيرة بالمعارف!

●حبائل المُمانَعة والمقاومة :

وفي هذا السياق تَلفعّتْ الثورةُ الايرانية بأَرْدِيَة الإسلام، وما فتئت تُبشِّر بالصحوة الإسلامية وتدعو إلى الأخوة الإسلامية، وظلت تتجَمَّل بشعارات المقاومة لإسرائيل والممانعة أمام العَوْلمة الأمريكية، مما أكسبها تعاطف أعداد غفيرة من المسلمين كافة والعرب خاصة في السنوات الأولى.

غير أن الممارسات الإيرانية ولاسيما في السنين الأخيرة قد أثبتت أن هذه الشعارات ما هي إلا "دعاية سوداء"، تَذُرّ الرّمادَ في العيون حتى لا ترى حقيقة التواطؤ مع الأعداء الأزليّين للأمة، حتى أن أحد صُنّاع (الاستراتيجية الإسرائيلية) كتب ذات غفْلة بأن إيران لو لم توجَد خلال هذا العصر لكانت (إسرائيل) أَوْجَدَتْها، نظراً للإنجازات التي حقّقتها لصالح (استراتيجيتها) في المنطقة، وأهمها إدخال العرب في مواجهة طائفية استَهْلكت طاقاتهم، وفرَّقتْ جموعَهم، وشغَلتْهم عن عدوِّهم!

ولهذا رأينا العالَمَ يتَخنْدقُ مع النظام السوري منذ خمس سنوات، تحت شعارات ودعاوى عديدة، حيث ساعدوه أو مالؤوه في قتل قُرابة نصف مليون وتشريد نصف الشعب السوري، فهو نظام شيعي في ثوب علماني، وهو ماهرٌ في حماية (إسرائيل) مع تَدثُّرِه بشعارات الممانعة وتَزيُّنِه بدعم المقاومة!

●عِنقاد:

ما زال التشَيُّعُ سيّارةً مُخادعةً، حيث يُؤشِّرُ (يميناً) ويَتّجِهُ (يَساراً)، يرفعُ رايةَ (مكة) ويَسيرُ نحو (واشنطن)، لسانُهُ مع (القدس) وحسامُهُ مع (تل أبيب!(

بُوركتُم

■■عناقيد الفكر(٨٢) ■■

"صَحائِفُ اليَمنيّين"

●اسْتعادةُ الثقة بالذات:

بعد استبدادٍ جَثَم على صدور اليمنين لقرون عديدة، وبعد عقود من الاستبداد المُتلفِّع بأثواب الجمهورية والحرية والديمقراطية، وبعد سنين من الحروب المُسْتعِرة، تَعرّضت الشخصية اليمنية لثقوب عميقة، تحتاج إلى الكثير من الأدوية حتى تتجاوز تَشَوّهاتِها وتتعافى من أسقامها.

تحتاج إلى مغادرة دَوّاماتِ الدُّونية إلى جُزُر الثقة بالذات، ومن الضروري مداواة نُدوب النَّقْص ببلاسم الإيجابية والبناء عليها، سواء كانت تأريخية أو دينية أو واقعية.

وسنساهم في هذا المضمار ببضع حلقات من عناقيدنا هذه، عَبْر استحضار بعض عناوين المَجْد اليمني، وسنبدأ الانطلاقة من الكتاب الكريم والسُّنة الشريفة.

●تَجْميل القرآن لليمن:

قدّم القرآنُ اليَمَن بصورة وضيئة أكثر من أي بلد آخر، فسمّى إحدى سُوَره الطُّوال باسم نبي من أنبيائه وهو (هود) عليه السلام.

وتحدّث عن إحدى أقدم قبائله وهي (عاد) فوصفها بأنها: {إِرَمَ ذات العماد التي لم يُخلق مثلُها في البلاد}، وأثنى على أرض اليمن واصفاً إياها بأنها: {بلدةٌ طيِّبةٌ وربٌ غفور}.

وفي الوقت الذي شنَّ الغارة على ملوك الظلم وفراعنة الاستبداد الذين تحكّموا برقاب الناس، أثْنى على مَلِكة سبأ وقدَّمَها كمَلِكةٍ راجحة العقل، شُورِيَّة الأمر، ممتلئة بالعلم، حريصة على مصلحة شعبها، وسريعة الإيمان بالله عندما دعاها سليمان عليه السلام.

ومن يقرأ كتب أسباب النزول سيجد أن اليمنيين احتلُّوا الصدارة في الأسباب التي نزلت لأجلها مقاطع أو آيات من القرآن الكريم.

●الأَوْسِمَةُ النَّبويةُ:

تحتل الشام واليمن صدارة الثناء النبوي في ما صَّح من أحاديثة صلى الله عليه وسلم، وقد جمع الأستاذ عبد الملك الشيباني رحمه الله الآيات والأحاديث التي وردت في فضل اليمنيين في كتاب ثم خرَّجها في كُتيِّب مستقل.

وكان صلى الله عليه وسلم قد أعطى اليمنيين أَوْسمة الرِّقة في القلوب والَّلين في الأفئدة، ووضع على رؤوسهم تيجان الإيمان والفقه والحكمة، وأخبر بأن نَفَس الرحمن يأتي من ناحية اليمن!

ودعا لليمن والشام بالبركة، وعدَّ الشام بلاد الرباط واليمن بلاد المدد، وقال في الأنصار ما لم يَقُلْهُ في غيرهم وهم من قبائل اليمن، حتى أنه ذكر بأن الناس لو ساروا في شِعْبٍ وسار الأنصار في شِعْبٍ لسلك شِعب الأنصار!

●الشرف اليماني:

اشتهرت أمور عديدة ذات اتصال باليمن، ومنها النجم اليماني (سهيل)، والرُّكن اليماني الذي يقع جنوب الكعبة المشرفة، والبَرْق اليماني الذي يلمع من جهة اليمن وتَغَنّى به الشعراء والمطربون، وكذا السيف اليماني الذي فاخر به الفرسان، والعقيق اليماني الذي يُعدّ أهم حَجَر كريم عند العرب!

●شهاداتُ الراشدين:

شهد أبو بكر الصديق بأن اليمنيين أصحاب قلوب رقيقة كقلوب الصحابة في مطلع الإسلام، حيث رآهم يبكون عند سماع القرآن فقال: هكذا كُنّا!

وسأل عمرُ بن الخطاب الناس: مَنْ أجْوَد العرب؟ قالوا: حاتم الطائي، قال: فمن فارسها؟ قالوا: عمرو بن معد يكرب، قال: فمن شاعرها؟ قالوا: امرؤ القيس بن حُجْر، قال: فأي سيوفها أقْطع؟ قالوا: الصِّمْصامة. قال: كفى بهذا فخراً لليمن.

وكان عثمان بن عفان قد أثْنى عليهم كثيرا وصاهرهم، حيث تَزوَّج امرأة منهم وبقيت معه حتى استشهاده.

أما الإمام علي كرّم الله وجهه فقد كان أعرف بهم، لأن الرسول صلى الله عليه وسلم ولّاه على نجران، حتى اشْتهرتْ له أبياتُ شعر يمتدحهم فيها، ومنها هذان البيتان:

لِهَمْدان أخلاقٌ ودينٌ يَزينهم

وأُنْسٌ إذا لاقَوْا وحُسنُ كلامِ فلو كنتُ بوّاباً على باب جَنَّة

لقلتُ لهمدان ادْخلوا بسلام

ونكتفي بشهادات الراشدين وكفى بها شهادة، ونُضيف شهادة تقدير من حبْر الأمة عبد الله بن عباس الذي قال لبعض اليمانيين: لكم من السماء نجْمُها، ومن الكعبة رُكنُها، ومن الشّرف صميمُه.

●الترمومتر المُقدَّس:

بين بلاد الشام واليمن علاقات وثيقة جداً، دينية وجغرافية وتأريخية، حتى أن سبعاً من آيات القرآن الكريم ربطت بينهما.

وقد دعا صلى الله عليه وسلم لهما بالبركة، وجعل أرض الشام أرض الرباط واليمن أرض المدد كما أسْلفْنا، وهذا ما أَثْبَتَتْه وقائع التأريخ في سائر مراحله.

ونكتشف من جملة أحاديث الرسول في فضائل البلدين أنهما يُشكّلان ما سَمَّيْتُه بـ(الترمومتر المقدس)، أي الكاشف لعافية الأمة أو سقمها.

فالشام هي مقياس اعتلال الأمة، حيث قال(صلى الله عليه وسلم): (لا خيرَ فيكم إذا فسد أهلُ الشام).

واليمن هي مقياس العافية والقوة، ولذلك قال (صلى الله عليه وسلم) وهو يُبشّر المُحبَطين واليائسين بظهور هذه الأمة على الأمم: "واللهِ ليُتِمَّنّ اللهُ هذا الأمر، حتى يسير الراكبُ من صنعاء إلى حضرموت لا يخشى إلا الله والذئب على غنمه."

وعليه فإن كل جهد تبذله الأمة لإصلاح هذين البلدين، إنما يَنْصَبّ لصالح الأمة كلها، كأنها المضغة التي تَصلح بصلاحها وتَفْسُد بفسادها.

●عِنقاد:

يبدو التَّميُّز اليمني واضحاً من العنوان، فقد نَحَتتْ الأقدارُ اسْمَها من اليُمْن وهو التفاؤل والبركة.

بُوركتُم..



■■عناقيد الفكر(٨٣)■■
"أَلْوِيَةُ المَجْدِ اليَمَانيّ(١_٤)

●لِواءُ النُّبوّة:

في معرض مُحاججة القرآن لمشركي قريش الذين افتخروا بأصولهم ورد قولُه تعالى: {أَهُمْ خيرٌ أَمْ قَومُ تُبَّعٍ والذين من قبلهم..} حيث جعل قومَ تُبَّع عنواناً للأمم السابقة كلها، وجعلهم خيراً من قريش وفق سائر المقاييس المادية، وهُم اليمنيون.

ومن جملة الأنبياء المذكورين في القرآن يوجد ثلاثة أنبياء من أصل يمني، وهم هود وصالح وقَبْراهما في حضرموت، ثم شُعيب الذي ينتمي لقبيلة جُذام اليمنية، وقد زوَّج ابنته لكليم الله موسى حتى كان يقال عن اليمنيين بأنهم أصهار موسى.

وهود هو أبو قحطان جدّ اليمنيين، وقحطان هو ابن حفيد سام بن نوح، وكانت صنعاء تسمى مدنية سام ويقال إنها أقدم مدينة على وجه الأرض.

واليمنيون هم أصْهارٌ لعددٍ من الأنبياء، منهم إسماعيل الذي يُروى أنه تزوج فتاة من قبيلة جُرْهُم التي كانت أول من سكن مكة، تم حلّت محلها خزاعة وهي قبيلة يمنية أيضاً، حتى تغيّرت موازين القوى فَسلّمَتْ مكة لقريش أيام قصي بن كلاب.

ويُروى أن سليمان عليه السلام تَزوّج من الملكة بلقيس بعد أن أسلمتْ على يديه.

وبدوره تزوّج النبي (ص) من جُويرية وهي من قبيلة خزاعة اليمنية أيضاً، ومن ثم يكون لليمن ثلاثة أنبياء، وصاهروا أربعة أنبياء آخرين.

●لِواءُ الكرامة المُحمّدية:

هناك عدد من اليمنيين الذين نالوا شرف مرافقة المصطفى (ص) وكرامة خدمة الدعوة الإسلامية بشكل التصق بالرسول التصاقاً وثيقاً، وأهم هؤلاء:

-خطيب النبي(ص) ثابت بن قيس بن شماس والذي استشهد في اليَمامة أثناء حرب الردّة.

-شاعر الرسول(ص) حسّان بن ثابت الذي أيَّده الله بروحِ القُدُس.

-رَاوِيَة النبي(ص) أبو هريرة الذي كان أكبر أَوْعيَة الحديث النبوي.

-صاحب سرّ النبي(ص) حذيفة بن اليمان ورجل المهمات الصعبة.

-قارئ النبي(ص) أبو موسى الأشعري والذي أبكاه جمالُ صوته بالقرآن وقال له: "لقد أُوتيتَ مزماراً من مزامير داود"، وهو من قبيلة مذحج أكبر قبائل اليمن.

-فارس الرسول (ص) أبو دجانة الانصاري الذي أعطاه سيفَه في أُحُد فقام بحقِّه خير قيام، حيث أخترق الصفوف وجَنْدَل المشركين حتى ارتقى شهيداً مع كوكبة من فرسان اليمن الذين قدّموا نحورهم دون نَحْر النبي(ص) ومنهم الفارسة نُسيبة بنت كعب المازنية التي أخبر الرسول أنه ما الْتَفَتَ يميناً ولا شمالاً إلا ورآها تقاتل دونَه!

-سفير الرسول(ص) دحية الكلبي.

-وَالِي الرسول(ص) فَرْوة بن مُسيْك المُرادي الذي ولاّه على نجران.

-زوجة الرسول(ص) جُويرية، وهي من قبيلة خُزاعة.

-شاهِدُ الرسول (ص) خُزيْمة بن ثابت والذي جعل (ص) شهادته بشهادة صحابيين، حتىُ لُقِّبَ (ذو الشهادتين)!

●لِواءُ الصَّحَابة:

هناك مئات من الصحابة ذوي الأصول اليمنية، وتبوّأ عددٌ كبير منهم مكانات مرموقة وتركوا بصماتهم في تأريخ الإسلام العظيم.

فهل كانت صُدْفة بحْتة أنّ ياسر أول شهيد وزوجته سُميّة أول شهيدة في تاريخ الإسلام، وأن يجعل الرسول ابنهما مقياساً للصواب في مسيرة المسلمين عندما أخبر (ص) بأن عمّارا ستقتله الفئة الباغية؟

الجدير بالذكر أن هذه الأسرة المباركة تنحدر من قبيلة عَنْس المَذْحجية.

●أعلام في طريق الرسول:

لقد وضعت الأقدار في طريق النبي(ص) عدداً من أعلام اليمن، مثل:

–عبد الله بن زيد الأنصاري الذي رأى في المنام صيغةَ الأذان والذي صار شعيرة المسلمن في الدعوة للصلاة إلى قيام الساعة.

–أمّ مَعْبَد القُضاعية التي نزل(ص) ببيتها أثناء هجرته مع أبي بكر إلى المدينة، ومَنَحها معجزةً نبوية عبْرَ شاتِها التي صارت مِعْطاءة بعد أن جفَّ ضرْعُها وهزُل بدنُها!

–أبو الدرداء الذي كان حكيماً بليغاً وممن أوتي جوامع الكلم، لدرجة أن الناس تناقلوا بعض مقولاته على أنها أحاديث، ولقد كان كلامُه يُشبه كلام النُّبوة!

–معاذ بن جبل الذي أَخبره (ص) بأنه يُحبه وولّاه على اليمن، وأخبر بأنه "أعلمُ الناس بالحلال والحرام"، وأنه سيكون قائد صَفّ العلماء في أرض المحشر!

–مُضِيف الرسول (ص) أبو أيوب الأنصاري، فعند هجرة الرسول إلى المدينة تنازع الصحابة على استضافته فأمرهم أن يتركوا ناقته فهي مأمورة، واستقرت أمام بيت هذا الصحابي الذي ظل شُعلةً من الجهاد، حتى ارتفعت روحُه وهو عند أسوار القسطنطينية يحاول فتحها، وضريحُه اليوم أهَمّ مَعْلَمٍ في مدينة اسطنبول مع المسجد الذي بناه السلطان محمد الفاتح وسمّاه باسمه تكريماً له، بعد تحقق بشارة النبي (ص) فيه، حيث ظل جنود الروم يَحرسون قبرَه لعدة قرون!

–سعد بن معاذ الذي حكَّمه (ص) في بني النظير فحَكَم بحُكم الله، وعندما مات اهتزَّ عرشُ الرحمن لموته، كما أخبرنا (ص)!

–حنظلة الأنصاري الذي غسلته الملائكة بعد أن استشهد وهو جُنُب، إذ أجاب داعي الجهاد وهو في ليلة عرسه الأولى.

–المقداد بن عمرو وهو من كبار الصحابة القدامى، وكان من قبيلة قيس المتفرعة عن قبيلة خزاعة، وقد اشتهر باسم المقداد بن الأسود وهو أحد القلائل الذين لم يَنَلْ الشيعة منهم.!

–عمرو بن معد يكرب الزبيدي الفارس الذي لم يشقّ له غبار، وانحدر من قبيلة سعد العشيرة المنتمية إلى مذحج، ولُقبَ بفارس العرب وكان سيفه الصمصامة أعجوبة عصره!

هؤلاء بالطبع مجرد نماذج، مع العلم أن أكثر أهل بدر كانوا يمنيين، وأكثر شهداء أُحُد كانوا يمنيين ومنهم سعد بن الربيع أحد نقباء الخزرج، وأنس بن النظْر الذي لم عرفته أختُه ببَنانه بعد أن شقَ صفوفَ المشركين فمزَّقته سيوفُهم، وعمرو بن الجموح الذي تسابق هو وابنه على الشهادة وأخبر (ص) أنه وطئَ الجنةَ بعَرَجَته كما كان يَحلم!

بُوركتُم..



■■عناقيد الفكر(٨٤)■■

"أَلْوِيَةُ المَجْد اليَمَانيّ(٤ – ٢)"

●لِواءُ القُرّاء:

تحت لواء الهداية الربانية بَسقَ كثيرٌ من اليمنيين في عصر الضياء الذهبي.

فهل كانت مصادفة أن تتحدث أصْدقُ الروايات عن أن الذين أكمَلوا قراءة القرآن على يد الرسول(ص) أربعةٌ كلهم من الخزرج، وهم: زيد بن ثابت، أبو زيد، معاذ بن جبل، أُبيّ بن كعب؟!

–زيد بن ثابت الذي أهّله تفوّقُه في التتلمذ بين يدي النبي(ص) لامتلاك المجد كله، عندما ائْتَمَنَه المسلمون على قرآنهم فأوكل إليه الخلفاء جَمْعه!

–ومعاذ بن جبل الذي اعْتلَى صَهْوة التّدبُّر حتى صار أعلم الصحابة بالحلال والحرام بشهادته(ص)، ولذا أرسله لتعليم أعْلَم شعوب الجزيرة العربية، منبهاً إياه إلى أنه سيأتي قوماً أهل كتاب، وليسوا أُميين كبقية العرب، ولو لم يختطفه طاعون عَمواس وهو في عزّ شبابه لكان له شأن أكبر في تأريخ الأمة.

–وهناك صاحبُ الصوت الملائكي الساحر أبو موسى الأشعري الذي شهد النبي(ص) بأنه أوتي مزماراً من مزامير داوود، وصاحب الصوت الشجي أُسَيد بن حضير، والقافلة كبيرة وحسبنا هذه النماذج.

● لِواءُ المُحَدِّثين:

مثلما استظلّ تحت لواء القرآن عمالقةٌ أفذاذ، فقد برز الكثير من أعلام اليمن تحت بَيْرق السنة النبوية، فحملوا لواءها إلى الناس متجاوزين حدود الزمان والمكان، إذ قاموا بحفظ أقوال المصطفى وتسجيل أفعاله، وبملاحظة تقريراته في قلب تفاعلات الحياة.

ويأتي في مقدمة هؤلاء:

–الصحابي أبو هريرة الذي ينتمي إلى قبيلة دَوْس اليمنية، وكان صاحب ذاكرة جبارة ولم يفارق النبي طيلة سنوات عمره، ولذلك تصدَّر قائمة الرُّواة بفارق كبير عن من تلاه في المركز الثاني.

–وبرز من الأنصار رواةٌ كثيرون ومنهم: أبو سعيد الخدري، أبو قتادة، جابر بن عبد الله، رُفاعة بن رافع، أبو الدرداء، أبو موسى الأشعري.

–وظهر من غير الأنصار عديدون، من أهمهم تميم الداري وهو من قبيلة لَخْم، وجرير بن عبد الله وهو من بَجِيلة.

–وبعد عصر الصحابة برز أعلامٌ كُثُر، وصل بعضُهم إلى درجة الإمامة كعبد الرزاق الصنعاني الذي سافر إليه الإمام الشافعي لطلب الحديث، مُطلِقاً تلك المقولة الشهيرة: "لابد من صنعاء ولو طال السفر!"

● لِواءُ الكرم والجود:

إذا كان العرب عموماً قد اشتهروا بالكرم والجود إلى حدّ السّرَف والسّفَه، فقد كان لليمنيين القَدَحُ المُعلَّى واستأثروا بنصيب الأسد، وما تزال آثار هذه الشّيَم بادية عليهم في هذا العصر، رغم الفقر المدقع وعوامل التعرية الثقافية التي أتت على كثير من المحامد والمحاسن أو انْتَقَصتْ منها.

وأشهر كرماء اليمن وأجوادهم:

–حاتم الطائي :

فإذا ذُكر الكرم تبادر إلى الأذهان حاتم الطائي الذي صار مثلاً في الجود ونموذجاً في الكرم، لدرجة أن ضيفاً جاءه ذات ليلة وكان مُعدِماً، وليس عنده إلا حِصانه الغالي على قلبه، فذبحه بدون تردد، لأن مصيبة ذبح فرسه أهون عنده من أن يأتي ضيفٌ ويخرج بدون عشاء دسم!!

–طلحة الطلحات:

أجمع العرب على أن أكرم العرب قبل الإسلام هو حاتم ابن قبيلة طَيِّئ اليمنية التي استوطنت الشام، وذهب أغلبهم إلى أن أكرم العرب بعد الإسلام هو طلحة بن عبد الله بن خلف وهو من قبيلة خزاعة، ولشدة كرمه لُقِبَ بِ(طلحة الطلحات!(

–معن بن زائدة:

واشتهر من أجواد اليمن مَعْن بن زائدة الذي له قصص عجيبة في الكرم والسخاء ترويها كتب التأريخ والأدب.

–حُجْر الفرد الذي سُميَّ بالفرد لكرمه المتفرد، وهو من وجوه قبيلة كِندة الشهيرة، وله قصص كثيرة مما جعل اليمنيين يلقبونه بالفرد.

●لِواءُ الوَسامَة والجمال:

اشتهر اليمنيون بالوسامة والجمال رغم الدعاية الشعوبية الفارسية التي حاولت شيْطنة اليمنيين وتقبيح اشكالهم، لأنهم سادة العرب والنيل منهم هو نيل من سائر العرب.

وممن اشتهر بهذه الصفة من صحابة اليمن:

–جرير بن عبد الله البجلي الذي اشتهر بوسامته الشديدة وجماله الأخّاذ، حتى لُقِّب بِ(يوسف هذه الأمة)!

–دِحْيَة الكَلبي الذي كان شديد الوسامة والجاذبية، حتى أن جبريل عليه السلام كان يَتَمثّل بصورته عندما يأتي بالوحي، كما أخبر النبي(ص) صحابته، ولهذا اتخذه سفيراً له إلى الملوك!

بُوركتُم..



■■عناقيد الفكر(٨٥) ■■
"أَلْوِيَةُ المَجْد اليَمَاني(٤ – ٣)"

●لواءُ العِرْفان والمعرفة:

انبعث من اليمن عددٌ كبير من الرجال الذين نَحَتوا آثارهم في جُدُر الزمان، وصاروا أعلاماً تَرْمقُهم الأعيُن وتشير إليهم البَنان.

ويتوزعون على كافة مجالات العلم والعرفان وسنكتفي في هذا المقام بنماذج من كَتيبتين:

●الأولى: كَتيبةُ العارفين:

يبدو أن أبرز العارفين في تأريخ اليمن هو التابعي الجليل أُوَيْس القَرَني صاحب الحضور المميز في ذاكرة المسلمين الأعاجم، حيث وجدتُ المسلمين في تركيا وباكستان وأندونسيا وماليزيا يعرفون عنه أكثر مما يعرف اليمنيون، ويحتفون بقصصه ومواقفه أكثر مما يفعل العرب!

إنه التابعي الذي أمر الرسول(ص) صحابته أن يطلبوا منه الدعاء لهم إذا رأوه، وقد ثبت أن الفاروق عمر فعل ذلك وهو الذي ما سلك فجّاً إلا سلك الشيطانُ فجاً غيره!

وورد في بعض كتب الحديث أن النبي(ص) قال عن أويس القرني: "يدخل بشفاعته الجنة مثل ربيعة ومُضر". وينتمي القرني إلى قبيلة مراد التي تنحدر من مذحج.

ويقترب من القرني أبو مسلم الخولاني زهدا وورعا واتصالا بالله، مع فارق أنه انغمس في الحياة العامة وعارض الخلفاء كما فعل مع معاوية أكثر من مرة، كأنه صار ناطقا باسم الجماهير!

وهناك عارفون اشتهروا كأحمد بن علوان وعبد الرحيم البُرعي، وعرفهم الناس بأشعارهم ومريديهم، ولم يشتهر أكثر عُبّاد اليمن، ومن يقرأ كتب الأعلام مثل"صفة الصفوة" لابن

الجوزي، سيجد الحضور اليمني لافتاً رغم أن اليمن ظلت بعيدة عن أعين المؤلفين والمؤرخين، وظل صلحاء اليمن يهربون من الشهرة إلى حد الاختفاء.

وهاجر بعض العارفين اليمنيين ولاسيما من حضرموت بعد أن نجح تجارهم في إقناع بعض الأمراء والكبراء باعتناق الإسلام في جنوب شرق آسيا وشرق افريقيا، حيث جاء كثير من صادقي الصوفية برفقة التجار الذين أحسنوا تَمثُّل الإسلام وتمثيله، فدخلت شعوب إندونيسيا وماليزيا والفليبين وبروناي في الإسلام أفواجا.

وفي إفريقيا ظهرت بَصَماتُ هؤلاء العارفين واضحةً في مسلمي الصومال وزنجبار (تنزانيا) وكينيا وجزر القمر، وصولاً إلى وسط إفريقيا.

●الثانية: كتيبة العُلماء:

لقد عدَّ النبي(ص) اليمنيين أهل كتاب، وأرسل لهم أعْلمَ الصحابة معاذ بن جبل، وشهد بأن "الفقة يماني والحكمة يمانية" بجانب الإيمان.

ومن هنا ظلت اليمن رغم ضعف مواردها بيئةً خصبة للعلم، وتوارثت كثيرٌ من مناطقها وأُسَرِها تقاليد علمية راسخة، حتى اشتهرت بعض المناطق والعائلات بأنها "هِجَرُ علْم"، كما أوضح ذلك القاضي الأكوع في كتابه الرائع "هِجَرُ العلم ومعاقله في اليمن."

وظل الاهتمام بالعلم تقليدا يرافق الكثير من الأُسَر التي أجبرتها الظروف على مغادرة اليمن، فظهر من نَسْلها أعلام كبار في سماء العلوم كافة، كما في اندونيسيا وماليزيا اللتين تضمان مئات الأعلام من ذوي الأصول اليمنية.

●ومن أبرز علماء اليمن:

١–في الفقه:

ظهر فقهاء كثيرون وأهمهم الإمام مالك بن أنس مؤسِّس المذهب المالكي الذي ينتمي إليه معظم مسلمي إفريقيا، وهو الإمام الذي يُضرب المثل بعلمه فيقال: "لا يُفتى ومالك في المدينة!"

فقد كان إمام دار الهجرة النبوية، وكان أستاذاً لعدد كبير من الأعلام أهمهم الإمام الشافعي.

وينتمي مالك إلى ذي أصبح وهي منطقة أو قبيلة حميرية، ولهذا قيل في سيرته بأنه ينتمي إلى ملوك اليمن.

٢-في الفلسفة:

وينتمي أبرز فلاسفة العرب حتى الآن إلى قبيلة كِندة اليمنية، وهو أبو يوسف الكندي الذي يُلقّب بفيلسوف العرب، واختلف فلاسفة المسلمين حول من هو أعظم فلاسفة المسلمين على الإطلاق: الفارابي أم الكِندي، أما على مستوى العرب فهو أبرزُهم بالاتفاق.

٣-في علم الاجتماع:

ينتمي مؤسس علم الاجتماع السياسي عبد الرحمن بن خلدون إلى حضرموت أيضاً، حيث انحدرت أسرته منها وهاجرت إلى الأندلس، وظل ابن خلدون يتنقل بين الأندلس وتونس، وختم حياته في مصر وتوفي فيها، ولذلك وجدنا أسبانيا وتونس ومصر تتنازع على الاحتفاء به وبافكاره، بينما لا يعرف معظم اليمنيين أنه منهم!!

٤-في الشريعة والقضاء:

ومن أشهر علماء اليمن الذين برزوا في الشريعة وتقلدوا مناصب قضائية هامة:

-القاضي شُريح الذي ينتمي إلى قبيلة كِندة واتخذه الإمام علي بن أبي طالب قاضي القضاة في دولته.

-عامر الشعبي الذي اشتهر بالفتاوى اللاذعة والإجابات الساخرة على أسئلة المُتنطِّعين إلى حدّ الإضحاك، على عادة أهل صنعاء الذين انحدر منهم، كما يفعل الآن الشيخ محمد بن إسماعيل العمراني!

–العلّامة رجاء بن حَيَوَة وهو سرّ عظمة عمر بن عبد العزيز، فهو الذي أشار على سليمان بن عبد الملك أن يستخلف عمر من بعده، ثم اتخذه عمر مستشاره الأساسي وجعله يده اليُمنى، وهو من قبيلة كندة العظيمة التي أثْمَرتْ الكثير من الأعلام.

ورغم الظروف السيئة التي مرت بها اليمن واستيطان السرطان الإمامي لها، فقد ظهر في العصور الوسطى والأخيرة علماء عظام كالشوكاني وابن الوزير وابن الأمير الصنعاني والمَقْبَلي والجلال وابن أبي الخَيْر العمراني الذين ملؤوا الدنيا علما، ووصلوا إلى درجة الاجتهاد المطلق، لدرجة ان بعض العلماء عدّ الشوكاني إماماً لمذهب مستقل ومجدداً لعصره.

وفي كل العلوم يوجد يمنيون أعلام ما يزال تراث أكثرهم مطمورا، ويحتاج إلى بحث وتنقيب وإلى دراسة وإبراز.

وحسبنا هذه الإشارات التي تتناسب مع طبيعة هذه المقالات.

بُوركتُم..



■■عناقيد الفكر(٨٦) ■■

أَلويَةُ المَجد اليمَاني(٤-٤)

"لِواءُ المُلْك والشِّعْر"

●توطئة:

تُعدَّ اليمن مهد حضارات العرب، حيث قامت فيها دول قوية وممالك عظيمة منذ فجر التاريخ.

وازدهرت فيها المعرفة قبل وبعد الإسلام، وبرز أعلام من اليمن في مختلف حقول الثقافة، وسنُعَرِّج على مجال الشعر لأهميته عند العرب، حيث ظل لقرون طويلة أهم ميدان يتسابق فيه المثقفون، فيُبْرزون به مواهبهم وقدراتهم، ويُسجلون من خلاله خبراتهم وتجاربهم، ويُسَطِّرون في قصائده مشاعرَهم وانفعالاتهم في الأفراح والأتراح، في المآتم والاعراس، في المراثي والتهاني وفي القدائح والمدائح، حتى تواطأ الجميع على تسميته بِ(ديوان العرب).

● كَتيبةُ المُلْك:

الحضارة اليمنية من أقدم الحضارات، وتضم اليمن القديم قسمين من العرب: العرب العاربة والعرب البائِدَة، والقسم الثالث هو عرب شمال الجزيرة العربية ويُسمون العرب المُستعربة.

ومن أهم حضارات العرب البائدة حضارة قوم عاد التي أشار إليها القرآن الكريم بقوله تعالى: {ألم ترَ كيف فعل ربك بِعَاد إرَمَ ذات العِماد التي لم يُخلَق مِثلُها في البلاد}.

فهي حضارة منقطعة النظير، إذ كان مُلكُهم عظيماً وكانوا أصحاب طاقات وخبرات مبهرة، وكانت قصورهم ومعابدهم ذات أعمدة دقيقة النحت، شديدة الارتفاع، رائعة الجمال، وهذا ما توحي به آية: {إرَم ذات العماد}.

لكن كُفرهم بوَاهِب هذه النعم جَلَب عليهم نِقمته، فأثار عليهم الله رمالَ صحراء الرُّبْع الخالي، خلال سبع ليال وثمانية أيام من الرياح العاتية والعواصف الرهيبة، حتى ابتلعتهم الرمالُ مع قصورهم، ولذلك لا نجد لهم آثاراً في منطقة الأحقاف، لكن صور وكالة الفضاء الأمريكية أكدت وجود آثار ضخمة مطمورة تحت عمق يزيد عن عشرين مترا وتدل عل نشوء حضارة عظيمة، كما أورد د.زغلول النجار في أحد كتبه عن إعجاز القرآن الكريم.

وقامت لهم دول وممالك قبل الإسلام بقرون كثيرة، كسبأ وحمير ومعين وقتبان وأوسان. ولم يتحدث القرآن عن مملكة ويجعل اسمها عنواناً لإحدى سُوَره كما فعل مع مملكة(سبأ)، وتحدث عنها بإسهاب في سورة (النمل)، وأشار إليها في سُور أخرى كالدخان.

ووصل التمدُّن باليمنيين آنذاك إلى حدّ وَضْعهم لامرأة في سَدّة المُلك وهي بلقيس التي أثنى القرآن على رجاحة عقلها، إذ قادت قومَها إلى برّ الأمان، رغم تفويضهم لها عندما استشارتهم: {قالوا نحن أولوا قوة وأولو بأسٍ شديدٍ والأمرُ إليكِ فانظري ماذا تأمرين} [النمل:٣٣].

وقد امتدت هذه المملكة إلى شرق إفريقيا وحكمت الحبشة لآماد طويلة، وربما أتت من هنا مزاعمُ بعض الأثيوبيين بأن بلقيس من ملوكهم، وهذا ما يفسر تشابه اللغة الأمهرية مع اللغة اليمنية القديمة.

وكأن احتلال الأحباش لليمن قبل الإسلام بقليل كان نوعاً من الثأر والانتقام!

ولقوة مملكة سبأ وانتشار نفوذها إلى مناطق واسعة ذهب كثير من المفسرين وبعض المؤرخين إلى أن"ذا القرنين" المذكور في سورة (الكهف) هو من ملوك اليمن، بينما ذهب آخرون إلى أنه الاسكندر المقدوني .

ولأن اليمنيين أهل مُلك وسياسة، فعندما أجْدَبتْ أرضُهم وعجزت عن تلبية حاجاتهم، فإن كثيراً من القبائل التي هاجرت ولاسيما بعد سَيْل العَرِم ودمار سَدّ مأرب، قد حكمت مناطق واسعة في الجزيرة والشام والعراق.

وعلى رأس هذه القبائل قبيلة الأَزْد التي حكم فرعٌ منها عُمان، وحكم فرعُ آخر العراق وهم المناذرة، وحكم الفرع الثالث الشام وهم الغساسنة، حيث تعاقب على حكم الشام سبعة وثلاثون ملكاً غسّانياً طيلة ٦١٦سنة كما تحكي كتب التأريخ.

● كتيبةُ الشِّعْر:

كانت قبيلة كِندة من القبائل التي أقامت لها مُلكاً في حضرموت وعُمان خلال فترات طويلة من الزمن.

ومن قلبها خرج أشْعرُ العرب قبل الإسلام امروء القيس، فهو ابن ملك كِندة وصاحب أول المُعلّقات السّبع، وظل الشعراء عالة عليه فترة طويلة من الزمن.

ومن أشهر شعراء اليمن بعد امرئ القيس:

–حسَّان بن ثابت شاعر الرسول (ص) وهو من الخزرج.

–سَلَمةُ بن الأكوع، صحابي من بني أسلم الذين ينحدرون من خزاعة.

–سُراقة بن مرداس، من قبيلة بارق التي تنحدر من الأزد.

–الطِّرِمّاح بن حكيم، من نُمارة وقيل من طيئ، وكلاهما من اليمن.

–عبد الله بن رواحة، صحابي من الخزرج وهو من شعراء الرسول (ص).

–ومن شعراء الأنصار أيضاً، كعب بن مالك، أبو مالك بن أبي كعب، عامر بن كعب، يزيد بن الحارث وغيرهم.

–كُثيِّر عَزَّة وهو من قبيلة خزاعة.

●إبداع المعاناة:

يبدو أن الشعر الممتاز إنما يَخرج من رَحِم المعاناة حيث الفقر والألم والحاجة، ولا يُولد من بطون الغنى والدِّعَة والرَّفاه.

فلقد تَفوَّقَ العدنانيون بقوة على القحطانيين في الشعر، حتى أنهم استحوذوا على المُعلَّقات العَشْر باستثناء امرئ القيس الذي كان قحطانيا!

ولأن الحال تَغيّر في العصر الحديث وتمّ تبادل المقاعد الاقتصادية والاجتماعية، فقد انتقلت ريادةُ الشعر إلى اليمنيين، ولم نجد في شمال الجزيرة العربية في العقود الأخيرة شعراء بحجم: عبد الله البردوني، محمد محمود الزبيري، عبد العزيز المقالح، لطفي جعفر أمان، حسن الشرفي، وفي الطريق مشاريع عمالقة ولكن نخشى عليهم من الغنى والوَفْرة!!

فهل يؤدي التنعُّم إلى تَرَهُّل المشاعر؟ وهل يتسبب التّرَفُ في جفاف العواطف؟ وهل يؤدي الغنى إلى تَبلّد الأحاسيس؟!

●عِنقاد:

إذا دخل الغنى من الباب خرج الشِّعر من النافذة!

وإذا حَلّت المعاناةُ أذْكتْ المشاعرَ فحضرَ الشِّعرُ من عبقر!

بُوركتُم..



■■عناقيد الفكر(٨٧)■■

"سَبَائِكُ السَّرائِر"

●نَضَارةُ السرائر:

لكي يحتفظ المرء بإنسانيته الرفيعة ولا يَنحَطّ إلى ترابيته الوضيعة، فإن عليه أن يحافظ على نَضارة سريرته ونظافة قلبه، وذلك بتخلية جوانحه من آفات الشرك والرياء، وتطهيرها من أدواء الغِلّ والكِبْر، ووقايتها من سَوَاد الذنوب وأثقال المُوبقات.

●علائق الذات:

كلما تَنقَّت البواطنُ تَرقَّتْ الظواهر، وكلما أشْرقت القلوب استنارت الوُجوه، وكلما صَفَت الجوانحُ أنْصفَتْ الجوارِحُ، وكلما سَنَتْ الجَنانُ سَمَت الأبدان، وكلما صَحَّت السّرائر أَفْصحتْ الألْسِنة.

●ماءُ التوبة:

إن صغائر الذنوب تمثل حدثاً أصغر تَنْتقِصُ من الإيمان، ولابد لها من وضوء الاستغفار، أما الكبائر فهي حدث أكبر يَنقُض الإيمان رامياً بالمرء في سُفوح الإسلام، ولا يمكن أن يعود المرء إلى نواصي الإيمان إلا إذا اغْتسل بماء التوبة النَّصُوح.

●قاعدة القلب:

إن أهم الشروط لاستجابة الدعاء هو قدرة القلب على الإطلاق، بحيث يكون خالياً من شرك الأسباب ومن ران الكُسُوب، زاخراً بجلال الله وجماله، مُترعاً بأَدْهاق الخَشْية.

وبدون ذلك لا يُفيد أيُّ وقت في الدعاء ولا تُجدي أي صيغة، ولا يستجيب أيُّ اسم من أسماء الله الحسنى بما فيها الاسم الأعظم،.

ولهذا ذهب الصوفي اليمني إسماعيل الجَبَرْتي (ت/٨٠٦هـ) إلى أن الاسم الأعظم هو الذي يُستجاب به الدعاء، ونَقل عن بعضهم "أن الاسم الأعظم هو حضور القلب"، وأنه "البكاء عند الدعاء!"

فالقلب إذاً هو القاعدة التي تُطلِق صواريخ الاستغاثة وتنطلق منها قذائف الاستعانة، وعلى قدْر صدق الاستجارة تكون قوة الاستجابة.

●كَنْزُ السّرائر:

أغلى ما في الإنسان هو قلبه، فإنه السّبيكة التي ينبغي تخليصها من الشوائب والمحافظة عليها من الآفات.

ولا يمكن أن يَستوي المرء على أَسِرَّة التكريم الإلهي دون تَنْقية السرائر وتَرْقية الضمائر.

●الغِنَى الرّوحي:

كلما زاد الإقبالُ على (الزاد الروحي) قَلّت الحاجة إلى (الأزواد المادية)، مما يعني أن دِفْءَ الروحِ وطمأنينة القلب من أهم الطُّرُق للشعور بالغنى وتحقيق الوَفْرة المادية، لأنه يُنهي التّكالبَ على الدنيا، ويجعلها موضعاً للتنافس اليدوي بعيداً عن التحاسد القلبي.

●انفصام:

الصوفي الحق هو من تصفو نفسُه من شوائب التراب، وتهفو إلى أشواق الروحِ.

●**عِنقاد:**

كلما تَطهَّرتْ السَّريرةُ تَبارَكتْ المَسيرةُ.

بُوركتم..



■■عناقيد الفكر(٨٨) ■■

"معالم الابتلاء"

●الاضطهاد لا يُغَيّر الحقائق:

حاول الفراعنةُ والكبراء عبر الأزمان طمْسَ الحقائق وحَجْب الوقائع، واستماتوا في محاولة إطفاء الأنوار وإخماد الثورات، وتَفنَّنوا في إثارة غُبار الشبهات وتكثيف أَدْخِنَة الفِتَن، فهل نجح هؤلاء في إطفاء آَشِعّة الشموس وإخفاء نجوم الضياء؟

هل أَفْلَحت مكائدُ أولئك وحروبُهم في وقف تَقدم الحق أو إسقاط أَلْوية العدل!؟

●الاضطهاد سبيل الإظهار:

لا يَكُفُّ أهل الباطل عن المكر بجنود الحق، لكن مَعيّة الله تتكفل بقلْب السّحر على أصحابه وإحَاقَة المَكْر السَّيِّء بأهله.

ولقد تَعرَّض في هذا السبيل الأنبياءُ والفلاسفة والمصلحون للتغييب والتعذيب، فكان الاضطهاد من أهم سُبُل الإظهار، لأنه لَفَت جموعَ الناس إلى حقيقة المعركة ودفعهم لعَقْد المقارنات.

ومن الذين تعرضوا للاضطهاد: محمد(ص) وعيسى عليه السلام، وبوذا وكونفوشيوس، وهؤلاء هم مؤسسو أهم وأكبر الأديان والتي يتبعها أربعةُ أخماسِ البشر!

●خسارة الوقوف أمام السُّنن:

اكتشف الإيطالي جاليليو أن الأرض كروية، وكانت الكنيسة التي تتحكم بأنفاس العباد ومقاليد البلاد، فتَنطق باسم الرب وتبيع صكوك الغفران، كانت تعتقد أن الأرض تقف على قَرْن ثَور، وذهبت إلى أن نظرية جاليليو هَرْطَقَة كُفْرية تستوجب العذاب وولوج النار، إن لم يتراجع عنها.

وتحت سياط الألم الشديد تراجع جاليليو عن القول بكُروية الأرض، وتاب من قوله بأن الأرض تدور، لكن الأرض حقيقة لم تتوقف دقيقةً عن الدوران!

ولم تتوقف عجلة التقدم عن الحركة بتاتاً، رغم أن محاكم التفتيش الأوروبية أحرقت أربعين الف عالم ومصلح ومفكر في القرون الوسطى!

ذلك أن تلك المحاكم كانت تُجدِّف ضد طبيعة النواميس وعكْس مسيرة الحياة السُّنَنية، ومن وقف أمامها جَرَفتْه في طريقها.

الآن يتذكر الإيطاليون والعالم كله جاليليو بإكبار، بينما ذهب من عذَّبه إلى مزبلة التأيخ محفوفاً باللعنات.

●البحث عن فُرَص:

إن اشتداد التحديات يدفع مَلَكات الناس للتفتُّق، ويَسْتحثّها على فتح الأبصار والبصائر لاكتشاف الإمكانات واستسناح الفُرص.

ففي اشتداد المحن على الرسول (ص) وصحابته في مكة كَرْبٌ شديدٌ، لكنها أنْضجتْ وعْيَ المسلمين بضرورة البحث عن إقليم يحتضن الدولة الإسلامية، فكانت المدينة التي تَنوّرت باحتضان الرسول(ص) وباكتناف الدولة الإسلامية لتشرق شمسُها من هذه البقعة المباركة.

وعندما ضيَّق الهندوسُ السُبل على بوذا وتلاميذه في النيبال والهند هاجروا إلى الدول المجاورة ومنها الصين فصار للبوذية شأن كبير في تلك البلدان وصولاً إلى مطلع الشمس حيث اليابان.

وعندما اضطهد اليهود تلاميذ المسيح عليه السلام في فلسطين هاجروا إلى مغرب الشمس حيث أوروبا، فبثّوا دعوتهم في تلك الأرجاء الفسيحة حتى وصل الأثر إلى أحد أباطرة الروم الذي اعتنق المسيحية، وتبعته شعوبُ أوروبا كافة.

وعندما ضاقت مصر بما رحبت على دعوة الإخوان المسلمين هاجروا إلى شتى البلدان، لتنتشر دعوتُهم في حوالي مائة دولة في العالم، وصار أتباعُهم يُعدّون بعشرات الملايين، وهذا هو ديدن الدعوات كافة!

●فلسفة الألم:

لا شكّ أن المحن مؤلمةٌ موجعة، لكنها تؤدي الى الإنضاج المبكّر، فتجعل بصيرة الفكر نافذة وطاقة الروحِ بلا نفاذ، وتُنمّي مَلكات النقد وتُقوّي سواعدَ الجِدّ.

إن ألَمَ المحنة يُشبه ألَمَ الصعود في جبل شامخ، لكنه يؤدي إلى إبصار السهول ورؤية الحقائق، ومن ثم تكوين الرؤى الكُلّية والنظرات الدقيقة، ومن يبخل عن بذل هذا التعب سيعيش أبدَ الدهر بين حُفر الرؤى الضّيقة والآفاق المحدودة.

●التّعلّم من الأعداء:

إن انتصار عَدوّك عليك آنياً يعني أنه يمتلك ما لم تمتلكه ويتفوّق عليك في بعض النواحي.

وكصاحب مشروعٍ لابد لك أن تتعلم منه ما هو نافع، وقد لا يُحسن الكائن أو الكيان التعلّم من عدوه إلا إذا شعر بقَهْره والانسحاق أمامه.

ولقد صرح اليهود بأنهم تَعلّموا من هتلر أكثر مما تَعلموا من موسى، إذ تَعلّموا أن البقاء للأقوى كما صرح بذلك ديفيد بن جوريون مؤسِّس الكيان (الإسرائيلي!(

●عِنقاد:

بفضل المحنة صار شعبُ فلسطين أكثر الشعوب العربية فاعلية!

بُوركتُم..



■■عناقيد الفكر(٨٩)■■

"أقلام الحُرية"

●قيود الأقلام:

أسوأ الأغلال هي التي تُقيّد العقل عن التفكير الحُر، وأسوأ القيود هي التي تَرْسِف فيها الأقلام حتى أنها تعجز عن تسطير أي جديد وانتقاد أي تليد، ولا تجروء على الاكتشاف أو الابتكار.

ويَشتدّ سُوؤُها عندما تُبنى القيود على قناعات داخلية وليس نتيجة سوء فهم أو إكراه.

●أقلام الأقدار:

إن أقلام البشر التي تتشرف بصياغة أقدار الناس، هي أقلام المُفكّرين التي تتمرد على التقاليد وتنتصر على الآصار، فتُعانق هدايات الفرقان، وتنساب مع السنن، وهي التي تنغرس في الواقع وتتمحور حول الإنسان، لتعلمه من جهل وترفعه من ضعة، ولتعزه من ذل وتُوحّده من فُرقة، ولتغنيه من فقر وتنهض به من انحطاط.

إنها الأقلام التي تُثمر أفكار التغيير المنشود، فتصبح أقلاماً لأقدار الله التي تُغير ما في حياة الناس من سوء وضعف، بعد أن تنمحي من عقولهم أفكارُ السوء ورؤى الضعف، وتختفي من قلوبهم مشاعر الوَهْن وأحاسيس القُبح!

●الأقلام السَّحابية:

الأقلام المثمرة هي التي تَنجح في التحليق إلى سماء الفكر الراقي، فتُزاوِج بين النقل والعقل، وتَقرن بين الاهتداء والاجتهاد، وتؤلف بين الأصالة والمعاصرة، لتتكون سحائب من الأفكار الثِّقال، وهي التي يهطل خيرُها على الأرض، وينسكب نفعُها على الخلْق.

●الأقلام الذهبية:

تُقاس قوة كل مجتمع بما يحتويه من أقلام ذهبية، وهي التي تمتلك القدرة على توليد الأفكار الجديدة، الأفكار التي تُمزِّق أغلال التقليد وآصار التبعية، الأقلام التي تُطلق العقول من الأَسْر وتنقذ القلو من الطّبْع.

الأقلام التي تُطلق العنان للمواهب والمَلكات حتى تنطلق، وتُعطي الحُرية للطاقات والقُدرات حتى تَتفجّر، فتَسقي البلاد وتُروي العباد، وتَخْضرّ الأرض وتَزدهر الحياة.

●قلق القلم:

من الأمور التي تساعد اليَراع على البقاء في فضاء الحُرية وعدم انزلاقه إلى التكرار والاجترار وتكريس الواقع العليل، وجودُ مشاعر القلق لدى المرء وعدم الاستكانة لعواطف الرضى أو الرضوخ لأحاسيس الإلْفة والاعتياد.

وفي هذا السياق لابد للمرء أن يتحرر من المألوفات ويثور على العوائد، وأن لا يَهمد في مكان واحد فإنه إن هَمَد رَكَد.

ويُستحبّ له الإكثار من الترحل والتنقل، والاطلاع على تجارب الآخرين، والنهل من الآداب والفنون السائرة في هذا الدرب.



●الإيقاع السريع:

يبدو أن الحرص المتطرف عند الغرب على التجديد، جعل قطاعات منه ترفض كل قديم وتتمرد على كل سلطة، وجعلها تثور على كل ثابت وتعشق كل جديد ولو كان أسوأ من القديم!

وهذا مما يُفسّر ظهو أمور غريبة، كالأفكار العدمية والمعتقدات الغريبة، والميل إلى السحر والشعوذة والإكثار من الخيال كما في أفلام هوليود، والجري وراء التقليعات والموضات في الأكل والشرب واللبس، في الغناء والرقص والموسيقى، في الفنون والآداب، في الرياضة والإعلام، وهذا ما جعل إيقاعات الحياة شديدة السرعة دائبة التغيّر.

●عِنقاد:

بدون وجود القلق الإبداعي وعشق التغيير، لا يمكن أن يُسْهم القلم في صناعة أي تطوير.

بُوركتُم..



■■عناقيد الفكر(٩٠)■■

"نقائضُ العرب"

●المُصيبة العُظمى:

ما يَحلّ بأمتنا من نوازل هي فواجع كبيرة ومصائب عظيمة، لكن المُصيبة الأعظم هي أن مجاميع عريضة من المسلمين لم تَهتزّ لها شَعرةٌ ولم تَسقط لها دمعة، ولم تستفد من هذه المآسي درساً ولم تستخرج عبرة، ولاسيما العرب الذين هم حماة الإسلام ورؤوس المسلمين!

●القَواعِدُ من الرجال:

يتحدث كثير من المسلمين عن أن أعداءهم يتآمرون عليهم ليلَ نهار، ويؤكدون أنهم صُنّاعٌ لأوجاعهم ومُشعِلون لحروبهم، وأنهم ناهبون لثرواتهم وسارقون لأوطانهم، ثم تجدهم يشاركون القواعدَ من النساء في أوضاعهن، إذ لم يتأهّبُوا للصمود والمواجهة، ولم يتأهّلوا للنصر والظفر!

●تناقض الأعراب:

إن أعراب زماننا عجيبٌ أمرُهم متناقضٌ حالُهم، حيث تَجد أكثرَهم لا يعقلون، فأبصارُهم حديدةٌ وبصائرُهم كَلِيلةٌ، قويةٌ أقوالُهم واهنةٌ أفعالُهم، يمتلكون جوارح الأحرار وتَمتلكُهم جوانحُ العبيد!

●اسْتحمارُ العربي:

لقد وصل استرخاصُ العربي عند الاستئصاليين في الغرب، إلى حدّ احتقاره أكثر من الحيوانات التي يقيمون لها جمعياتٍ للرفق بها، ويُنفقون عليها مليارات الدولارات سنوياً،

إلى حدّ أن عرباً ومسلمين يَحسُدونها على ما تَرْفُل فيه من نعيم، مطالبين الغربيين بمساواتهم بها!

ولا نَنسَ أن كل نائبة يتعرض لها شعب أو أمة لابد أنها ذات أسباب داخلية في الأساس، وسنستعين بأمثال العرب الحيوانية هنا لتَجْلية هذه الحقيقة وبيان مصيبة العربي في زمن الانحطاط.

لقد كان العربي في بعده عن دينه: "أنْوَمَ من فهد" و"أعقَّ من ضَبٍّ"، و"أحقدَ من جَمَل"، و"أظْلَمَ من حَيّة"، و"أكذبَ من فاختة"،[طيرٌ يطير بالرطب في غير أيامه].

ولهذا صار"أصبرَ من عَوْد"، [المُسنُّ من الجِمال] و"أذلّ من قُراد"، و"أجْبنَ من صِفْرد" [طائر يَألَف البيوت]

●أَوْعالُ السُّنَن:

ما زال كثير من أبناء أمتنا يُناطحون سُنَنَ الله الجَبّارة بقرون الجهل والغرور، وأَتَخيّل هؤلاء مثل وَعْل الشاعر الجاهلي المعروف بالأعشى، والذي قال عنه في واحدة من أروع قصائده:

كناطحٍ صخرةً يوماً ليُوهنَها
فلم يَضِرْها وأَوْهَى قَرْنَه الوَعلُ

ووعل الأعشى هو ابن عمه يزيد ابن شيبان، أما في حالتنا فإن الأوعال تضم كل من يُجافي النواميس ويصادم القوانين، فإن قرونهم تتكسّر على صَخَرات السُّنن التي لا تتبدّل ولا تتغيّر، ولذلك فإن الواحد من هؤلاء أينما تُوجِّههُ لا يأتي بخير!

●قصفُ الأعمار:

ما يزال متوسط أعمار المسلمين في بعض البلدان دون الخمسين سنة، مما يؤكد أن المسلمين العدو الأول لأنفسهم، فإنهم يُعاقرون البلايا ويتعرضون للمنايا، ولا يَتوَقَّوْنَ عن المهلكات وقواصف العُمْر، وذلك نتيجة الإيمان الجَبْري بالقَدَر، والرضى بالدُّون، والصّبر على الضيم، والإيمان الانسحابي من الحياة، والعلاقة الواهية مع الأسباب!

وما يزال حُكامُهم وكبراؤهم ينتصبون للحُتُوف أعواناً وللرّدى أشياعاً، فضلاً عن أن يقوموا بواجباتهم في حفظ أجسام الناس وحراسة أمنهم، وفي توفير ضرورياتهم وحاجاتهم، وفي صناعة الفرحة لهم وإشاعة البهجة بينهم، فما زال دون تحقيق هذه الوظائف خَرْطُ القَتاد!

●غرائب العرب:

من غرائب أعراب هذا الزمان أن تجد بطونهم متخمةً بالأطعمة وعقولهم خاويةً من المعارف، وأن ترى الأجسامَ عامرةً والقلوبَ فارغةً، وترى الألسنة مُرهَقةً من كثرة الكلام بينما الأيدي كليلةً من طول البطالة!

ومن أشدّ هذه الغرائب أن عقولَهم في سُباتٍ عميق وأهواءهم في سباق مَحْموم!

●عِنقاد:

ما زالت نقائضُ العرب تزداد وانفصاماتُهم تَكبُر، بقَدْر ابتعادهم عن الإسلام فهماً وتنزيلًا!

بُوركتُم..



■■عناقيد الفكر (٩١) ■■

"خَلائِقُ الناجحين"

●بين الاقْتناص والانْتهاز:

المؤمن الحقُّ كَيِّس فَطِنٌ وذكيٌّ نابهٌ، ولذا فإنه يعرف من أين تُؤكَلُ الكَتِفُ ويأتي البيوت من أبوابها!

فهو يُجيد اقتناصَ الفُرص لكنه ليس انتهازياً، بمعنى أن ذكاءهُ ممزوجٌ بأخلاقه، ومن ثم فإنه لا يصطاد في الماء العَكِر ولا يركب على أكتاف الآخرين، ولا يمكن أن يُحقق آماله على حساب آلام الموجوعين أو يَصنع انتصاراته على حساب انكسارات المظلومين.
إنه يَقتنص الفُرص المشروعة ولا ينتهز الفرص المُحرّمة، لإدراكه أن الغاية لا تُبرر الوسيلة، ولأن النجاح بدون أخلاق سقوط مريع!

●فَناراتُ المَرَافئ:

تعاني بلداننا من جَزْرٍ في الهداية ومَدّ في الغواية، وصارت طرقاتنا غارقة في الظلام بسبب ضعف قناديل الإرشاد، وتَعُجُّ مجتمعاتنا بالحيارى الذين يَلعنون الظلام بينما شُموعُ رُؤوسِهم منطفئة!

وصارت أكثر مراف المسلمين بلا فَنارات، بل صارت بعض المساجد بلا منارات روحية رغم سموق مناراتها المادية.
إن مسيرة الأمة تفتقد لبوصلة الاستقامة، ويتنازع أبناؤها حول خارطة السير، ويتصادمون في مفترقات الطُّرُق.

وفي الأفق تلوح قناديل الهداية ومصابيح الضياء، رغم أن سُدَفَ الظلام وأمواجَ الليل تحاول حَجْبها بكل ما أوتيت من مكْر وقوة.

●جَنين التغيير:

إن (جَنينَ التغيير) المنشود يبدأ في (جَنانِ الإنسان)، عندما تتغيّر أفكارُه الخاطئة وتتبدّل مشاعرُه السلبية، وعندما يمتلك إرادة التغيير وعزيمة الانتقال مما هو كائن إلى ما يجب أن يكون.

●بين العِصابة والعُصْبة:

لا تستطيع أن تُواجه(عصابةَ الباطل) إلا (عُصبةُ الحق) التي تتوحَّد حول مصدر الاستنارة والتوجيه، فتعتصم بالقرآن الكريم وتُوحِّد الغاية العظمى، تتكامل في التخصصات والفروض الكفائية وتَتنوّع في الوسائل والأساليب.

وبذلك تَصُبّ الطاقاتُ كلها في ذات المَصَبّ، الذي ينطلق من قواعد الحق نحو تحقيق ضروريات الخَلْق.

●إعْذارُ الأسبقين:

مع إن الإعذار خُلُق مطلوب دوماً، لكنه يكون أَوْجبَ مع مالكي أقدام الصدق وأهل سوابق الفضل، ومع أصحاب المكانات الرفيعة وأهل الإمكانات المُميَّزة.

ولهذا راعى صلى الله عليه وسلم قَدَمَ الصِّدق التي قدّمها الصحابي حاطب بن أبي بلتعة في بدر وأسبقيته الإيمانية، ولم يُطبّق عليه عقوبة الخيانة العظمى التي كان يُريدها عمر، قائلاً: "وما يدريك يا عمر، لعلّ الله قد اطّلع على أهل بدر فقال: اعملوا ما شئتم فقد غفرتُ لكم!"

●نِسْبِيّة الحَرير:

يُضرب المثل بالحرير في النعومة واللين، ورغم ذلك فإن نعومته ليست مَحْضةً خالصةً، فمنه الناعم وهو السندس والغليظ وهو الاستبرق، فهل نَتوقّع ثَبات الناس في كل الظروف؟!

●عنقاد:

إن أخلاق النّدى تمنع من السقوط في مَهاوي الرّدى، فقد جاء في الحديث الشريف أن: "صَدَقَة السّر تمنع مصارع السوء."

بُوركتُم..



■■عناقيد الفكر(٩٢)■■

"مَجَانِي المَنْهج"

●مشكلة المشاكل:

إن مشكلة المشاكل في الجانب العلمي هي غياب البحث، إذ لا يمكن حلَّ كثيرٍ من مشاكلِ بلداننا، قبل أن نَحُلّ مشكلة البحث العلمي ونعطيه ما يستحقه من الاهتمام المادي والمعنوي، حتى يستقيم على عُودِه ويسير على قدميه، ليبحث بوعيٍ ودَأَبٍ عن معالجات لمشاكل المجتمع في مختلف حقول الحياة.

●أجْنِحَةُ الرَّفْرَفَة:

لا يمكن للأفكار أن تتحرر من قيود التّطويع وأن تُرَفْرف في سماء التطوير، ما لم تَتسلّح بسلاح المنهج العلمي السليم، وما لم تمتلك أجنحة الحرية والإرادة والاختيار.

● كفاءة المنهج العلمي:

يكون المنهج العلمي أكثر كفاءة، كلما نجح في إثارة عدد أكبر من الأسئلة، وفي رَسْم طُرُق واضحة للوصول إلى إجابات مُقْنعة.

●قَنْطَرةُ المنهج العلمي:

إن المنهج العلمي هو قنطرة العبور من الفوضى القائمة والتخلف الحاضر إلى النظام المطلوب والتقدم المنشود، لأنه يَمتلك الغِرْبال الذي يضبط الاقتباس، فيَسْتبعد الغَثّ ويَسْتبقي الثمين، يأخذ الحَسَن ويترك القبيح، سواء كان من التراث أو من الآخر.

وفي قراءة آيات الأنفس والآفاق يستطيع المنهج السليم استثمار كل شيئ لصالح النهوض المطلوب، حيث يُنظِّم الرحلة إلى طاقات الذات وإلى آيات الكون، وِفْقَ بصائر الحقّ وقناديل الحقيقة، وبما يُحقق المصالح ويحارب المفاسد.

●انتقام الاقتباس:

عندما نقتبس من الحضارة الغربية ما نعتقد أنها تُحقّق حاجاتنا، ينبغي أن نُكَيِّفَها بما يضمن انغراسها في منظومة الثقافة الإسلامية.

بهذه الطريقة يُذْكي الاقتباس حركة المجتمع نحو التقدم.

أما إذا قُمنا بتكييف ثقافتنا لصالح الفكرة المُقتَبسَة، فسنكون كمن يقطع الشجرة حتى يُلَقِّحها، وعندها سيصبح الاقتباس شرارة نار سرعان ما ستُتْلِف تلك الشجرة!

●عِنقاد:

كيف نَطمعُ في تحقيق النّجاح والنَّجاعَة، ونحن نعالج مشاكلنا الجديدة بطرائق قديمة؟!

بوركتم..



■■عناقيد الفكر(٩٣) ■■

"معارِجُ السّماء"

●معراجُ الصُّعود إلى السماء:

الإنسان هو المعراجُ لمن أراد الصعود إلى الله، فهو ابتداءً الرابط بين السماء والأرض، بسبب عُنصُرَيْه الطينيِ والروحاني، وهو غاية العبادات كلها، ففي النهاية لن يجد أحدٌ اللهَ في الصلاة إن لم يَجِده عند الفقراء، ولن يجده في الصيام ما لم يجده عند الجائعين، ولن يصل إليه في الحَجّ ما لم يَذهب إليه عند المحتاجين!

●إلى الباحثين عن الله:

لا تُرْهِقوا أنفسكم بالبحث عن الله بالصيام والقيام الطويلين، فإنه سبحانه حاضر عند الذين بَدَّد الفقرُ شملَهم، ولو رفعتم عنهم الفاقةَ وجمعْتم شملَهم تحت سقف الكفاية والكرامة لوجدتم الله هناك يَكْلَؤكم برعايته!

إنه موجود عند المُنكَسرين الذين أذَلّتْهم الأيامُ ومزَّقتهم النوائبُ، ولو سقيْتم ضَمأَهم وجَبَرْتم كَسْرَهم لوجدتم الله يَمُدّ يدَه الرحيمة إليكم!

الله موجود عند الضعفاء الذين استَعْبَدتْهم الضّروراتُ، واسْتَبدّتهم الديكتاتوريات، وأوْهَت قُواهم المصائب، ولو رَتَقْتم فُتُوقَ ضعفهم وجَفَّفتم منابعَ ذُلِّهم، وأعطيتموهم مما أعطاكم اللّه من أكاسير الحياة، فداويتم عِلَلَهم وبَلْسَمْتم جراحَهم، لوجدتم الله يَرفعكم إليه، فيُحيي قلوبكم ويُمدّكم بإكسير الحياة الأبدية!

●إعجاز:

وردت كلمة "عَمِلُوا" بهذا اللفظ ٧٣ مَرّة في القرآن الكريم، وهو العدد الراجح لشُعَب الإيمان، كأن المسلم لابد أن يدخل على الإيمان من سائر الشُّعَب حتى يُصبح مؤمناً كاملاً!

وإن مُفارَقَة شُعَب الإيمان يؤدي إلى مُقارفة أضدادها مما يُثمر الكبائر، وهي بهذا العدد في أرجح أقوال العلماء، كما فعل الإمام الذهبي في كتابه (الكبائر)

.

●كَونُ المؤمن:

المؤمن كَونٌ كاملٌ، يَتّسعُ لكتاب القرآن وكتاب الكون وكتاب الإنسان.

وكما قال د. محمد إقبال فإن "المؤمن لا يَضيع في الكون، وإنما الكون يَضيع في المؤمن!"

●الإنسان الرّباني:

يستمد المؤمن خرائط حياته "من الله "، ويستعين على الإبحار في محيطات العبادة "بالله"، ويستمتع بمشاعر العيش "مع الله"، ولا يَكُفّ عن السير "إلى الله"، ولا ينسَ أن يجعل حركاته وسكناته في الحياة "من أجل الله."

فهو بالله عزّ وجلّ، ومنه، وإليه، ومن أجله، فكيف لا يكون من هذا حالُه ربّانياً ؟!

●إن قلوبكم لَشَتّى:

هل يستوي أيها العقلاء (رقيقُ المشاعر) و(رقيعُ الطّبعُ؟(

هل يستوي (الحسّاسون) لمواجع الناس و(الجسّاسون) على عوراتهم؟

هل يستوي أصحاب الجوانح المُتألّقة بأنوار السماء، وأصحاب الدواخل المُتأَجّجة بنِيران الأحقاد وشَرَر الأضغان؟

هل تستوي الضُّلوعِ التي تَكتنز التّضرّعَ لله عزّ وجلّ، والصدور المليئة بالصّدود عن الله؟
هل تستوي القلوب الحَريرية السمحاء والقلوب الحَديدية الصّمّاء؟
هل تستوي القلوب المُتزيّنة بالبياض الناصع والقلوب المطمورة بالسواد الحالك؟
ما لكم كيف تَحكمون؟! وأنى تُخدعون؟!
فتَذكّروا دائماً أنه لا يَتذكّر إلا أولو الألباب!

●عِنقاد:
إذا خلُصَتْ النّوايا وحَسُنتْ السّجايا، فإن إمكانيات الصعود إلى العلياء تُصبح وافِرةً.
بُوركتم..



■■ .عناقيد الفكر(٩٤)■■

"نُجُومُ الغِوَايَةِ"

●انقلاب:

عندما يَغرق أيُّ مجتمع في ظلمات التخلف، فإن النِّعم تنقلب عنده إلى نِقَم، وتستحيل الآلاء إلى أرْزاء، وتتحوّل معالم الهداية إلى أعلام غواية.

وأبرزُ مثال على هذا مكانة الفنانين والممثلين، فإنهم في المجتمعات الحَيّة من أهم لَبِنات البناء الحضاري لكنهم في مجتمعاتنا من أخطر معاول الهدم!

●التّعلُّق بالنّجوم:

يُطلِق الأعراب على الممثلين والمطربين المشهورين مصطلح "النجوم"، ولا يختلف عاقلان حول أن العرب يعيشون في ظلام الظلم العميم، وغَسَق الشّرّ الوَاقِب.

ولأن الشعوب الغريقة تتعلَّق بقَشّة، فإن مجاميع من أمتنا ترى في قَشّاتِ الفن نجوماً تتعلق بها، هرباً من الغرق في محيطات الإحباط ومُستنقعات اليأس!

●سقوط النجوم:

يُحلِّل علمُ النفس حالة الشعوب التي قُهرت بعد حُرّية، وذُلّت بعد عزّ، وهُزمت بعد انتصار، وضعفت بعد قوة، بأنها تلجأ إلى التعويض النفسي، وذلك بصناعة نجوم وَهْمية تُعوّضها عن شموس الحرية وكواكب العدالة، ولو كانوا على شكل فنّاني السقوط في أوحال الخطيئة!

●غواية التمثيل:

يُجيد الممثلون في المجتمعات الناهضة تمثيل شعوبهم، نتيجة امتثالهم لثقافتها وتَمثّلَهم لأخلاقها.

وفي مجتمعاتنا السقيمة يندفع أكثر الممثلين للتمثيل على شعوبهم والضحك عليها، وللتعاون مع حكام الجور الذين يُمثِّلون بطلائعها الحُرّة ويَعبثون بثقافتها الحَيّة!

●نجوم الغواية:

تقول الحقائق المُرَّة بأن مجاميع من أمتنا ذهبت ضحية يأسها وقنوطها، وسقطت في شِراك الإعلام الماكر، الإعلام الذي شَوّهَ نجوم الحقيقة وفَراقِدَ التضحية، ورماهم في غَيَابَاتِ التجاهل وغَياهِب النسيان!

ولذلك فإن جموع الجهل التي صَيَّرها الإعلام المجرم قطعاناً بشرية تُقاد من خُطام غرائزها فتنقاد، قد لجأت إلى الفنانين الذين أشبعوا رغباتها المطمورة!

وبدلاً من التعلق بالأدوار الرائعة التي مثّلوها فقد تَعلّقوا بأشخاصها، معتبرين إياها نجومهم التي بها يهتدون، مما وسّع مساحة الغواية!

●(الإمام العادل) و(عادل إمام):

لا شك أن أغلب حكامنا قد تَرَبّوا على أعين الغرب الذي اصْطَنَعَهم لنفسه، أو صعدوا إلى كراسيّهم بإرادته وإدارته، ومن ثم صاروا أمثلةً للتبعية العمياء ونماذج في الطاعة الصماء للغرب!

وعندما قام ممثلون بارعون بتمثيل أدوار في المعارضة الشجاعة للظلم ونقد الظواهر السلبية، وفي تجسيد معارضة ما هو كائن وإبراز ما يجب أن يكون، فقد انصرفت مَلَكة التّأسّي عندهم من الزعماء إلى الفنانين!

وأبرز مثال لذلك هو عادل إمام الذي لعب دور البطل في مسرحيات عدة ك(الزعيم) وفي أفلام عدة مثل (الارهاب والكباب)، فاكتسب عند الجماهير المتعطِّشة للقيادات الشُّجاعة مجداً ليس لكثير من الزعماء منه إلا النزر اليسير!

وهكذا فإن مجاميع من الأمة عندما وجدت خانة (الإمام العادل) فارغةً تشكو الخَواء، أدخلت فيها (عادل إمام)، كنوع من التعويض النفسي، وهي صورة من صور الاحتجاج التي تطفو دون شعور من العقل الباطن!

●عِنقاد:

عندما افْتَقد الناس (بُدُورَ الهداية) في الليْل البهيم، ولّوْا وجوهَهم شَطْرَ (نجوم الغِواية!)

بُوركتُم..



■■عناقيد الفكر (٩٥) ■■

"إيقَاعَاتُ الحُروف"

●نَارُ الرّان:

في حديث القرآن الكريم عن المُطففين مع الخلق، وعن المُكذبين بيوم الدين الذي أَخبَرَ به الخالقُ، وضَّح مَكْمن الخَلل الذي جعلهم مُجرمين، فقال تعالى: {بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون}.

والرّان هو ما يَصْدف على القلب من غلاف فيَطْبعه بالقَسْوة ويَغْمره بالسّواد، ثم يَحجُبُه عن الخالق ويَمنع رحمته عن الخلق، كأن الرّانَ يصبح ناراً تُحرق بواعث الخير في القلب، وتُطفئ بوارق النور في الصدر.

والعجيب أن كلمة (ران) إذا قُرئت مقلوبةً تُصبح (نار)، كأن الران يقوم بمهمة النار في الدنيا ويقود صاحبه إلى نار الآخرة!
وتتأكد هذه الرؤية إذا تَذكّرنا أن للشيطان نصيباً وافراً في دفع الإنسان نحو الخطايا والآثام التي تَطبع على قلبه، وهو مخلوق من النار وقد أَقْسَمَ بالله أمام الله أن يَحْتنكَ ذُرّية آدم ويوردهم النار!

●صِغار الصَّغَار:

من يَقبل التعايش مع مفردات (الصَّغَار)، فسيظل عمره كله من(الصِّغار) ولن يبلغ مبلغ الرجال، لأن الرجولة تَقْتاتُ على قيم الحرية والعزة والإباء والمَنَعَة، ولا يمكن أن تنمو في ظل أعاصير الضّيْم والخنوع والإذلال والاستعباد!

●أبطالُ الإبطال:

تتحدث أَلْسِنةُ الواقع المُتحرّر من الزَّيف أن الأبطال هم من يُبطِلون الأباطيل ويَمْحُون الأراجيف، وأن الكبار من يتصَدّون للكبائر والأساطين من يُزهِقون الأساطير، حيث يُمثّل هؤلاء جميعاً كتائب الحق ويُشكلون أَلْويَة الانتصار للحقيقة.

●الأَكِنّة والَأكْنَان:

لقلوب المنافقين (أَكِنَّة) تُقفلها عن الفقه، ولقلوب المؤمنين (أكْنانٌ) تحميها من العوارض وتَسْتَحثّها على التّفَتّق والإشراق!

ويبدو أن الفرق بين الأكِنّة والأكنان كالفرق بين قلوب المؤمنين وقلوب المنافقين أو بين الحياة والموت، فالفرق بسيط في الجانب المادي المحسوس، لكنه كبير جداً في الجانب المعنوي الملموس!

●الإشْراقُ والإحْراق:

تَسكُن في قلوب المؤمنين أنوارُ الله، وتَسْطُعُ عليها أشعّةُ الوحي فتصير شديدة الإشراق. وتَحلّ الشياطين في قلوب المنافقين والكافرين، فتصيبها بنيرانها حتى تصير شديدة الإحراق!

●سُنبلة:

من لم (يَنْسَلِك) في صراط الله المُستقيم، فإنه بالضرورة (سيَنْسلِخ) إلى سُبُل الشيطان الرجيم!

●نفادُ النّفَاذ:

جعل الله الدنيا زاداً من أجل (النفاذ) إلى الآخرة، لكن كثيرين استهلكوا هذا الزاد بقلوبهم حتى (النفاد)، بمعنى أنهم صيَّروا الدنيا غاية لا وسيلة، وبدلاً من انهماك المسلم في عمارتها انهمك في عبادتها!

●إعراض الأعراض:

إن السعي المحموم لحيازة (الأعراض) الدنيوية، بحيث تصير أكبر الهموم وأسمى المقاصد، سيؤدي إلى(الإعراض) عن الآخرة، وهو إعراض عن الله بالضرورة، ومن ثم فإنه سَيْرٌ في دروب الشقاء ومُجانَبَةٌ لأسباب السعادة، وإنه معاقرةٌ لسُنن الضّنك وحيازة لعوامل العمى، قال تعالى: {ومن أَعرضَ عن ذِكري فإن لهُ معيشةً ضنكى ونحشره يوم القيامةِ أعمى}.

●عنقاد:

كلمة الشِّرْك تتكوّن من شر +كافْ الكُفر بِوحدانية اللَّه!

بُوركتُم..



■■عناقيد الفكر (٩٦) ■■

"غَوائِلُ العَقل"

●مَوْتُ التفكير:

إن اعتياد الظواهر الحياتية وإلْفَةَ الآيات الكونية عَدُوّان لدودان للعقل، لأنهما يُعوِّدانه على التنميط والقَوْلبة، ويُفقِدانه القدرة على الاكتشاف والاندهاش.

وعلى المدى البعيد تَضْمُر مَلَكاتُه الخيالية والتحليلية، وتذوي مواهبه الاستنباطية والاستقرائية، وقد يُصاب بالتبلُّد وتموت قدراته التفكيرية!

●التفكير العاجي:

هو التفكير المُنبَتّ عن الواقع والنّابت في أرضية الرؤى المثالية، حيث يَنْصبُّ التفكير على ما يجب أن يكون دون الْتفاتٍ إلى ماهو كائن وما يمكن أن يكون.

حيث يَميل المُفكّر في نمط تفكيره هذا إلى التجريد البعيد عن الواقع، ولا يتطرق لإمكانات التجسيد أو يبحث عن آليات التطبيق!

●نِسْبيّةُ الألوان:

من أهم غوائل العقل تجاهل ظاهرة النسبية والميل إلى المُطْلَقات، مع أن النسبية قانون من قوانين الحياة، فالألوان الزاهية تعبيرٌ عن الجمال والكمال، وصانعةٌ للدهشة والمتعة.

غير أن الألوان في بعض الأحوال قد تكون عرضاً من أعراض المرض، كاتشاح العضو المصاب من جسم الإنسان بالسَّواد، ويمكن أن تكون مظهراً من مظاهر فساد الشيء كما يحدث للحليب حينما يفسُد أو الماء عندما يَتعكّر ويَركُد!

●غُبار المَدْح:

يبدو أن الرسول صلى الله عليه وسلم أمر بحَثْوِ التراب في وجوه المَدّاحين، لأن مدحهم يُلبّد الأجواء الصافية بِغُبار الزّيف، ويَذرُّ الرماد في عيون الناس، مانعاً إياهم من رؤية الحقائق كما هي ومن معرفة الناس على طبيعتهم!

وكأن المدح من الغوائل التي تمنع التفكير السوي، حيث يتسبب بتقدم الشخص على الفكرة، وتَغلّبِ العاطفة على العقل!

وهناك علّة مرتبطة بالممدوح، وهي أن كثرة المديح الحق، فضلاً عن الزائف، قد تؤدي إلى زَيَغ الممدوحِ على المدى البعيد، حيث تستيقظ داخلَه كَوامِنُ التراب وطبائعُ الطين، فتَقصمَ ظهرَه وتَقطع عنقَه، كما ورد في بعض الأحاديث.

●تعطيل العقل:

إن تعطيل العقل جواز ديبلوماسي للدخول إلى جهنم !

وإذا كان قد صَحَّ بأن رسول الله صلى الله عليه وسلم اطلع على النار فرأى أكثر أهلها من النساء، فإن ذلك من ثمار هذا الداء الوبيل وهو تعطيل العقل، حيث تميل كثير من النساء إلى تغليب العواطف على حساب التفكير السّوي.

فالعواطف الخالية من العقل تعصف بأصحابها بعيداً عن جادة الحق، وتنحرف بهم عن الصراط المستقيم!

●غفلة التشتت:

عندما يَغفل العقل عن القيام بوظائفه في التفكير بآيات الله والاعتبار بالمصائر، وعن التَدَبّر لبصائره والتّبَصّر بآلائه، تَحْدث له (استنامة عقلية) تتسبب غالباً في (يقظة الأهواء) التي تصْنع الشتات، قال تعالى عن اليهود: {تحسبهم جميعاً وقلوبهم شتى، ذلك بأنهم قوم لا يعقلون} [الحشر:١٤].

إن مفهوم الآية يشير إلى أن التفكير الجمعي ضمانة من الأهواء التي تُفرّق القلوب!

●عِنقاد:

إنَّ (أَخْرقَ) العقل من (يَخْترق) السّنُن و(يختلق) الأكاذيب.

بوركتم..

■■عناقيد الفكر(٩٧)■■

"دُروسُ الطُّيُور

"

●مدرسة الطيور:

رغم أن الإنسان سيد الكائنات، نتيجة التّفضيل الرّباني والتّسخير الرحماني، إلا أن حفاوة التكريم لا تنفي ضرورة التعلم من كل شيئ حتى ولو كان دونه، حيث يتتلمذ الإنسان على أيدي الحوادث، ويتعلم مما تَفُوهُ به ألْسِنةُ الأقدار، ويقتبس كل نافع من سائر الكائنات بما فيها الطيور.

فقد تعَلّم ابن آدم الأول من الغراب، واستفاد النبيّ سليمان عليه السلام من أحد رعاياه، وهو الهدهد الذي لم يجد حرجاً في أن يقول للنبي المَلِك: "أحَطْتُ بما لم تُحِط به وجئتك من سبأ بنبأ يقين."

وذلك لإدراكه أن الحكمة ضالة سليمان الذي وقف احتراماً للنملة، وضحك من قولها وربما تَعلّم منها درس الإعذار!

●درس العصافير:

في آيات الطيور تقول الحقائق المشاهدة إن العصافير من أقصر الكائنات عُمراً، وأرْجَع العلماء ذلك إلى كثرة تَسافدها.

وفي عالم الإنسان ثبت أن المجتمعات التي يَشيع فيها الفساد الأخلاقي، ويَكثر فيها الانحراف، ويبتغي الناس فيها تحقيق المتعة من كل الطرق وبشتى الوسائل، مجتمعات مُعرَّضة للكثير من العلل التي تُهدد حياتها وللأسقام التي تَقصف عمرها.

●درس التوكل:

أَلْهَمَ اللُّه الطيرَ أن تأخذ بالأسباب مع اتكالها عليه وتسبيحها له، فإن تسبيحها لله لم يشغلها عن طلب الرزق، وتوكلها عليه لم يغوها عن الأخذ بالأسباب، لذلك جعلها الرسول صلى الله عليه وسلم درسا متجذِّراً ومتجدداً في تَعَلّم حقيقة التوكل على الله بجانبيه السببي والكسبي، حيث قال (ص): "لو توكّلتم على الله حقّ توكله لرزقكم كما يرزق الطير، تَغْدو خِماصاً وتَرُوح بطاناً."

●درس الوحدة:

رغم أن الطيور كائنات غريزية صرفة مثل سائر الدواب والهوام، إلا أنها درس منظور في أهمية الوحدة، حيث تعيش في جماعات صغيرة ولا تعيش منفردة وتبني أعشاشها بطريقة متكافلة.

وعندما تسافر مسافات طويلة تطير في أسراب كبيرة، مما يحميها من الأعداء ويوفر لها الوقت والجهد، كما أثبتت الدراسات العلمية!

ولما كان التغريد خارج السرب ذا خطر محدق، فقد استدعى بنوا الإنسان هذه العبرة السلبية إلى حياتهم، حيث يقولون عن الشاذ على الجماعة بأنه "يُغرّد خارج السّرب" حتى أصبحت حكمة جارية.

●عبرة الحرية:

لا يمكن للطائر المحبوس في القفص أو المكسور الجناح أن يطير، والعجيب أن البشر يصنعون لأنفسهم أقفاصاً حديدية من التقاليد التي ما أنزل الله بها من سلطان. وتقوم حكومات الاستبداد ولُوبيات الفساد بكسر أجنحة المسلم ثم تطالبه بالتحليق في سماوات الأوطان.

ويمكن القول بأن السبب الرئيسي لهزائم المسلم المعاصر هو أنه يواجه أناساً يُحلّقون في سماوات الحرية ويَطيرون بأجنحة العدل، بينما هو مكسورُ الجناح بفؤوس الظلم أو قابعٌ في سجون التقاليد ومُقيّدٌ بأصفاد العوائد.

●عِبرة النَّعامَة:

يُضرب المثل في تجاهل الأخطار وعدم الاستعداد لها بالنَّعامة التي تضع رأسها في التراب عندما تشعر بالخطر!

لكن العبرة الأهم من النعامة هي أن الضخامة ليست ظاهرة صحية دائماً، فهي أكبر الطيور لكنها لا تستطيع الطيران بجناحيها!

●عنقاد:

ليس المُهم أن يكون الطائر أسودَ أو أبيضَ، وإنما المهم أن يطير!

بُوركتُم..



■■عناقيد الفكر(٩٨)■■

"مُفارَقاتُ الأموال"

●انفصام المُثقَّف:

المُثقّف العربي شديد الانفصام، فقد أشْبعَ الآذان كلاماً وأَجَاع العيونَ التي لا ترى إلا فُتاتَ الأعمال وأطلالَ السلوكيات!

إنه قد يَضرب أولادَه أو يُكمّم أفواههم حتى يتمكن من كتابة مقال عن الحرية أو عن تربية الأطفال! وقد يطرد زوجته من البيت حتى يتفرغ لكتابة بحث عن حقوق المرأة أو الأسرة السعيدة!

وقد ينهب أو يسرق أو يَتسوّل من أجل طباعة كتاب عن الشّرف والنزاهة!

ورُبّما سَلَك طرقاً مُلْتوية وتَذرّع بوسائل غير مشروعة حتى يصل إلى قُبّة البرلمان من أجل محاربة الفساد!!

●خديعةُ الوَرَع:

أسوأ الناس مُنقلَباً وأخبثُهم مكسباً، من يخدعون الناس بدينهم ليأخذوا منهم دُنياهم فيجعلون (الدين) مَطيّة لكسب (الدنيا)، ومن يُظهرون للناس (الورع) فإذا اطْمأنّوا إليهم (رَتَعُوا!)

وربما كان هؤلاء مَن عناهم محمود الورّاق بقوله:

أظْهَروا للناس ديناً

وعلى الدِّينار داروا

وله صاموا وصلّوا

وله حجّوا وزاروا

لو بدا فوق الثُّرَيا

ولهم رِيشٌ لطاروا!

●كبيرةُ الزُّهد:

من غرائب الخَلْق عصيانُهم لله في سياق الحصول على رزقه!

والأغرب ممن يعصي الله في سبيل (الغنى) مَن يَعصونه في سبيل (الفقر)، حيث يَتركون معانقة الأسباب ويَقعدون عن اجْتراح الأعمال، يَلجؤون إلى ممارسة البطالة ومُعاقرة العطالة، ويزعمون بذلك أنهم عابدون زاهدون!

●مساوئ الفقر:

من مساوئ الفقر أنه يهدمُ حِجاب التصنُّع ويَهتك أرْدية التّستُّر، يُذيب مساحيق التجمّل ويثير طبائع التراب.

ويَبعث الفقرُ أخلاقَ الباطن الرديئة، والتي تحاول التربية والتزكية تسخيرها لصالح التّرقي بالإنسان!

●نَشْوَةُ الرّشْوَة:

يَشعر الفاسد بالنّشْوة عندما يأخذ الرّشوة، حيث استحلّ أخْذَها واستطاب أَكْلَها، وأدْمَنَ عليها حتى استمتع بها وصارت مُدَامتَه!

●هَدْر السُفهاء:

من يتعاملون بسَفَهٍ مع الأموال والطاقات، فإن سوء تدبيرهم شؤمٌ عليهم، إذ لن يُبْقُوا على طاقاتهم ولن يَروا ما صرفوها من أجله، كما قالت العرب لامرأة سفيهة منهم: لا ماءكِ أبْقَيتِ ولا دَرنَكِ أنْقَيتِ!

●عنقاد:

سجَّل مسلمو زماننا أَسْوأَ المُفارقات في عالم الأموال، إذ أن أغنى مجتمعات العالم إسلامية وأفقرَها إسلامية!

بُوركتم

■■عناقيد الفكر(٩٩)■■

"رَزَايا الِازْوِرَار! "

●قِمَمٌ وقِيعان:

إن البَوْن شاسعٌ بين الإسلام بكل ما فيه من عظمة وجمال وإعجاز، وبين المسلمين بكل ما فيهم من ضآلة وقُبح وعَجْز!

فالإسلام يُوفر قِيَم السّير في دُروب التّقدم، بينما يَزحف المسلمون على بُطونهم في قَوارِع التخلف!

يمتلك الإسلام معادلات العروجِ في سماواتِ النَّجابة والحضارة، لكن المسلمين زاهدون فيها، غارقين في قيعان البَلاده والبَداوة!

في ثنايا تعاليم الإسلام تَكْمُن خرائطُ عِمارة الأرض وصناعة الحياة، لكن المسلمين أَعْطَوْها أدْبارَهم فصاروا يَخبطون خَبْطَ عَشْواء، تائهين في قفار الأرض، تتلاطمُهم أمواجُ الضلال!

وكلما تَغلْغَلْنا في نواحي الحضارة، وجدنا الإسلام يَمتلك سَلالِمَ الوصول إلى القمم العالية والذُّرى الرّفيعة، لكنّ مَن حَملوا اسْمَه ورسْمَه ولم يَحملوا هداياته ومضامينه يَقْبعون في القيعان!

●مملكة وعبيد:

يمكن تَشبيهُ الإسلام بأنه مملكة عملاقة، تَحوي مدائنَ عظيمة وقصوراً فارهة، وتضم قلاعاً شامخة وحصوناً شاهقة، وتُحيط بها أسوارٌ عالية وأبراجٌ مرتفعة، وتَزخر مساحاتُها كلها بالرّياض النضرة والبساتين الفاتنة، وتَزدان بالحدائق الوافرة بالخيرات وأطايب الثمر، وبأَزْهى الورود وأَعْبَقِ الزّهر.

لكن سكانها المسلمين أناسٌ نِصْفُ عرايا، أجسامُهم نحيلةٌ ووجوهُهم مُصفَرّةٌ، تَسكُنُهم العللُ وتَستوْطنُهم الأسقامُ، يعانون من الفاقة وتعبث بهم الخرافات، يَختلفون على كل شيء ويندفعون إلى الاحتراب لأتفه الأسباب!

وصَفْوَةُ القول إن الإسلام مملكةٌ عظيمة لكن سكانَها عبيدٌ أَذِلاء!

●الإفلاس الحضاري:

تمتلك أمة الإسلام كل مقومات الثراء الحضاري، وعندما استثمرت هذه المقومات ظلت بضعة قرون في ذروة الثراء والعطاء على مستوى حضارات الدنيا كلها، حتى أنها أَهْدتْ الغربَ أهمَّ مُقوِّمين للحضارة الحديثة، وهما: المنهج التجريبي في العلوم، وأُسُس الديموقراطية في السياسة، وتكمن في رفض وصاية رجل الدين على الحياة، وفي النظر إلى الحاكم كآدَمي مُلزَم بالعَقْد الذي بينه وبين المحكومين.

لكن أمتنا تعاني منذ بضعة قرون من إفلاس حضاري كامل، حيث تَستهلك الحضارة ولا تُنتجها، وتُقلّد الغربيين ولا تنافسهم، بل ولم تستطع حتى الآن مجاراتهم في سائر الأمور، حيث ما زال كثير من المحسوبين على الأمة يُقلدونهم في (الأيديولوجيا) دون (التكنولوجيا.(

وعلى سبيل المثال فإن أي بلد غربي يُسجّل كل عام من براءات الاختراع أكثر مما يُسجَّل في كل دول العالم العربي!

●خُطوتُنا وخَطَواتُهم:

بينما كانت شعوب أوروبا تقطع (خطواتٍ متسارعة) نحو التقدم بعد أن غادرتْ أخاديدَ القرون الوسطى، كان عامة المسلمين يَتحدثون عن (أهْل الخُطوة) الذين بمجرد ذِكْر أحدِهم لاسم الله تعالى يَصير في مكة خلال برهة من الزمن، وكانوا يَنْسجون الحكايات حول رؤية الحُجّاج لفلان من أهل الخطوة وهو يَتنقّل بين المَناسك في مكة، بينما هو موجود في بلده لم يبارحها!!

وبدأت الفروقُ بخطوات بسيطة قطعها الغربيون نحو العلم والفكر والبحث، وبقينا نحن نفاخر بما صنعه أجدادُنا، ثم ما لبثت المسافة أن صارت شديدةَ البُعد، حتى أنه لا يمكن قياسَها إلا بالسّنين الحضارية (على وزن السّنين الضوئية!)

●بين الإسلام والمسلمين:

إن أول كلمة في دستور الإسلام الخالد هي"إقْرأ"، وفي الواقع العملي صارت أمة المسلمين هي آخر الأمم في رَكْب القراءة، وذلك وِفْق الأرقام والحقائق المعروفة في عالم التأليف والطباعة والنشر، وفي سائر وسائل المعرفة والتواصل الاجتماعي!

●طريق القَوَامة:

ما لم تلتزم أمّتُنا بالسّير في طريق الله (القَوِيم)، فلن تَصل إلى ذُرى (القَوَامة) على الأمم والشهادة على الناس.

●عِنقاد:

إن (ازْوِرارَ) المسلمين عن الاسلام جَلَب لهم الكثير من (الرَّزايا) التي يَتجرّعون مرارتها في حياتهم كافّة.

بوركتُم..



عناقيد الفكر(١٠٠)

بَيْنَ المُسلمين والغَربيّين

بين التّقدّم والتّأخّر:

في المجتمعات الصّاعدة تَتجنّد الأشياءُ لتحقيق الأفكار، وتَتسخّر الأفكار لخدمة الإنسان الذي يَتربّع القمّة في هذه الحياة.

وفي المجتمعات الهابطة يَتجنّد الإنسان لصالح الأفكار، وتَتمخّض الأفكار لخدمة الأشياء التي تَصير سَيِّدةً مُطاعة في هذه الحياة.

ومن ثم فإن المجتمعات (الإنسانية) دائمة التقدم، بينما تَظلّ المجتمعات (الشّيْئيّة) دائبة التأخر في المضمار الحضاري.

بَيْنَ التّآلُف والتّعانُف:

حينما يكون الإنسان سَيِّد الحياة في أي مجتمع تَتسيّد فية قِيَمُ التآلف، أما إذا تَسيَّدت الأشياء فإن (التعانف) هو الذي يَطبع علائق الناس أفراداً ومُكوِّنات.

وبنظْرةٍ مُنْصفة إلى الغرب ورغم كل المآخذ عليه، سنجد أن الإنسان ما زال مِحْورَ اهتمامه الأول، حيث تُسخَّر كلُّ الأشياء لصالحه، بينما تُسخِّر بلدانُنا الإنسانَ لخدمة الأشياء.

ولذلك سيظل الغربيون في المَتْن الحضاري مُوحَّدين، وسنستمرّ في الهَوامش والمَنافي مُتَنابِذين، ما لم تَتغيّر هذه الخصال!

تَداعِي التّقدم:

كلما مَضت الحياةُ في التعقُّ͏ّ͏ّ͏ّد وأَوْغلت العلوم في التقدّم، زادت الفروق بين مجتمعاتنا المتخلفة وبين المجتمعات المتقدمة، حيث تزداد عندهم التخصصات الدقيقة،

بينما تزداد السطحية عندنا ويتمادى أغلب الناس في تَجاوز تخصصاتهم والخوض في ما لا يُحْسنون!

وما انْفكّ تواضع الناس هناك يزداد وتتضاعف معرفتهم بجهلهم، بينما تَتضخّم المعرفةُ الكاذبة هنا، ويَكثر الأدعياء الذين يَظنون أنهم يعرفون كل شيء!

يزداد المُتقدِّمون لُهاثاً في البحث عن كل جديد، وفي اختراع الأنْفع وابتكار الأفضل، ويزداد المُتخلِّفون خوفاً على القديم، فيعُضُّون بالنواجذ عى ما ورثوه من معارف وأعراف !

الوسطية مَزِيّةٌ أم رَزِيّة:

في المجتمعات المتقدمة يصير أهل الوسط هَمْزةَ الوصل بين سائر الأطراف، وقنطرة العبور إلى كافة الاتجاهات.

وقد لا يَقبل أهلُ اليمين باليسار أو أهل اليسار باليمين، لكنهم جميعاً يَقبلون بمدّ أيديهم إلى أصحاب الوسط، ويتعاونون معهم في المُشْترَكات ويَتعاذَرون في المُختلفات.

أما في مجتمعاتنا المتخلفة فإن الطرفين يتبادلان الاتهام والتّسْفيه، غير أن حربهم الحقيقة سواء كانوا من أهل الجمود أم من أصحاب الجحود، هي مع أهل الوسطية والاعتدال، إذ يَشعر كل طرف أنهم المنافس الحقيقي له!

ولأن أنظارهم قصيرة فإن رؤاهم قاصرة، ولأنهم لا يَرَوْن أبْعَد من أرْنَبات أُنُوفهم فإنهم يَجعلون الأَقْرَبين أَوْلَى بالعداوة والمحاربة!

بَيْن العلم والجهل:

ما يزال علماؤنا يناقشون ما لا يجوز للمسلم تَعَلُّمَه، بينما ناقش علماء الغرب منذ زمن ما لا يجوز للإنسان أن يَجْهلَه، ولذلك رأينا شلّال المعرفة يَتدفّق عندهم ليغمر كل يوم مساحات جديدة من الحياة، بينما تُنْتَقص عندنا المساحات المغمورة بالعلم، بسبب الشدّ والجَذْب وقوة إعصار العلم المنقوص!

تَلاحُم الثقافات:

يَغلب على ثقافتنا المعاصرة الاهتمامُ بالقيم والمبادئ، وتَنْزَع الثقافة الغربية إلى الاهتمام بالوسائل والآليات.

فكيف لو اجتمعت القيم النبيلة والمبادئ السامية مع الوسائل الناجعة والآليات الكُفْؤة في حضارة واحدة؟!.

عِنقاد:

يَشتغل عامة الغربيين بالأسباب، وينشغل عامة المسلمين بالأسرار!

بُوركتُم



تمت السلسلة

وترقبوا سلسلة قطوف الفكر



الخاتمة

●اخْتُتمتْ بتوفيق الله تعالى وعَوْنه بالأمس (عناقيد الفكر) بمِسْكِ الحلقة رقم مائة، العناقيد التي استمرت تَتدلّى للراغبين خلال مائة يوم، وبمتوسط ثمانية عناقيد في كل حلقة، أي أنها تزيد عن ثمانمائة عنقاد في شتى نواحي التفكير البشري: قِيَماً وسلوكاً، أدَباً وفَنّاً، نفْساً واجتماعاً، مادةً وروحاً، وحاولت التنقّل في قضاياها بين الذات والآخر، والتنوّع في منهجها بين التوصيف والتحليل، بين إثارة الأسئلة واقتراح الإجابات.

●ولله الحمدُ والمِنّة فقد تَذوَّقَ طعمَها وأَكَل منها عددٌ طيِّبٌ كما تأتيني البشائر، من خلال التفاعل الذي أشهده بنفسي في عشرات المجموعات النّخْبوية داخل اليمن وخارجه، ومن خلال الرسائل التي وصلتني على الخاص وعبر أصدقاء وزملاء عديدين، حيث نالت (العناقيد) بفضل الله إشادات نَثْرية وشعْرية طيبة كما (البوارق) و(الأمطار) و(الرياض) من قبل، وسننشر نماذج منها إن شاء الله عندما تُطبع في كُتب.

●لقد جاءت (عناقيد الفكر) بعد (بوارق الفكر) التي تَكوّنت من ١١٠ حلقة، ولَقيَتْ قبولاً طيباً ورَواجاً معقولاً، وأشاد بأنوارها ولوامعها كثير من المفكرين والأدباء والكُتّاب داخل اليمن وخارجه، واستحَثُّوني على جَمْعها في كتاب، وهذا ما كنت بصدده عندما اندلعت حرب الانقلابيين على الشرعية ومن يقف خلفها.

●وهطلت بعد البوارق (أمطارُ الفكر) التي تَكوَّنتْ من مائة وثلاث حلقات، وبعدها نَبَتتْ (رياضُ الفكر) التي تَكوَّنت من مائة حلقة، بذات الشمول والتنوع من حيث المضامين، وبنفس اللغة الأدبية التي حاولت الغَوْصَ في المعاني بدون تَعْقيد أو إسهاب، واجتهَدَتْ في الجمع بين الإقناع والإمتاع.

●وفي ختام هذه العناقيد أُذَكِّر بأنها هَدَفتْ للمساهمة في تخليص قُرّائها من الجوعِ الثقافي والمَسْغَبة الفكرية، والمساعدة في تحصين كثير من العقول من عِلَل الأمية الفكرية



وأمراض سوء التغذية الفكرية، وذلك من خلال المساهمة في فَكّ الاشتباك الحاصل بين الثُّنائيات المُتقابِلة، وتَوسيع الدّوائر التي ضاقَتْ في أذهان كثير من أنصاف المتعلمين.

●ونَتوَجَّهُ في هذا المقام إلى القارئ الكريم لنتساءل عن مدى ارْتقاء هذه (العناقيد) إلى مستوى الأهداف التي رَسَمَها صاحبُها وأَمّل تَحقُّقَها؟

وهل ساهمت (العناقيد) في التخفيف من جوع العقول وهُزال الفكر بهذه الوسيلة السهلة؟

هل ساهمت في التقليل من الأمية الفكرية الضاربة بجذورها في أعماق عقولنا الضّامِرة وقلوبنا الظّمْأى؟

هل شاركَتْ بنصيب مُقدَّر في توسيع دائرة الوعي الجمْعي؟

هل تَناسبَتْ حلقاتُها وموضوعاتُها وفقراتُها مع عنوانها؟

هل امتَلكتْ نصيباً من الحكمة التي شهد بها الحبيب المصطفى صلى الله عليه وسلم لليمن وأهله؟ أم أنها جسَّدت التخلف الذي تغرق فيه اليمن في عصرنا؟ أم كانت في منزلة بين المنزلتين؟!

●هذه الأسئلة وأمثالها أتمنى أن يُثْري إجاباتِها من تَذوَّقَ هذه العناقيد، مع تأكيدي أنها ليست أبحاثاً ولا مقالاتٍ أكاديمية، إنما هي بناتُ أفكار صاحبها الانطباعية وقطوفُ عَقْلِه التّأمّليّ، مُراعياً مُتوسِّطَ عقولِ الناس، وطبيعة وسائل التواصل الاجتماعي المُتنوّعة والمزحومة، وطبيعة العصر بإيقاعاته السريعة.

●أَحِبّائي الكرام: ماذا تَحقّقَ من ذلك كله؟ وأين تقع هذه (العناقيد) من عامّة ما يُنشر في (الواتس) و(التليجرام) و(الفايسبوك)؟ ما هو الأثر الذي تَركَتْه في عقولكم، وما هي الانطباعات التي بَعثَتْها في جوانِحِكم؟ وما هي مقترحاتُكم في الجزء الجديد الذي سيكون بعنوان (قطوف الفكر) إن شاء الله تعالى؟

●أتَوقَّعُ مشاركتَكم الإيجابيةَ تقييماً وتقويماً، سواءً في العام أو في الخاص.

وسأمنح قُرّائي إجازةً لبضعة أيام يُريحون فيها بَالَهُم من (العناقيد) فقد ملَّ بنو إسرائيل من المنّ والسلوى، فكيف بالعناقيد؟!!

●وسأنتظر تَفاعلَهم الخلاّق مع هذه الدعوة، مُتمنياً مشاركة من يَقْدر في فتح أبواب النشر لهذه السلسلة التي صارت بحجم أربعة كتب متوسطة الحجم، فظروف الحرب في اليمن كما تَعلمون لا تَسمح بطباعتها ونَشْرها فيها.

●وأخيراً أُحيطُ عِلماً مُحبّي هذه السلسلة التي زادت حَلقاتُها عن أربعمائة حلقة، بأنها صارت مجموعةً في قَناتِي على التليجرام،

وفي الختام أقول لكل من تَفاعَلَ أو تَجاهَل:

"بوركتْ عُقولُكم وأَوْقاتُكم. "



موسوعة اعرف دينك للعلوم الشرعية

أول موسوسة فوسبوكية الكترونية تهتم بنشر العلم الشرعي وحفظه لكثير من الأفاضل من مصر والدول العربية والإسلامية للأجيال القادمة